الجزء الأول المجلد الثالث والثمانون

مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق

((مجلّة المجمع العلمي العربي سابقًا))

ذو الحجة ١٤٢٨هـ
كانون الثاني ٢٠٠٨م

المدير المسؤول: الأستاذ الدكتور شاكر الفحام، رئيس المجمع

لجنة المجلة

الدكتور محمد إحسان النص　　الدكتور عبد الله واثق شهيد

الدكتور محمد زهير البابا　　الأستاذ جورج صدّقني

الدكتورة ليلى الصباغ　　الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري

الدكتور محمود السيد

أمين المجلة: الأستاذ محمود الحسن

إن أغراض المجلة مستمدة من أغراض المجمع الواردة في قانونه ولائحته الداخلية، وأبرزها: المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون، وملائمةً لحاجات الحياة المتطورة، ووضع المصطلحات العلمية والتقنية والأدبية والحضارية، ودراستها وفق منهج محدد، والسعي لتوحيدها في الأقطار العربية كافة.

خطة المجلة وشروط النشر فيها:

- تنشر المجلة البحوث والمقالات التي ترد إليها بعد أن تخضع للتقويم.
- يفضل ألا يزيد البحث أو المقالة على ثلاثين صفحة من صفحات المجلة.
- ترتيب البحوث والمقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون البحوث والمقالات المرسلة إلى المجلة منضدة، ويفضل أن تشفع بقرص حاسوبي ليزري مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- البحوث والمقالات التي لا تُنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع بحثه أو مقالته، سيرته الذاتية العلمية وعنوانه.
- تُعطى الحواشي أرقامًا متسلسلة من بداية البحث حتى نهايته. وتذكر حواشي كل صفحة في أسفلها.
- توضع الكلمات العربية (أو المعربة) قبل مقابلها الأجنبي عند ورودها أول مرة، نحو: تِقانة (Technology)، حاسوب (Computer)، نفسية (Psychologic).
- من الضروري أن يعتني الكاتب بعلامات الترقيم: النقطة، الفاصلة، إلخ....

(البحوث والدراسات)

اللغة العربية حصن الأمّة

الدكتور مازن المبارك

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

كانت العربية وما زالت تواجه الكثير من الهجوم والطعن والإهمال ومزاحمة الضرائر من عاميّات وأجنبيّات. وليس ذلك بغريب من أعدائنا لأنهم أعداء، ولأنهم يدركون حقيقة اللغة ومدى أثرها في تحصين الأمة وشدّ أسرها. وليس ذلك من عجز في اللغة نفسها، فقد أثبتت قدرتَها منذ وَسِعت كتابَ الله واتّسعت لعلوم الحضارة يوم كان أهلها يصنعون الحضارة. وأما الإهمال من أهلها، فيما أرى، فمن عدم إدراكهم منزلتها في حياة الأمّة، ومن تقصير المختصّين في نشر الوعي اللغوي السليم. وإن كنّا اعتدنا أن نلقي اللوم في أكثر مشكلاتنا على أعدائنا وعلى الاستعمار تارة، وعلى اللغة نفسها تارة أخرى، مبرّئين أنفسنا من كل وزر أو تقصير.

اللغة كائن حيّ متفاعل مع الحياة بتفاعل الناطقين بها مع الحياة، بقوّتهم يقوى ويحيا وينتشر، وبضعفهم يضعف وينحسر.

واللغة ذات جوانب متعدّدة: فهي حادثة طبيعيّة فيزيائية لأنها أصوات، وهي حادثة نفسيّة فكريّة لأنها الثوب الذي يلبسه أو يظهر فيه الفكر، وهي حادثة اجتماعية لأنها وسيلة الفهم والإفهام بين الناس.. وهكذا كثرت تعريفاتها بكثرة جوانبها إذ تناول كل تعريف جانبًا منها، وهي تعريفات لا يكفي واحد منها لبيان حقيقة اللغة، ولكنها لا تَعارض بينها، بل هي متكاملة يُتمّ بعضُها بعضًا. فهي

أصوات يعبِّر بها الناس عن أغراضهم، وهي الفكر الناطق، وهي وسيلة التواصل الاجتماعي، وهي منظومة عُرفية لرموز تعبّر عن نشاط اجتماعي...

وتختلف مواقف الناس من اللغة باختلاف نظراتهم إليها وباختلاف الجانب الذي وقفوا عنده منها؛ فمن رآها مجرّد أصواتٍ للتعبير أو أداةٍ للتواصل الاجتماعي رأى الأصوات أيًّا كانت ، أي بأي لغة كانت ، صالحةً للقيام بعملها وأداء وظيفتها، فلا عليه أن يستبدل بلغته لغةً تقوم مقامها. وهكذا كانت مواقف الناس من اللغة مختلفة باختلاف نظراتهم، واختلاف مدى مبلغهم من العلم فيها وإدراكِ حقيقتها ولم تكن المواقف المنحرفة كلّها عن سوء نيّة وقصد، لذلك كان على اللغويين والمختصّين أن ينشروا الوعي اللغوي السليم، ليستبين الناطقون بالعربية أهميتها وآثارها في حفظ ثقافتهم وبناء أمتهم.

لقد هُوجمت العربية نظريًّا بالطعن فيها صعوبةً في قواعدها وإملائها، وفقرًا في المصطلح، وعجزًا عن مجاراة العصر، وهُوجمت عمليًّا بمحاولة تغليب العاميّة في كثير من الأقطار العربية وملء الصحف والشوارع بها، وبتغليب الأجنبية ومزاحمتها بها في التعليم العالي وفي مجال الاقتصاد والسياحة. لقد دعا مسؤول في بلد عربي إلى جعل أسماء الفنادق والمطاعم والمحالّ التجارية باللغة الأجنبية تيسيرًا على السيّاح! وادّعى آخر أن فرض العربية في الأسواق مضرّ بالاقتصاد والسياحة. ونحن نرى في ذلك قصورًا في إدراك الحقيقة وانحرافًا عن الثوابت القومية، لأننا حين ننادي بتعريب الأسماء على اللافتات في الشوارع والأسواق لا ندعو إلى عدم الكتابة بالأجنبية عليها. إننا ننادي أن تكون العربية في بلادها مشاركة للأجنبية. فهل أنا في ذا يالهمذان ظالم ؟؟!

إننا إذا تمنَّينا اقتصادًا ناجحًا وسياحة مزدهرة، فلا يصحّ أن نعادل الجنيهات والدراهم والليرات بالرمز الوطني والانتماء القومي. لقد أصبحنا نسمع أن اللغة الإنكليزية هي اللغة العالمية في التجارة والاقتصاد والسياحة، وصحيح أنها اللغة الغالبة، ولكن فرق كبير بين تشجيع ذلك والسير في ركابه، وبين الحذر ومحاولة الحدّ من ذلك على نحو ما فعلت بعض الدول الأوربية الحريصة على لغاتها، فاتخذ قادتها في قمة عقدت منذ سنوات في برشلونة أن يُترك للطلاب في دولهم حريّةُ اختيار اللغة الثانية بعد لغتهم الوطنية بعد أن كانت الثانية هي الإنكليزية، وأعلنوا أنه يكفي أن يدرس الطلاب دورة مكثفة في ثلاثة أشهر اللغةَ الإنكليزية في مجال النقل الجويّ والبحري والاتصالات، وهو ما يحتاجون إليه للاتصال بالعالم. ولم تجعل دولة من دولهم أسماء فنادقها ومطاعمها ومؤسساتها التجارية أسماءً بغير لغاتها.

إنهم شعروا بمقدّمات العولمة التي تريد أن تفرض مع الدولار لغته في الاقتصاد، وأن تهمِّش اللغاتِ المحليّةَ والقومية، لأن ذلك يتبعه تهميش للثقافة ثم للفكر ثم للمواقف.

الأمة ليست أمّة بمالها ولكنها أمة بهويّتها الثقافية، وهويّة الإنسان هي مجموع الصفات الثابتة التي تميّزه من غيره. ولكل أمّة عريقة هوية ثقافيّة، واللغة هي باب الثقافة وعمادها وأداة وحدتها، ولا وحدة بين الناس إلاّ إذا توحّدت أو تقاربت ثقافتهم وتوحّدت أو تقاربت أفكارهم، واللغة هي المدخل إلى وحدة الثقافة ووحدة الفكر، والثقافة والفكر هما العاملان اللذان يُمليان على المرء مواقفه، ومن هنا كانت للأمة ذاتِ الثقافة الواحدة والفكر المشترك مواقفُ متفقة أو متشابهة.

اللغة تنسب الإنسان إلى قومه، والعربية اليوم هي نسبنا إلى قومنا بشرًا وتاريخًا، وإلى أرضنا وطنًا وحدودًا؛ فحدود الوطن العربي اليوم هي حدود الناطقين بالعربية

الفصحى، وكل شيء ما بين المحيط والخليج مختلف إلا اللسان فهو وحده اليوم مظهر الوحدة.

العربية اليوم هي التي تصلنا بتاريخنا زمانًا وبإخواننا العرب المعاصرين مكانًا، إنها رابطة بين العرب وحدود لوطنهم وسجل لتاريخهم ورمز لوحدتهم.

فإذا قسَّموا وطننا إلى أوطان وأقطار، ومزّقوا أرضنا فجعلوا فيها دولاً ودويلات، أفنقسّم نحن اللغة الواحدة الباقية إلى لغات ولهجات لنستكمل تقسيم الأمة إلى أمم؟!

العربية وعاء حوى تراثنا، ثقافتنا، تاريخنا، عقيدتنا. لم نعرف ذلك كلّه إلا من خلالها، إنها أشبه في الأمة بالذَّاكرة للإنسان، إنها ذاكرة الأمّة أفنتخلّى عنها وكلنا يعرف حال الإنسان أيًّا كان ماضيه إذا فقد ذاكرته!

إن أهم ما تسعى إليه العولمة هو القضاء على خصوصيّات الأمم والشعوب في كل شيء، واللغة القومية من أخصّ خصائص الأمة، لأنها وعاء ثقافتها ورمز استعلائها وتَميّزِها القومي. وهم يريدون تفريغ هذه الثقافة من مضمونها الروحي والفكري والأدبي والفنّي، وحشوَ وعائها بمضمون حداثي، إذا لم يكن خاويًا من العروبة والإسلام فهو بعيد عما عرفته أمتنا من فكر وأدب وفنّ، بل هو مصوغ بقوالب لغوية تنكرها العربية لخروجها عما ألفت من أصول.

إذا ربطنا الأحداث بعضها ببعض، وتركنا المنهج العربيّ الحديث والمعاصر في التصدّي للمشكلات، وهو المنهج القائم على عدم التخطيط السابق وعلى انتظار الخطر حتى يقع، وعلى ردود الأفعال الانفعالية حين يقع الحدَث، إذا تركنا ذلك كله ونظرنا إلى منهج غيرنا في التغلّب علينا فماذا نرى؟ إنهم لا يبالون أن تتحقق غايتهم

بعد خمسين أو مئة سنة! أليست العولمة كلمة حديثة السنّ في عصرنا؟ فلننظر إلى التخطيط لتنفيذها كيف ومتى بدأ؟ لقد بدأت عمليًّا زحفَها فاتحةً أمامها الطريق بالدولار، حتى أصبح نقدًا عالميًّا بل النقدَ العالمي الذي تبيع الدول به وتشتري، ثم بدأ اقتصادها يزدهر ويسيطر، وأصبحت لها المصارف وبيوت المال، ثم ربطت سياستها بها، فلا قروض ولا مساعدات مالية إلاّ لمن يبيعها موقفَه السياسي الممالئ لها، فخضع لها من خضع وأبى وصمد من صمد، وأدخلت اللغةَ مع الدولار فسادت لغتُها حيث ساد، حتى شعر الكثيرون بالخطر فغيّروا الوحدة النقدية كما فعلت أوربا، أو فكّوا ارتباط نقدهم بالدولار كما صنع غيرها، تململاً من أسر القيد النقديّ وما وراءه من تبعات العولمة!

أقول ذلك كلَّه وأتحدّث عن التدرّج في زحف الخطر، لئلا نستصغرَ ما نراه من زحف العاميّة وخلط الأجنبية بالعربيّة تظرّفًا على ألسن فتياننا وفتَياتنا... دون إدراك منهم لبلوى ستعمّ ولعواقب ستتلو، حين يصبح ذلك كلُّه عادة اجتماعية مألوفة...

إننا نرى الأمم المتقدمة اليوم تتعصّب للغاتها تعصّبًا وصل ببعضها إلى أن أصبحت ذات نزعة عرقيّة لغوية لم يعرفها العالم قبل اليوم. ولو تتبّعنا ما تقوم به ألمانيا وما تقوم به فرنسا لصيانة لغتيهما لعرفنا خطر ما نفرّط فيه نحن اليوم من أمر لغتنا.

دعا فلاسفة الألمان إلى أن يتمسّك الألمان بلغتهم تمسّكهم بأرواحهم!

وعقد الفرنسيون المؤتمرات وأصدروا المراسيم المتتابعة لحماية لغتهم، وأقاموا منظمة متحدة للناطقين بالفرنسية لها أمانتها العامّة ومكاتبها ومراكزها المنتشرة في العالم، ووضعوا الغرامات على من يستعمل كلمة بغير الفرنسية، ومنعوا إعلامهم من استعمال اللهجات المحليّة... وأما نحن العربَ فشعارات قومية وبعضُ صحفنا تنشر

بالعاميّة، وأسواقٌ تغلب عليها العجمة واللغة الأجنبية، وتدريسٌ في التعليم العالي بغير العربية في معظم الأقطار العربية، وليس في العالم كلّه أمة تدرّس في تعليمها العالي بغير لغتها إلاّ العرب!!.

وليس في العالم دعاة إلى الوحدة بعدد الدعاة العرب، وليس في العالم خطاب يعدل خطاب العرب الوحدوي، ولا أحزابٌ وحدوية بعدد ما في الوطن العربي من أحزاب وحدوية، ومع ذلك فما زال العرب مقصّرين في رعاية لغتهم وأداة وحدتهم، وإنَّ كلّ دعوة إلى الوحدة تبقى ناقصة إذا لم تكن فيها رعاية للغة الجامعة الموحِّدة، وصيانة لها، وعمل على تنميتها وجعلها لغة العلم والتعليم. إن جعل العربية لغة العلم يفيد العربية نفسها، ويمحو ما علق بها من كونها لغة أدب وعاطفة وانفعال، ويُغلِّب في أساليب الناطقين بها أسلوبَ العلم والمنطق وهو ما نحتاج إليه اليوم. فلقد غلبت على الخطاب العربي في التصريحات والبيانات السياسية في كثير من الأحيان، وفي الخطاب السياسي عامة، لغةُ العاطفة والانفعال في مخاطبة الشعوب والجماهير. ويجدر بي هنا أن أذكر تلك الدهشة وذلك الإعجاب اللذين قوبل بهما أول خطاب ألقاه رئيس الجمهورية الدكتور بشار الأسد عقب بيعته الأولى، وأن أذكر ذلك الصدى الطيّب الذي كان له محليًّا وعربيًّا ودوليًّا؛ فلقد سمع العرب وسمع العالم من العرب خطابًا ذا نكهة خاصة؛ إنها صبغة العلم والعقل والتحليل والمنطق يلبسها لأول مرة خطابٌ سياسي لحاكم عربيّ.

وإني أسوق إلى السيد الرئيس بهذه المناسبة أصدق الشكر لتوجيهاته الأخيرة من أجل التمكين للعربيّة والعمل على حمايتها.

إنّ اللغة العلمية تطبع الفكر بطابع التفكير المنهجي العلميّ، وإنّه شتان مابين من يعلّم اللغة فيملأُ نفوس الطلبة والشباب بما في تراث الأمة من قيم، وينمّي في

عقولهم التفكير العلمي فيجعل من المدارس والجامعات مصانع للرجال والنساء، وبين من يعلّم اللغة لأنها مقرَّر مطلوب في الامتحان!! لا يهمّه بعد ذلك كيف تكون اللغة عاجزة على لسانه وقلمه في الحياة، أو سلوكًا فكريًّا يسير به على درب أمّته.

حين يكون تعليم اللغة رسالة تصبح اللغة أداة لوحدة الشعور القومي وتمكين الانتماء إلى الأمة وتراثها وتاريخها.

إن اللغة بكونها أداة تفاهم بين أبناء المجتمع الواحد، وبكونها وسيلة تفكير وأداة تعبير، تخلق وحدة ثقافية تشكِّل رابطة لأبنائها الناطقين بها، وتفرض بعد ذلك سلوكًا متشابهًا فيما بينهم، لذلك كان الذين يخرجون على نظام اللغة وتقاليدها، إنما يمثّلون الشذوذ أو الانحراف عن سلوك مجتمعهم وأمتهم التي وحّدتها اللغة الواحدة الموحَّدة التي تعارفت الأمة أصولَها وتقاليدها عبر تاريخها الطويل.

لقد أثبت تاريخنا شعوبيّة أولئك المنحرفين، بل لقد عرفناه في تاريخنا المعاصر، فلقد قلت منذ خمس وثلاثين سنة إن الانحراف اللغوي ظاهرة – إن كانت من عالم أو مثقَّف – فهي تدل على نيّة خفيّة في الانحراف السلوكي، وإن الذين يخرجون عن الإجماع اللغوي أعني عن أساليب اللغة القومية وأصولها هم في الحقيقة خارجون عن الإجماع القومي لأمّتهم!

وها هي اليوم أحداث لبنان تُظهر أن كل الذين أشرتُ إليهم من دعاة للعامية اللبنانية، ومن مُنادين باستعمال الحرف اللاتيني بدل الحرف العربي، ومن داعين إلى التخلّي عن قواعد اللغة وتحطيم أصولها والتمرّد على أساليبها، هم الذين كشفت أحداث لبنان اليوم مواقفهم الشاذّة وكشفت القناع عن عداوتهم للعروبة!!

ونحن لسنا بدعًا بين الأمم حين نطالب بالتمسّك باللغة الفصيحة؛ فلقد دعا الفيلسوف فخته أمته الألمانية حين غزا نابليون ألمانيا وجزّأها، إلى التمسّك باللغة الألمانية الواحدة قائلاً: «إن اللغة تجعل الأمة الناطقة بها موحَّدة مُتراصَّة، إنها الرابطة الوحيدة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان». ودعت الثورة الفرنسية في أوائل بياناتها إلى محاربة العاميّة والتمسّك باللغة القومية، وأذاعت على لسان الراهب غريغوار بيانًا قالت فيه: «إن مبدأ المساواة الذي أقرّته الثورة يقضي بفتح أبواب التوظّف أمام جميع المواطنين، ولكن تسليم الإدارة إلى أشخاص لا يُحسنون اللغة القومية يؤدي إلى محاذير كبيرة، وتَرْكُ هؤلاء خارج ميادين الحكم يخالف مبدأ المساواة، فيترتب على الثورة – والحالةُ هذه – أن تُعالج المشكلة معالجة جذرية وذلك بمحاربة اللهجات المحليّة ونشر اللغة الفرنسية الصحيحة بين جميع المواطنين».

وأنقل لكم شهادة مستشرق فرنسي عاصرناه وعرفناه، وسمعناه يتحدث عن العرب والمسلمين، ويتحدث عن الثورة الجزائرية التي عاصرها، إنه جاك برك الذي قال: «إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية، بل اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات، فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا. إن الكلاسيكية العربية هي التي بلورت الأصالة الجزائرية وقد كانت هذه الكلاسيكية العربية عاملاً قويًّا في بقاء الشعوب العربية».

واللغة ليست ثوبًا يلبسه من يريد ويخلعه من يريد، إنها لغة الثقافة التي تمثّل الأمة، بل ليست لغتَها فحسب بل هي فكر من فكرها وجزء من عقلها وعقلِ الأمة الناطقة بها، والثقافة بما تمثّله من فكر وأدب ودين وفنّ هي العقل المشترك والأساس الذي تُبنى عليه وحدة الأمة، واللغة هي النظام الشامل لتلك الثقافة.

ويشهد للغة العرب تاريخُها على أنها كانت وحدتها أقوى من وحدتهم السياسية، فلقد استعصت على التجزئة وبقيت واحدة موحَّدة حين انقسموا وتفرّقوا في دويلات عباسية وحمدانية وإخشيدية وفاطمية وغيرها...

والعربية الموحَّدة هي وحدها العربية الموحِّدة، لأنها تحدّد المفاهيم وتوحِّد المدركات وتجسّد الأفكار والقيم، وبذلك يتمّ الانسجام فيما بين الناطقين بها... وفيما بينهم وبين ما حولهم من عناصر الحياة، إنها توحّدهم عقلاً وثقافة وفكرًا وسلوكًا.

إن العربية ظاهرة وحدة وعاملة وحدة، ولابدّ أن نسعى إلى تنشيط دورها الوحدوي، وأن نبتعد بها عن العاميّات المفرّقة وعن الأجنبيّات المزاحمة تاركين كلاًّ منها في مجالها، جاعلين المصلحة القوميّة العليا فوق كل اعتبار.

حين أقول إن اللغة المشتركة تصهر الفرد في المجموع أي تقوّي انتماءه القومي، فإني أعني أنها لطول استعمالها ولشدّة ألفتها واعتيادها ولطول ممارسة المرء للتعبير بها عن وجدانه ومواجده، وعن شعوره وعواطفه وعن عقيدته وأشواقه، وعن أدب أمّته وتراثها وعن حاجاته في حواره مع نفسه ومع أهله وأهل وطنه، لا تلبث أن تنأى عن الزمان وعن المكان لتصبح شعورًا روحيًّا يملأ الإنسان اعتزازًا بكل ما تعبرّ عنه لغته في حاضره وماضيه ومستقبله، وكأن الفرد إذ ذاك يعيش من اللغة بروح هي روحه وروحُ أمّته في آن واحد، وذلك هو المعنى الذي نعبّر عنه بالشعور أو الانتماء القومي الذي تغرسه اللغة في نفوس الناطقين بها، لذلك كانت المحافظة على اللغة محافظة على الجنسية القومية والفكرية والثقافية للأمّة.

وهكذا رأينا في اللغة صورة الفكر ومرآة الشخصية ورمز الهويّة، ورأينا الهوية الصفة المميِّزة للفرد، والصفة المشتركة للأمّة تعبّر عما يميّزها من خصائص في الفكر والثقافة وما يكوّنها من علم وعقيدة وأدب وفنّ ومكوّنات حضارة. ولقد رأينا أن اللغة ذاكرة الأمة وإطار حدودها ومرآة فكرها، ومستودع تراثها وجامعة أبنائها ومصنع رجالها، بما تغرس فيهم من قيم ومُثُل وأساليب تفكير، ورأينا اللغة هويَّة تعصم الأمة من الضياع وتحول دون ذوبانها في العولمة، وذلك كلّه هو الذي يجعل الهجوم على اللغة شرسًا عنيفًا؛ إبعادًا لها عن التعليم العالي ومزاحمة لها بالأجنبية في كل مكان، وبالعاميّة في الشوارع والأسواق، وإهمالاً لها في بعض الصحف ووسائل الإعلام!

إن الهوية الثقافية للأمة هي التي تحفظ لها وعيها بذاتها وبتاريخها، وإن اللغة هي عماد الهوية الثقافية المتميّزة، وهي ما لا تكون الأمة أمةً إلا به، لذلك كله نقول إن اللغة حصن الأمة، والدفاع عن اللغة دفاع عن حصون الأمة ودفاع عن حدود الوطن.

رؤية نازك الملائكة لقضايا الشعر المعاصر

الدكتور محمد إحسان النص

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

في عام ١٩٦٢م أصدرت الشاعرة العراقية نازك الملائكة كتابها (قضايا الشعر المعاصر)، ونشرته مكتبة النهضة ببغداد، وقد صدّرت الكتاب بإهدائه إلى الرئيس جمال عبد الناصر، تقديرًا لإيمانه بالأمة العربية وجهاده في سبيلها.

وقد كتب مقدمة الكتاب الدكتور عبد الهادي محبوبة، زوج نازك، رحمهما الله جميعًا. وقد جعلت نازك كتابها قسمين، القسم الأول وقفته على الشعر الحر، والقسم الثاني تناولت فيه طائفة من الموضوعات عرضت فيها رؤيتها لهذه الموضوعات.

يشتمل القسم الأول على ثلاثة أبواب في كل منها عدد من الفصول. عنوان الباب الأول: (الشعر الحر باعتباره حركة). وفي الفصل الأول منه تحدثت عن بداية الشعر الحر وظروفه، فذكرت أن بداية الشعر الحر كانت عام ١٩٤٧م في العراق. ومن العراق انتشر هذا الضرب الجديد من الشعر في أرجاء الوطن العربي كافة.

وأول قصيدة من الشعر الحر نظمتها نازك كان عنوانها (الكوليرا)، نظمتها في السابع والعشرين من شهر تشرين الأول عام ١٩٤٧م، وذكرت نازك ظروفَ نظم هذه القصيدة فقالت: «كنت كتبت تلك القصيدة أصوّر بها مشاعري نحو مصر الشقيقة خلال وباء الكوليرا الذي داهمها، وقد حاولت التعبير عن وقع أرجل الخيل التي تجرّ عربات الموتى من ضحايا الوباء في ريف مصر. وقد ساقتني

ضرورة التعبير إلى اكتشاف الشعر الحر»[١]. وقد أرسلت نازك هذه القصيدة إلى مجلة (العروبة) في بيروت فنشرتها مع تعليق حولها.

نرى مما تقدم أن نازك أرادت أن تعبر عن شعورها إزاء انتشار وباء الكوليرا في مصر، فوجدت أن الشعر الخليلي لا يصلح للتعبير عن مشاعرها لأنه يقوم على وحدة البيت، وهي تريد أن تصف ما شعرت به في مجموعة من الأبيات، ومن هنا خطرت لها فكرة إيجاد وزن جديد من الشعر يغاير الشعر الخليلي، ويأذن بالحديث المفصّل عن قضية بعينها، فهدتها فكرتها إلى ابتكار الشعر الحر، ونظمت قصيدتها تلك وفق هذا الشعر.

والشعر الحر، في رؤية نازك، هو الشعر الذي لا يتقيد بأوزان الخليل وعروضه، ولكنها في الواقع لم تنظم قصيدتها خالية من الوزن، بل اختارت أن تنظمها على نهج (التفعيلة)، ولهذا أرى أن نطلق على هذا الشعر مسمّى (شعر التفعيلة). وحرصًا على وحدة الإيقاع في القصيدة جعلتها تجري على تفعيلة واحدة تتكرر في جميع الأشطر. ولهذا كان لابد لها من النظم على البحور ذات التفعيلات المتساوية، فنظمت قصيدتها على وزن بحر الخَبب (المتدارك). وقد أوردت في كتابها نموذجًا من هذه القصيدة نثبته فيما يأتي:

طلع الفجر
أصغ إلى وقعِ خطا الماشين
في صمت الفجر، أَصغِ، انظر ركب الباكين
عشرة أموات، عشرونا

(١) قضايا الشعر المعاصر ص٢٣.

لا تُحصِ، أصِخ للباكينا
اسمع صوت الطفل المسكين
موتى، موتى، ضاع العدد
موتى، موتى، لم يبق غدُ
في كل مكان جسد يندبه محزون
لا لحظة إخلاد، لا صمتْ
هذا ما فعلت كفُّ الموت
الموت، الموت، الموت
تشكو البشرية، تشكو ما يرتكب الموت

وتذكر نازك أن قصيدتها نشرت في بيروت ووصلت نسخها إلى بغداد في الأول من كانون الأول سنة ١٩٤٧م. وفي النصف الثاني من الشهر نفسه صدر في بغداد ديوان الشاعر بدر شاكر السيّاب (أزهار ذابلة)، وفي هذ الديوان قصيدة حرّة الوزن من بحر الرمَل عنوانها (هل كان حُبًّا)، وقد أورَدَت نموذجًا منها وهو:

هل يكون الحبّ أنّي
بتّ عبدًا للتمني
أم هو الحب اطّراح الأمنيات
والتقاء الثغر بالثغر ونسيان الحياة
واختفاء العين في العين انتشار
كانثيال عاد يفنى في هدير
أو كظل في غدير

وتذكر نازك أنه لم يصدر تعليق على هاتين القصيدتين إلا تعليق مجلة (العروبة) على قصيدتها. وانقضت سنتان لم تنشر فيهما أي قصيدة حرة الوزن.

وفي عام ١٩٤٩م صدر لنازك ديوان (شظايا ورماد)، وفيه طائفة من القصائد الحرة الوزن، وقدّمت لديوانها بمقدمة مسهبة بيّنت فيها وجه التجديد في ذلك الشعر، واختلافه عن أسلوب القصائد ذات الشطرين، ودواعي إضرابها عن محاكاة قصائد الشعر الخليلي، وتحدثت عما كان يختلج في نفسها من أحاسيس ورؤى في كل من القصائد التي اشتمل عليها الديوان.

ونقتطف من هذه المقدمة المطولة مستهلها، قالت: «في الشعر كما في الحياة يصح تطبيق عبارة برناردشو: اللاقاعدة هي القاعدة الذهبية. لسبب هام، هو أن الشعر وليد أحداث الحياة، وليس للحياة قاعدة معينة تتبعها في ترتيب أحداثها، ولا نماذج معينة للألوان التي تتلوّن بها أشياؤها وأحاسيسها. ولا تناقض بين هذا الرأي وما يقسم إليه النقاد من مدارس ومذاهب حين يقولون: كلاسيكي، رومانتيكي، واقعي، رمزي، سريالي.. فهذه كلها ليست قواعد وإنما هي أحكام. وقد يرى كثيرون معي أن الشعر العربي لم يقف بعد على قدميه بعد الرقدة الطويلة التي جثمت على صدره طيلة القرون المنصرمة الماضية. فنحن عمومًا ما زلنا أسرى؛ تسيّرنا القواعد التي وضعها أسلافنا في الجاهلية وصدر الإسلام. ما زلنا نلهث في قصائدنا ونحر عواطفنا المقيدة بسلاسل الأوزان القديمة، وقرقعة الألفاظ الميتة»[(١)].

وقد بيّنَت سبب مفارقتها لطريقة الخليل ولغة الشعر القديم. فهي ترى أن

(١) مقدمة ديوان (شظايا ورماد).

الشاعر أو الأديب هو الذي تتطور على يده اللغة، أما النحوي واللغوي فلا شأن لهما بها. النحوي واللغوي عليهما واجب واحد هام، واجب الملاحظة واستخلاص قواعد عامة من كلام «المرهفين» من الكُتَّاب والشعراء.

وفي حديثها عن أوزان الشعر أقرّت أن في هذا الديوان لونًا بسيطًا من الخروج على القواعد المألوفة، وبيَّنَت الضرورة التي ألجأتها إلى ذلك، وانتقدت – إلى جانب التقيد بالأوزان القديمة – التزامَ الشعراء القدامى قافية واحدة في القصيدة. وفي رأيها أن اللغة العربية «لم تكتسب بعدُ قوة الإيحاء، لأن كُتّابها وشعراءها لم يعتادوا استغلال القوى الكامنة وراء الألفاظ استغلالاً تامًّا إلا حديثًا».

وقد ختمت مقدمتها المطولة بقولها: «آخر ما أودّ أن أقوله في هذه المقدمة، أنني أؤمن بمستقبل الشعر العربي إيمانًا حارًّا عميقًا، أؤمن أنه مندفع بكل ما في صدور شعرائه من قوى ومواهب وإمكانيات، ليتبوّأ مكانًا رفيعًا في أدب العالم، وألف تحية لشعراء الغد».

ومع أن نازك قد أوردت في ديوانها هذا بعض القصائد التي قالتها على نهج التفعيلة، فإنها أوردت إلى جانبها قصائد تسير على نهج الخليل، ولكنها لم تلتزم قافية واحدة في القصيدة.

ومن قصائدها (الحرة) في هذا الديوان القصيدة التي عنوانها (الأفعوان) وهي على تفعيلات البحر المتدارك، ومنها نورد النموذج الآتي:

أين أمشي، مللت الدروبْ
وسئمت المروجْ
والعدوّ الخفيّ اللجوج

لم يزل يقتفي خطواتي، فأين الهروبْ
الممرات والطرق الذاهبات
بالأغاني إلى كل أفق غريب
ودروب الحياة
والدهاليز في ظلمات الدجى الحالكات
وزوايا النهار الجديد
جبتها كلّها، وعدوّي الخفيّ العنيدْ
صامد كجبال الجليد
في الشمال البعيد[١]

ويلاحظ أنها لم تتخلّ في هذه القصيدة عن القافية، ولكنها لم تلتزم إيرادها واحدة في جميع الأشطر، وإنما جاءت بها مفرقة فيها.

وتحدثت نازك في كتابها حول قضايا الشعر المعاصر عن صدى ظهور هذا اللون الجديد من الشعر، فقالت: «ما كاد هذا الديوان – أي ديوان شظايا ورماد – يظهر حتى قامت له ضجة شديدة في صحف العراق، وأثيرت حوله مناقشات حامية في الأوساط الأدبية في بغداد. وكان كثير من المعلّقين ساخطين ساخرين يتنبؤون للدعوة كلها بالخيبة الأكيد. غير أن استجابة الجمهور الكبير كانت تحدث في صمت وخفاء خلال ذلك».

وما كادت الأشهر العصيبة الأولى من ثورة الصحف والأوساط تنصرم حتى بدأت قصائد حرة الوزن يكتبها شعراء يافعون من العراق ويبعثون بها إلى

(١) ديوان شظايا ورماد ص٧٧.

الصحف، وبدأت الدعوة تنمو وتتّسع.

وذكرت نازك أسماء الشعراء الذين نظموا قصائد حرّة الوزن، ومنهم عبد الوهاب البياتي في ديوانه (ملائكة وشياطين)، وشاذل طاقة في ديوانه (المساء الأخير)، وبدر شاكر السيّاب في ديوانه (أساطير). وتتالت بعد ذلك الدواوين، وراحت دعوة الشعر الحر تتخذ مظهرًا أقوى، حتى راح بعض الشعراء يهجرون أسلوب الشطرين هجرًا قاطعًا ليستعملوا الأسلوب الجديد.

ثم تحدثت نازك عن المحاولات الأولى لنظم الشعر الحر، فوجدت أنها تتناول جانبين: أحدهما يتعلق بطبيعة الحركات الجديدة، وثانيهما يتصل بالشعر الحر نفسه. ففيما يتصل بالجانب الأول رأت نازك أن الشعر الحر قد بدأ حييًّا خجلاً ولا مناص من أن يحتوي على فجاجة البداية، وكل حركة جديدة تتعرض لمثل هذه الفجاجة، وهي تتطلب زمنًا لتدرك سنَّ النضج. أما الجانب الثاني فهو يتصل بالشعر الحر نفسه، فهو شعر جديد يختلف عن الموشحات الأندلسية، وعن شعر (البند) المعروف في العراق. وقد تعرض الشعر الحر لمعارضة كثير من الشعراء والنقاد في بادئ الأمر، ورأوا أنه نثر عادي لا شعر، وذلك قبل أن يستحكم نسجه وينتشر.

وتحذر نازك بعد ذلك من وهم سهولة النظم على الأوزان الحرّة، فمن يتصدى للنظم على هذه الأوزان يقع في مزالق خطرة، إن لم يراع ما يتطلبه قول الشعر على هذه الأوزان من جهد كبير، ومراعاة للموسيقا، واختيار الموضوعات المناسبة. فالحرية التي يتوهمها بعض الشعراء في الشعر الحر تؤدي بالشاعر إلى ركاكة الأسلوب وتفاهة المعاني، والمجافاة الموسيقية الخاصة بهذا الشعر، وإطالة الأشطر إطالة تفسد هذه الموسيقية. وقد أخذت على الشعراء الذين قالوا الشعر الحر

تكرار مطلع القصيدة في خاتمتها[١].

ومع حماسة نازك للشعر الحر الذي ابتكرته فإنها حذرت من طغيانه على جميع الشعر المعاصر، لأن أوزانه لا تصلح لجميع الموضوعات.

وفي الفصل الثاني من هذا القسم[٢] تحدثت نازك عن الجذور الاجتماعية لحركة الشعر الحر. فالتجديد حاجة ماسّة تفرضه عوامل اجتماعية داخلية وخارجية. ولكن المجتمعات تقف من محاولات التجديد موقف الريبة والتحفظ، فلا تقبل الجديد إلا بعد رفض طويل ومقاومة شديدة. وقد اتُّهم الشعراء المجددون بأنهم لجؤوا إلى هذا الشعر لسهولته وللتخلص من صعوبة الأوزان العربية.

وتذكر نازك أربعة عوامل اجتماعية أدّت إلى ظهور الشعر الحر، وهي النزوع إلى موافقة الواقع، والحنين إلى الاستقلال، والنفور من النموذج المتكرر، وإيثار المضمون على الشكل.

والباب الثاني من الكتاب[٣] يتناول الشعر الحر من الوجهة العروضية، فالشعر الحر هو ظاهرة عروضية قبل كل شيء، وهو إلى ذلك أسلوب في ترتيب التفاعيل يختلف عن أسلوب الشعر الخليلي، وكذلك يختلف عن أسلوب الموشحات والبند.

وتدخل نازك بعد ذلك في تفصيلات عروضية للشعر الحر، وأقرّت أن ثمة مشكلات عروضية في الشعر الحر تتصل بالزِّحافات والوتد المجموع والتدوير

(١) الكتاب ص ٢٥ وما بعدها.

(٢) الكتاب ص ٣٧ وما بعدها.

(٣) الكتاب ص ٥٠ وما بعدها.

والتشكيلات الخماسية والتُّساعية، وقد شرحت نازك كلاً من هذه المشكلات[١].

والباب الثالث من الكتاب عنوانه: الشعر الحر باعتبار أثره. ففي الفصل الأول من هذا الباب تحدثت نازك عن موقف الجمهور من الشعر الحر وإعراضه عنه، وأرجعت ذلك إلى أسباب ثلاثة هي:

١- العوامل التي تتصل بطبيعة الشعر الحر واختلافها عن طبيعة أسلوب الشطرين في الحقبة التي ظهر فيها الشعر الحر.

٢- العوامل التي نشأت عن ظروف الشعر العربي في الحقبة التي ظهر فيها الشعر الحر.

٣- عوامل سببها إهمال الشعراء الذين يكتبون الشعر الحر وضعف ذائقتهم الموسيقية.

وقد فصّلت القول في كل من هذه العوامل. فالسبب الرئيس في مقاومة الجمهور للشعر الحر هو في كون هذا الشعر خارجًا على أسلوب الوزن الذي ألفه العرب، والشعر الحر يجري على أسلوب الشطر الواحد لا الشطرين. ومن هذه العوامل ترجمة الشعر الغربي بأسلوب الشطر الواحد، وهو يقوم على تحويل الشعر إلى نثر. ومن هذه العوامل إهمال الشعراء لدى كتابتهم الشعر الحر في اتباع قواعده وفي ارتكاب الأخطاء العروضية.

وقد أوردت في الفصل الثاني من هذا الباب[٢] نماذج من الأخطاء العروضية، ومنها الخلط بين التشكيلات، والخلط بين الوحدات المتساوية شكلاً،

(١) الكتاب ص ٧٩ وما بعدها.

(٢) الكتاب ص١٢٠ وما بعدها.

والخطأ في التدوير، والتلاعب بالقافية وإهمالها.

والباب الرابع من الكتاب كسرته نازك على أمرين: أولهما (البند) والثاني قصيدة النثر. ففي حديثها عن البند الذي كان شائعًا في العراق في عصر سابق، رأت أنه أقرب أشكال الشعر العربي إلى الشعر الحر، لاستناده إلى بحر الهزج. وهو شعر لا يلتزم أسلوب الشطرين، وإنما هو مبني على تفعيلات بحر الهزج، يقصر شطره تارة فيكون في تفعيلتين، ويطول أحيانًا فيكون في ثلاث تفعيلات أو أكثر. وقد أوردت نموذجًا من بند ابن الخلفة. على أن هذ الضرب من الشعر ما لبث أن أدركه الإهمال.

وفي الفصل الثاني[1] من هذا الباب وقفت نازك عند قصيدة النثر. وموقفها منها سلبيٌّ معارض لأنها في نظرها لا تعدو أن تكون نثرًا موزَّعًا على أشطر. تقول في مستهل هذا الفصل: «شاعت في الجو الأدبي في لبنان بدعة غريبة في السنوات العشر الماضية، فأصبحت بعض المطابع تصدر كتبًا تضمُّ بين دفّاتها نثرًا طبيعيًّا مثل أي نثر آخر، غير أنها تكتب على أغلفتها كلمة (شعر) ويفتح القارئ تلك الكتب، متوهمًا أنه سيجد فيها قصائد مثل القصائد، فيها الوزن والإيقاع والقافية، غير أنه لا يجد من ذلك شيئًا، وإنما يطالعه في الكتاب نثر اعتيادي مما يقرأ في كتب النثر، وسرعان ما يلاحظ أن الكتاب خلو من أي أثر للشعر.

والحقيقة التي يعرفها المختصون والمتتبعون أن طائفة من أدباء لبنان يدعون اليوم إلى تسمية النثر شعرًا. وقد تبنّت مجلة (شعر) هذه الدعوة الركيكة الفارغة من المعنى وأحدثت حولها ضجيجًا مستمرًا لم تكن فيه صلة للأدب العربي ولا للغة

(١) الكتاب ص١٨٢ وما بعدها.

العربية ولا للأمة العربية نفسها».

وقد وجّهت نازك نقدًا عنيفًا للشاعر محمد الماغوط، رحمه الله، فرأت أن شعره نثر اعتيادي لا أثر فيه للوزن أو القافية؛ وحملت على أصحاب (قصيدة النثر) ورأت أنهم يريدون القضاء على الشعر بمعناه الأصيل.

وترى نازك أن ثمة كُتّابًا كبارًا كتبوا (النثر الشعري)، ومنهم مصطفى صادق الرافعي وجبران خليل جبران. وأروع مثال لهذا النثر هو القرآن الكريم، لأن فيه «كل ما في الشعر من إيحائية وخيال وثّاب وصور معبرة وألفاظ مختارة اختيارًا معجزًا»[(١)].

وقد ناقشت نازك أنصار قصيدة النثر من وجهتين: الوجهة اللغوية والوجهة النقدية. فقد تساوى لدى أصحاب قصيدة النثرِ الشعرُ والنثر، وهذا باطل لغويًا. ومن الوجهة النقدية رأت أن اعتماد هؤلاء على المضمون وحده، وعدم الاحتفال بالوزن يخالف تعريف الشعر الذي يجعل الوزن شرطًا من شروطه.

وقد أطالت نازك في نقدها لقصيدة النثر، وهي عندها، نثر لا شعر. والحقيقة التي عرفها الواقفون على بواطن الأمور، أن نشأة مجلة (شعر) لم تكن لبنانية صرفًا، بل كانت موجهة من جهة أجنبية، وهي التي موّلتها.

ومع ذلك فإنني أرى شعراء كبارًا، من ذوي الموهبة الشعرية الأصيلة، رأوا أن قصيدة النثر هي مستقبل الشعر العربي، ومن هؤلاء جبرا إبراهيم جبرا[(٢)]،

(١) الكتاب ص١٨٧.

(٢) انظر مجلة شعر، العدد ١٥.

وأدونيس[١]، ونزار قباني[٢].

على أنه مما يؤسف له أن ظهور قصيدة النثر أتاح لمن لا يملكون موهبة شعرية أصيلة أن ينشروا قصائد على هذا النهج ولكنها خالية من أي (شعرية) حقيقية، فهي كلام مرصوف لا معنى له، وليس فيه أي صورة فنية تُنبئ عن ذائقة فنية حقيقية. وهكذا أصبح لدينا آلاف من الشعراء في الأقطار العربية ينظمون قصائد النثر، وغايتهم أن يعلّق على صدورهم لافتة (أنا شاعر). وقلّما تخلو جريدة أو مجلة من هذا الشعر، وهو أدنى إلى اللغو منه إلى الشعر الحق. وإليكم نموذجًا من هذا الشعر:

نسي كل أبيه
وكل أُمّه
نسي بعض شقائه وأشقائه
أيها الشقي
تعبث هنا، حيث تتكرر المراثي
ثوب أجرد وأم خضراء

هذه خلاصة القسم الأول من كتاب نازك، وقد جعلته أربعة أبواب. والقسم الثاني منه عنوانه (فن الشعر)[٣]. وفي الفصل الأول منه تحدثت عن (هيكل القصيدة)، مع إقرارها أنها ترفض التمييز بين (المضمون) و (الصورة)، فهما شيء واحد، ولكنها – لضرورة الدراسة – اضطرت أن تنظر في عناصر القصيدة، وهي

(١) انظر مقدمة كتاب (زمن الشعر) لأدونيس.

(٢) انظر كتاب (ماهو الشعر) لنزار قباني ص١١٦.

(٣) الكتاب ص١٩٧ وما بعدها.

عندها: الموضوع، والهيكل، وقد وقفت وقفة قصيرة عند كل من هذين العنصرين. فهي ترى أن (الموضوع) لا شأن له في القصيدة ، فهو عنصر ثانوي من عناصرها، فهو أشبه بطينة في يد نحّات، يستطيع أن يصنع منها ما يشاء. ومن الممكن أن يُصاغ من موضوع واحد عشرات من القصائد، فلا دخل للموضوع في تكوين القصيدة.

ولكن الموضوع يغدو هامًّا حينما يختاره الشاعر لبناء القصيدة عليه، شريطة أن يكون واضحًا، خلافًا للموضوعات التي تدور حولها بعض القصائد، فلا يخرج القارئ منها بطائل، ولا ينبغي أن يكون للقصيدة موضوعات تتناول جوانب واسعة لا حدود لها من الأفكار والتصورات.

أما أهم عناصر القصيدة، في رأي نازك فهو (الهيكل) [(١)]، ووظيفته أن يجعل من القصيدة وحدة منسجمة، وأي هيكل ينبغي أن يشتمل على عناصر أربعة هي: التماسك، والصلابة، والكفاءة، والتعادل. وتشرح نازك ماتقصده بهذه العناصر الأربعة.

فالتماسك تريد به أن تكون النسب بين القيم العاطفية والفكرية متوازنة متناسقة، والمراد بالصلابة أن يكون الهيكل متميزًا عن التفاصيل التي يأتي بها الشاعر للتكوين العاطفي والتمثيل الفكري. وتَعني بالكفاءة احتواء الهيكل على كل ما يحتاج إليه لتكوين وحدة كاملة تتضمّن في داخلها تفاصيلها الضرورية كافة، دون أن يحتاج قارئ القصيدة إلى معلومات خارجية تساعده على الفهم. والكفاءة تقوم على أمرين: أولهما لغة القصيدة، فهي عنصر أساسي في كفاءة

(١) الكتاب ص٢٠١ وما بعدها.

الهيكل، وثانيهما أن تكون الصور في القصيدة من استعارات وتشبيهات وغيرهما واضحة في نطاق القصيدة.

أما التعادل فتريد به حصول التوازن بين مختلف عناصر الهيكل، وقيام نسبة منطقية بين النقطة العليا فيه والنقطة الختامية.

وقد جعلت نازك الهيكل ثلاثة أضرب: الهيكل المسطح، والهيكل الهرمي، والهيكل الذهني.

فالهيكل المسطح هو الذي يخلو من الحركة والزمن، ومن ذلك أن يصف الشاعر منظرًا خارجيًّا وما يتركه من أثر في نفسه، كوصف تمثال أو سفينة أو بركة. فهذا الهيكل خلو من الحركة، والشاعر يلجأ إلى أساليب يخلق بها الحركة فيسدّ الفراغ، وذلك باستعمال الصور والتشبيهات والتعبير عن العواطف. وقد مثَّلَت نازك لهذا الهيكل بقصيدة لنزار قباني عنوانُها (شُباك) من ديوانه (أنت لي)، ومنها قوله:

حُيّيت ياشُبّاكها الملفوف بالبنفسجِ
أصبحت ديرًا للشحارير ومأوى العوسجِ
لِسورك الرحيم أسرابُ السنونو تلتجي
ياجنّــة علــى الــسحاب غــضّة التــأرّج

فنزار يصف هنا شيئًا جامدًا هو الشُبّاك، وقف أمامه في لحظة معيّنة فوصفه، وتعاقب الصور غير مرتبط ارتباطًا عضويًّا، وإنما تقف كل صورة معزولة عن الصور الأخرى، حتى لنستطيع، إذا أردنا، أن نقدم بيتًا على بيت، والهيكل المسطح لا يتيح فرصة لقصيدة طويلة. وفي رأي نازك كل قصيدة جيدة لابد أن تحتوي على عنصر الحركة، على صورة من الصور، وإلا كانت

رديئة.

والهيكل الهرمي: هو الذي يمنح فيه الشاعرُ الأشياءَ بُعدها الرابع، وهو الحركة. فبدلاً من أن توصف الأشياء وهي ساكنة ذات ثلاثة أبعاد، يصف الشاعر الأشياء متحركة، متغيرة، مؤثرة فيما حولها. فالقصائد الهرمية لابد أن تتضمن (فعلاً) أو (حادثة).

ومن نماذج هذا الهيكل أوردت نازك قصيدة لعلي محمود طه من ديوانه (ليالي الملاّح التائه) عنوانها (التمثال). فالشاعر في هذه القصيدة يمضي كل صبح ليصطاد غرائب البر والبحر، ويعود في المساء ليلقي صيده على قدمي تمثاله. والشاعر هنا يصعد إلى النجوم ويهبط إلى أعماق البحر، ويجوب البراري وعصور التاريخ، بحثًا عن الحليّ التي يريد أن يتوجّ بها تمثاله الجميل. ومن القصيدة قوله:

أيها التمثال، هأنذا جئت ألقاك
في السكون العميق
حاملاً من غرائب البر والبحر
ومن كل محدث وعريق
ذاك صيدي الذي أعود به ليلاً
وأمضي إليه عند الشروق

وقد أطالت نازك في تحليل هذه القصيدة وبيان عناصرها الفنية المميزة.

والهيكل الذهني: هو الذي يصوّر فيه الشاعر عنصرَ الحركة في أسلوب فكري، ففي حين تستغرق الحركة زمنًا في الهيكل الهرمي، نجد الحركة هنا لا تستغرق أي زمن لأنها حركة في الذهن يقصد بها بناء هيكل فكري، لا وصف حدث يستغرق زمنًا. والشاعر هنا يناقش فكرة ويدعمها بالأمثلة. وخير من يمثل

هذا الهيكل شعراء المهجر: جبران ونعيمة وأبو ماضي.

وقد اختارت نازك لتمثيل هذا الهيكل قصيدة (العنقاء) لأبي ماضي من ديوانه (الجداول). ويريد أبو ماضي بالعنقاء السعادة، فقد أخذ يبحث عنها لعله يجدها. التمسها في الطبيعة وفي القصور وفي الزهد وفي الأحلام، فلم يجدها، وأدرك بعد فوات الوقت أنها كانت معه طوال الوقت وهو لا يدري. وفيما يلي نموذج منها:

أما رأيت الليلة الحالكة تجلو دجاها البرقة الساطعة
والطفلة المشرقة الضاحكة تحزنها لعبتها الضائعة
فإنني إليك يا برقتي
وإنني الطفلة يالعبتي
يا فرحتي أنت ويا دمعتي

والفكرة الأساسية في هذه القصيدة أن الشاعر يرى في حبيبته الحياة كلها. وقد عبر الشاعر عن هذه الفكرة بإدخال حركة ذهنية في القصيدة، فراح ينقل ذهن القارئ بين المظاهر المتعددة للفكرة دون أن يحتاج إلى استعمال الزمن.

وخلاصة القول في هيكل القصيدة (البنية) عند نازك أن موضوع القصيدة إما أن يدور حول منظر ساكن يراه الشاعر في لحظة معينة فيصفه، وهذا الهيكل يفتقد الحركة، وإما أن يدور حول موضوع يتحرك فيه الشاعر من نقطة إلى أخرى. وإما أن يكون الموضوع ذهنيًا يدور حول فكرة خطرت في بال الشاعر، ولا حاجة في هذا الهيكل إلى الزمن، كموضوع السعادة أو الموت أو الحرية.

في الفصل الثاني من هذا القسم[1] تتحدث نازك عن أساليب التكرار في

(١) الكتاب ص٢٣٠ وما بعدها.

الشعر. وظاهرة التكرار عرفها شعرنا القديم، ولكن الشعراء المعاصرين أكثروا من التكرار في أشعارهم.

والتكرار الجيد يغني المعنى إذا استطاع الشاعر أن يستعمله في موضعه، وإلا كان أسلوبًا رديئًا. والقاعدة في التكرار اللفظي أن يكون اللفظ المكرر وثيق الاتصال بالمعنى العام، وإلا كان مرفوضًا. وقد كثر في الشعر المعاصر تكرار كلمة في أول كل بيت من مجموعة أبيات متتالية، ولا يجيد هذا التكرار إلا الشعراء أولو الموهبة الشعرية الأصيلة. وقد أوردت نازك نموذجًا للتكرار الجيد من شعر محمود حسن إسماعيل نجد فيه تكرار لفظ (نسيتُ)، من ديوانه (أين المفر) يقول:

ونسيتُ الأنسام تنقل في المرج صلاة الطيور للغدران
ونسيت النجوم وهي على الأفق نشيد مبعثر الأوزان
ونسيت الربيع، وهو نديم الشعر والطير والهوى والأماني
ونسيت الخريف، وهو حبنا مات فسجّته شيبة الأغصان
ونسيت الظلام وهو أسى الأرض وتابوت شجوها الحيران
ونسيت الأكواخ، وهي قلوب داميات تلفّعت بالدخان
ونسيت القصور وهي قبور ضاحكات البلى من البهتان

وقد يقع التكرار في العبارة، وهو كثير في الشعر الجاهلي، ولا يكثر في شعرنا المعاصر. وقد يكرر الشاعر بيتًا كاملاً في ختام كل مقطوعة، ومثاله قصيدة ميخائيل نعيمة (الطمأنينة) من ديوان (همس الجفون)، ومنها:

سقف بيتي حديد ركن بيتي حجر
فاعصفي يا رياح وانتحب يا شجر
واسبحي يا غيوم واهطلي بالمطر

واقصفي يا رعود لست أخشى خطر
سقف بيتي حديد ركن بيتي حجر

ومثاله أيضًا قصيدة أبي ماضي التي يكرر فيها عبارة (لست أدري).

ومن ألوان التكرار تكرار حرف بعينه، ومثاله تكرار كاف التشبيه في قصيدة لأبي القاسم الشابي، ومنها:

عذبة أنتِ، كالطفولة، كالأحلام كاللحن، كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك، كالليلة القـ ـمراء، كالورد، كابتسام الوليد

ثم عقدت نازك فصلاً لبيان أصول التكرار بلاغيًّا ودوافعه النفسية. فالتكرار هو إلحاح على ناحية هامة في العبارة، وهو يخضع لقانون التوازن. فالتكرار نوع من الهندسة اللفظية الدقيقة التي لابد للشاعر أن يَعِيَها.

والغاية البيانية من التكرار تأكيد الكلمة المكررة أو العبارة.

ومن أنواع التكرار تكرار التقسيم، أي تكرار كلمة أو عبارة في ختام كل مقطوعة من القصيدة. والتكرار قد يكون ناجمًا عن شعور واع أو عن اللاشعور.

* * *

الباب الثاني من القسم الثاني[1]

تتحدث نازك في هذا الباب عن أمرين: الشعر والمجتمع، والشعر والموت.

لاحظت نازك أن الدعوةَ لاجتماعيةِ الشعر أصبحت تيارًا جارفًا طغى على مختلف وسائل الإعلام والأندية الأدبية، وهي لا ترى بأسًا في أن يعالج الشعر موضوعات اجتماعية، ولكنها تأخذ على هذه الدعوة جملة من المآخذ، منها: أنها

(١) الكتاب ص٢٦١ وما بعدها.

تتسلح بمجموعة من التعابير المبهمة مثل (الأبراج العاجية) و (المتهربون من الواقع) و (الشعراء الذاتيون)، والحماسة المفرطة لاجتماعية الشعر تبعدها عن الرصانة الفكرية. وتتساءل نازك: هل لهذه الدعوة تخطيط يدل على هيكل القصيدة ويعين على بنائه، أم هي تحديد للموضوع؟ وهذه الدعوة عالجت كل شيء إلا الجانب الشعري، فهي لم تتعرض له. ولهذا فإن هذه الدعوة في صورتها القائمة يوجه إليها نقد شديد من النواحي الفنية والإنسانية والوطنية والجمالية، فهي لا ترتكز على أسس فنية (شعرية).

فمن الوجهة الفنية حين تلح هذه الدعوة على أن الشعر يجب أن يكون اجتماعيًّا، فهي بذلك تُعنى بالموضوع ولا تهتم بسائر مقومات القصيدة.

ومن الوجهة الاجتماعية تنزع هذه الدعوة في صميمها إلى تجريد الشعر من العواطف الإنسانية، لأنها تحمل حملة عنيفة على المشاعر الذاتية والانعزالية والهرب من الواقع، وهي بذلك تتنكر للعواطف الفردية، ولا تقيم وزنًا لها، مع أن الشاعر مهما تكن درجة انعزاليته لا يستطيع أن ينجو من تأثير المجتمع في نفسه وطبيعته. فهذه الدعوة لا تستند إلى الواقع، وإنما تشيد لنفسها دعائم من هواء في فراغ خيالي.

وتطيل نازك في نقد هذه الدعوة فتعالج الناحية الوطنية وترى أن الدعوة الاجتماعية تتناسى أن آداب الأمم لا تستجيب للدعوات الخارجية.

وفي الفصل الثاني من هذا الباب[1] عالجت نازك موقف الشعراء من الموت وبدأت ببيان موقف أبي القاسم الشابّي من الموت، فهو عنده تجربة يقدم عليها، يقول:

جف سحر الحياة يا قلبي الباكي

(١) الكتاب ص٢٧٠ وما بعدها.

فهيّا نجرّب الموت هيّا

وشعر الشابّي في جملته ينبض بالحزن والألم وتصوير الموت، كما في قصيدته (النبي المجهول):

ثم تحت الصنوبر الناضر الحلو
خط السيول حفرة رمسي
وتظل الطيور تلغو على قبري
ويشدو النسيم فوقي بهمس
وتظلّ الصقور تمشي حواليّ كما كنّ في غضارة أمس

وتشبّه نازك موقف الشابي بموقف الشاعر الإنكليزي جون كيتسJ. Keats وهو الشاعر المفتون بالموت.

وثمة شاعر ثالث يقف الموقفَ عينَه من الموت هو محمد الهمشري، وقد أوردت نموذجًا من شعره يقول فيه:

أموت قرير العين فيك منعّمًا يخدّرني نفح من المرج عاطرُ
ويلحفني هذا البنفسج ولتكن مسارح عينيّ الرُّبا والمخاصر
وآخر ما أصغي إليه من الصّدى خريرك يفنى وهو في الموت سائر

وقد بلغ من ولعه بذكر الموت أنه كتب ملحمة كاملة سماها (شاطئ الأعراف)، تحدث فيها عن رحلته الأولى بعد الموت نحو الحياة الأخرى.

وثمة شاعر رابع صادَقَ الموت هو الشاعر الإنكليزي روبرت بروك Rupert Brooke.

وتتساءل نازك بعد ذلك عن العلاقة الممكنة بين هذا الولع الغريب بالموت، والوفاة المبكرة لهؤلاء الشعراء الأربعة، وهي تفسرها بحدة الإحساس والقدرة على

الانفعال العنيف لدى هؤلاء الشعراء.

والباب الثالث من هذا القسم وقفته نازك على نقد الشعر[١]. وعقدت لهذا الباب فصلين، أولهما: مزالق النقد المعاصر، وثانيهما: الناقد العربي والمسؤولية اللغوية.

وترى نازك أن النقد الأدبي رحلة يبدأ بها الأدب العفوي إحساسه بذاته، على أثر نضجه واكتمال نموّه، وشعور يفيض بالحيوية الناقدة التي لابد لها أن تنطلق. ولهذا يوجد الأدب قبل وجود النقد.

وقد لاحظت نازك في حديثها عن مزالق النقد المعاصر أن كثيرًا من النُّقاد المعاصرين يتحدثون — متأثرين بالدراسات النفسية الحديثة — عن حياة الشاعر وظروفه الاجتماعية والبيئية، مع أن اهتمام الناقد ينبغي أن يوجه إلى القصيدة لا إلى قائلها، فيُعنى ببيان ما فيها من القيم الجمالية والتعبيرية، في دراسة موضوعية خالصة يلاحظ من خلالها هيكل القصيدة وأداة التعبير والعاطفة.

ومن هذه المزالق عناية الناقد بما في القصيدة من أفكار وجعلها الأساس في نقده، ومن النُّقاد من يحكم على القصيدة من خلال الآراء والنظرات التي يحملها. والأمثل أن يتجرد الناقد من طغيان آرائه لدى تناوله القصيدة.

ومن المزالق أيضًا تجزئة القصيدة لدى نقدها والوقوف عند كل بيت من أبياتها عوضًا عن أن يدرسها كُلاًّ منسجمًا.

ومن النقاد من يعنون بأدائهم وأسلوبهم فلا يمس نقدهم القصيدة إلا مسًّا طفيفًا، ومنهم من يعنون بالمقدمات التاريخية المتصلة بموضوع القصيدة.

---

(١) الكتاب ص٢٨١ وما بعدها.

وفي الفصل الثاني من هذا الباب[١] أخذت نازك على طائفة من النُقَّاد المعاصرين عدم التفاتهم إلى مافي القصيدة من أخطاء نحوية ولغوية وغيرها، «وكأنهم بذلك يفترضون أن من حق أي إنسان أن يخرق القواعد الراسخة، وأن يصوغ الكلمات على غير القياس الوارد، وأن يبتدع أنماطًا من التعابير الركيكة التي تخدش السمع المرهف»[٢].

تلك هي خلاصة نظرات نازك في الشعر المعاصر، وقد وضّحَت رؤيتها لقضايا هذا الشعر، وهي رؤية عميقة شاملة، وقد لايوافقها فيها بعض النُقَّاد. ونحن نلاحظ أن مسالك النقد الأدبي لدى النُّقاد العرب المعاصرين متباينة تباين ثقافاتهم النقدية، وبوجه عام نرى أن النقد الأدبي لدينا مازال متعثّرًا في مسيرته، وأثر النقّاد الغربيين فيه ظاهر، ونحن بانتظار نشوء مذهب نقدي معاصر مستمد من تراثنا النقدي من نحو، ومن نظرة النُقَّاد الغربيين من نحو آخر.

(١) الكتاب ص٢٨٩ وما بعدها.

(٢) الكتاب ص٢٨٩ .

المدرسة الفارسية في دمشق

الدكتورة ليلى الصباغ

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

(القسم الأول)

سُئلت أثناء جولتي الميدانية في دمشق القديمة، لتقصي المعلومات عن هذه المدرسة، ولِمَ البحث في هذه المدرسة دون غيرها من المدارس القديمة السابقة في دمشق، ودمشق كانت تعجّ بالكثير منها؟ فمن المعروف أن عبد القادر النعيمي (٨٤٥– ٩٢٧هـ/١٤٤٢– ١٥٢)[(١)]، وهو مؤرخ تلك المدارس، قد بيَّن في كتابه((الدارس في تاريخ المدارس)) أن دمشق كانت مدينة تعليمية شديدة النشاط في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي وقبله. وتبدَّى هذا في ذلك العدد الكبير من دور التعليم التي كانت منتشرة في أرجائها. فقد تحدث عن

---

(١) من مؤرخي دمشق وعلماء الحديث. مولده ووفاته بدمشق، عاصر دخول العثمانيين بلاد الشام. له عدة مؤلفات، أشهرها الكتاب المذكور آنفًا: ((الدارس في تاريخ المدارس)). وقد حققه ونشره الأستاذ ((جعفر الحسني)) في جزأين، بطريق ((المجمع العلمي العربي بدمشق)) (١٣٦٧– ١٣٧١هـ / ١٩٤٨– ١٩٥٤م).

انظر ترجمته في: نجم الدين الغزي: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ٣ أجزاء، تحقيق: جبرائيل جبور. بيروت ١٩٤٥ – ١٩٥٩ ، ج١/ ٢٥٠.

وفي: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ أجزاء، القاهرة، ١٣٥٠هـ؛ جـ٨/ ١٥٣ – وفي الزركلي: الأعلام الطبعة الثالثة، ٩ أجزاء وثلاثة ملاحق. بيروت ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩، ج٤/ ١٦٨ – وفي: جعفر الحسني: مقدمة الدارس في تاريخ المدارس، ج١، د هـ.

وجود (٧) سبع من « دور القرآن » [٢] فيها، و (١٦) ست عشرة من « دور الحديث » [٣]، و (٣) ثلاث من الدور المشتركة لتعليم القرآن والحديث[٤]، وأورد أسماء (١٢٩) مئة وتسع وعشرين مدرسة، تدرّس «علوم الدين» وتوابعها، موزعة على المذاهب السُّنِّيَّة الأربعة: الشافعي، والحنفي، والمالكي، والحنبلي[٥]، وأضاف إليها ثلاث مدارس لتعليم «الطب»[٦]، عدا (٢٩) تسعٍ وعشرين من «الخانقاهات»[٧]، و (٢١) وواحد وعشرين من « الرباطات »[٨]، و (٢٦) ست وعشرين من « الزوايا» [٩]، و (٧٩) تسع وسبعين من «التُرَب»[١٠]،

(٢) ج١/ ٧- ١٨.

(٣) ج١/ ١٩- ١٢٢.

(٤) ج١/ ١٢٣- ١٢٨.

(٥) خصَّ «الشافعية» منها بثلاثٍ وستين مدرسة (ج١/ ١٢٩- ١٧٢) – والحنفية بِثِنْتَيْن وخمسين مدرسة (ج١/ ٤١٣- ٦٥٠)– والمالكية بأربع مدارس (ج٢/٣-٢٨) – والحنبلية بإحدى عشرة مدرسة (ج٢/ ٢٩- ١٢٦).

(٦) ج٢/ ١٢٧ - ١٣٧.

(٧) «الخانقاه»: كلمة فارسية، تعني مؤسسة مخصصة لمتصوفة طريقة ما.
انظر مادة khankah في دائرة المعارف الإسلامية – الطبعة الجديدة بالفرنسية (E.t^2) المجلد ٤،ص١٠٥٧-١٠٥٨. وكان «النعيمي» قد عرّفها التعريف ذاته في كتابه المذكور آنفًا (ج٢/١٩٥) بقوله نقلاً عن «كمال الدين الدميري» بأن «الخانكاه» بالكاف، هي بالعجمية «دار الصوفية»، ولم يتعرض للفرق بينها وبين الزاوية والرباط.

(٨) «الرباط»: منشأة دينية وحربية جهادية في آن واحد، يجتمع فيها المسلمون للجهاد. (انظر: دائرة المعارف الإسلامية المعرّبة، ج ١٠/ ١- ٢٤) وقد أضاف «النعيمي» إلى هذا المعنى قوله: «هو المكان المسبَّل للأفعال الصالحة والعبادة». ودعَّم قوله بأحاديث لرسول الله ﷺ.

(٩) «الزاوية» في الأصل هي «الصومعة»، إلا أنها أصبحت تطلق مع الزمن على المؤسسة التي

و(٢٧٤) مئتين وأربعة وسبعين من المساجد داخل دمشق[١١] و (٣٢٥) ثلاثمئة وخمسة وعشرين في ضواحيها وما حولها[١٢]، و (٣١) واحد وثلاثين جامعًا[١٣]. وإذا كانت تلك المراكز التعليمية لم تعمل كلها في آن واحد، أو وُجِدت متفرقة أثناء العصور المتتالية، فبعضها نشط واشتد عوده، وبعضها الآخر ذبل أمره وتداعى، تبعًا للأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية التي كانت تمر بها البلاد؛ إلا أنَّه من المؤكد أنه كان في دمشق حركة تعليمية فعالة في أغلب تلك الدور في مطالع القرن التاسع الهجري وما قبله، بدليل ما ورد عن التدريس والمدرسين فيها أثناء تلك المرحلة.

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع للبحث أمران متكاملان فيما بينهما، أولهما عام، يخص مدارس دمشق القديمة بمجموعها، وذلك لِتَعَرُّفِ مدى

=

يقيم فيها المتصوفة، شأنها شأن «الخانقاه» و «التكية». وفيها عادة مسجد، ومدرسة لتعليم المريدين، وغرف للطلبة، والمسافرين، والحجاج. انظر: دائرة المعارف الإسلامية المعرَّبة (ج١٠/ ٢٣١- ٢٣٣). وتحدث «النعيمي» عن «الزوايا» في ج٢/ ١٦- ٢٢٢.

(١٠) «التُرَب»: جَمْع تُربة. وتُربة الإنسان أي رمسه أو قبره. ويلاحظ أنه في زمن الأيوبيين في سورية ومصر بوجه خاص أخذت بعض الشخصيات الإسلامية السياسية، أو الثريّة، تقيم مقبرة خاصة وتُعِدُّها لدفنها، ودفن بعض أفراد أسرتها فيها، وتجعل فيها إلى جانبها مسجدًا ، وترتب فيها قراءً لقراءة القرآن الكريم، ومدرسين وفقهاء، وكتبًا لإلقاء الدروس الدينية، وتغدق عليها أوقافًا وفيرة. وبذلك تحولت الترب إلى دور تعليم؛ وقد أفرد النعيمي لهذه الترب صفحات في كتابه، ج٢/ ٢٢٣ - ٣٠٢.

(١١) ج٢/ ٣٠٣- ٣٣٨.

(١٢) ج٢/ ٣٣٩ – ٣٧٠.

(١٣) **الجامع**: هو المسجد الذي تقام فيه عادة صلاة الجمعة، ويضم لهذا الغرض مجموع المسلمين. ولعدد الجوامع، انظر المصدر نفسه ج٢/ ٣٧١ –٤٤٤ .

نشاطها أثناء الحقبة التي تلت تأريخ «النعيمي» لها؛ وثانيهما خاص «بالمدرسة الفارسية» نفسها، إذ عثرتُ ضمن «وثائق المحاكم الشرعية بدمشق» في أواخر القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر للميلاد، وفي النصف الأول من القرن الثاني عشر للهجرة / الثامن عشر للميلاد، على عدد من الوثائق التي تلقي بعض الضوء على تلك المدرسة وأوقافها، وطرف من سيرة حياتها المادية والفكرية؛ التي قد تشبه في الواقع سيرة أية مدرسة من تلك المدارس، من ناحية النشأة وتنظيم العمل، والعاملين فيها، والمستفيدين منها علميًا وماديًا، وقضاياها بوجهٍ خاص مع المتولين عليها وأطماعهم بغلَّتِها، وذلك قبل أن يصيبها الزمن بكلكله، وتفقد دمشق المعاصرة الإشعاع الثقافي والفكري — التعليمي، الذي كان من سمات مجموع تلك المدارس، والذي عُرفت به في الأزمنة السابقة. فهي إذًا نموذج شبه كامل وموثق لبنية تلك المدارس، وتطورها مع الزمن.

والدافع إلى الحديث في الأمر الأول، هو أن الباحث يلاحظ عند قراءة ما دوّنه بعض المؤرخين العرب، المهتمين بالنشاط التعليمي— المدرسي، في أواخر القرن التاسع الهجري، والعقود الأولى من القرن العاشر/ الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، أنهم يؤكدون أن تلك المدارس الدمشقية قد خبا نشاطها ومالت إلى خراب. ونسبوا إلى الدولة المملوكية الجركسية في أواخر عهدها، وإلى الدولة العثمانية التي حلّت محلها في الربع الأول من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، مسؤوليةَ ذلك الضياع الثقافي والتعليمي، وخسارة تلك المراكز التعليمية أوقافَها، التي كانت تمدها بالحيوية والفعالية. فالمؤرخ أبو البقاء تقي الدين عبد الله ابن محمد البدري المصري، الوفائي[١٤] يقول في كتابه «نزهة الأنام في محاسن

(١٤) مؤرخ كان له باع في الشعر والتاريخ (٨٤٧– ٨٨٧هـ / ١٤٤٣– ١٤٨٣م) له عدد

الشام» ، عند حديثه عن «الصالحية»، وهي من قرى دمشق وضواحيها الهامة آنذاك، مايلي: ومن محاسن الشام «الصالحية»[١٥]، المشحونة بالزوايا والتُرب، والمدارس، حتى إن بها قصبة دون ميل تمشي فيها بين تُرَب ومدارس، ببناء جميل، استولى عليها «المباشرون»[١٦] و«النظّار»[١٧]، وأزالوا منها العَيْن، ولم يبق سوى الآثار. فكم من مدرسة اندرست بعد الصلاة والتراويح، وأمست في ظلمة بعد

=

من المؤلفات وديوان شعر. من كتبه «نزهة الأنام في محاسن الشام»، وقد طبع في القاهرة سنة١٣٤١هـ . ومن مؤلفاته أيضًا: بصرة أولي الأبصار في انقراض القمر بين الليل والنهار».

انظر: محمد أديب تقي الدين الحصني: منتخبات التواريخ لدمشق. ٣ أجزاء في كتاب واحد. بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م، ج٢/ ٥٦٠.

(١٥) حي كبير من الأحياء الرئيسة في دمشق الآن. وكان سابقًا قرية تقع شمال دمشق، وفي سفح جبل قاسيون: وقد امتد إليها العمران منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر للميلاد. وزخرت في العهدين الأيوبي والمملوكي بالمدارس، والمساجد والتُرب، والزوايا. وتابعت نموها العمراني والسكاني خلال المرحلة العثمانية والمرحلة الاستقلالية المعاصرة.

انظر حول تاريخها: ابن طولون: القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيق: محمد أحمد دهمان – جزءان ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠م

(١٦) المباشِر: هو رئيس عمل حكومي، وقد يكون موظفًا مكلفًا بمهمة خاصة، كجباية الضرائب لمصلحة الخزينة. وقد يقصد به الموظف الكبير أو الرئيسي في الدولة.

انظر: غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري: كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك صححه بولس راويس ، باريس ١٨٩٤ م / ٩٦، ١٣١.

Dozy (دوزي): الملحق بالمعاجم العربية:

Supplément aux dictionnaires arabes 2vols - vol I, 89.

(١٧) جَمع ناظر. والمقصود به: ناظر الوقف، أي المفتش عليه، إذ كان على كل وقف مُتَوَلٍّ يقوم بالإشراف عليه، وناظر يفتش على المتولي وعمله.

تلك المصابيح، وهي تقول: أصبحتُ حاصلاً[١٨] بعدما كان إيواني»[١٩] بالقرّاء عامرًا آهلاً؛ وهذه تقول: أصبحت مربطًا للبهائم، بعدما كنت معبدًا للقائم والصائم؛ وهذه تقول: اتخذوني مسكنًا؛ وهذه تقول: جعلوني متبنًا[٢٠]. وهذه تقول: هدّوني وأخذوا سقفي وكشفوني؛ وهذه تقول: أخربوا جداري، وباعوا الباب، وجعلوني مأوى للكلاب؛ والأوقاف تستغيث إلى المولى المغيث فيقال لهم: اسمعوا كلام الرحمن في مُحكم القرآن: ﴿إِنَّ إِلَينا إِيابَهُم ثُمَّ إِنَّ عَلَينا حِسَابَهُم﴾[٢١]. فيا شَوْقاه لحسن «الجركسية»[٢٢]، وحلاوة «الرُّكنية»[٢٣].

(١٨) الحاصل: مخزن للحبوب. دوزي: المجلد الأول /296.

(١٩) إيوان: كلمة فارسية معرّبة. ويعني قاعة الاستقبال عند ملوك الساسانيين. وهي بهو كبير، مربع الشكل جهته الرابعة مفتوحة لا جدار لها. وقد صُحِّفَت الكلمة في مصر والشام إلى «ليوان»، وهي حجرة تُشبه «الإيوان». وكان «الإيوان» عنصرًا معماريًا أساسيًا في بناء المدارس، إذ كان يفتح على الساحة الهوائية وسط المدرسة.

انظر: «كليمان هيوار» huart: «إيوان» في دائرة المعارف الإسلامية المعربة، ج٣/ ٢١٦. و Madrasa: Hillenbrand (k) (architecture) في دائرة المعارف الإسلامية الجديدة (Ei^2)، المجلد الخامس/ ١١٣١– ١١٣٢.

(٢٠) المِتْبن: المكان الذي يوضع فيه «التبن»، كي تتناوله الحيوانات. و «التبن» هو قش القمح.

(٢١) سورة «الغاشية»، رقم (٨٨)، الآيتان (٢٥) و (٢٦).

(٢٢) أو «المدرسة الجهاركسية» بالصالحية. وهي مدرسة مشتركة للمذهبين الحنفي والشافعي.. وقد وقفها «فخر الدين جركسي الصلاحي» المتوفى ٦٠٨هـ/ ١٢١١م، وهو أحد أمراء «الدولة الأيوبية»، في عهد السلطان «العادل» أخي «صلاح الدين». والمدرسة تقع فوق نهر يزيد، وتنسب إليها اليوم المحلة كلها. وقد اندرست المدرسة ولم يبق منها سوى قبتين كبيرتين أعلاهما متهدم، وبعض جدرانهما.

انظر: النعيمي، المصدر نفسه، ج١/ ٤٩٦– ٤٩٨ – وكرد علي (محمد): خطط الشام، ج٦/ ٨٩

(٢٣) هي «المدرسة الركنية البرانية»، وهي بسفح قاسيون، ومنشئها الأمير «ركن الدين

ويالهَفاه على ((جامع الأفرم))[٢٤] و ((الناصرية))[٢٥]. تغيرت تلك المعاهد، وغُلِّقت أبواب تلك المساجد والمعابد. ﴿إِنَّا لِلّهِ وإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُون﴾[٢٦]، إن هذا لهو البلاء الجسيم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم[٢٧].

وتتردد هذه النغمة الحزينة المتشائمة على دور العلم في دمشق، في أقوال

=

منكورس الفلكي)).وهو عتيق ((فلك الدين)) أخي ((الملك العادل الأيوبي)) لأمه؛ وقد توفي سنة ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م. وتقع اليوم في ((حي الأكراد)). وقد اختلست منها قطعة وجعلت دورًا. ولا يزال في حائطها كتابات كوفية، وكانت للمذهب الحنفي.

النعيمي: المصدر نفسه. ج١/ ٥١٩- ٥٢١ —كرد علي: المصدر نفسه، ج٦/ ٩٠ .

(٢٤) جامع الأَفْرَم: يقع غربي ((الصالحية))، وقد أنشأه نائب دمشق المملوكي ((جمال الدين آقوش الأشرم الجركسي)) من مماليك ((الملك المنصور قلاوون)). وقد تم بناؤه سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م. ولا يزال الجامع قائمًا إلى اليوم. وقد خرب ماحوله في فتنة ((تيمورلنك))، إلا أنه ظل محتفظًا بتخطيطه وأكثر زخارفه الجميلة. وفي ولاية مدحت باشا العثماني في القرن التاسع عشر هُدم مع كثير من الأبنية، إلا أن بعض أهل بخارى جددوه، وتممه السيد ((محمود القوتلي)).

– النعيمي: المصدر نفسه، ج٢/ ٤٣٥ —الحصني: منتخبات التواريخ لدمشق. ج٣/ ١٠٤٤ — محمد أحمد دهمان: دمشق في عهد المماليك. دمشق ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م؛ / ١٠٤- ١٠٦.

(٢٥) هي ((المدرسة الناصرية البرانية)). وكانت تقع بمحلة الفواخير من سفح جبل قاسيون. وهي ((دار حديث)). وقد أنشأها ((الملك الناصر صلاح الدين، ابن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين الأيوبي))، سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٤م. وقد بقيت عامرة يقرأ فيها ويُصلَّى إلى سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م. وبعدها دُرست وصارت حديقة.

النعيمي: المصدر نفسه، ج١/ ١١٥- ١٢٢ ، الحصني: المصدر نفسه/ ٩٤١- ٩٤٢ —كرد علي: المصدر نفسه، ج٦/٧٤.

(٢٦) سورة البقرة (٢) — آية (١٥٦).

(٢٧) نزهة الأنام — مصدر سابق / ٣٢٠- ٣٢١.

مؤرخها «محمد بن علي بن أحمد بن طولون» [٢٨]، الذي عاصر هو الآخر سقوط الدولة المملوكية؛ ودخول العثمانيين بلاد الشام سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م. ففي فقرات متعددة من تاريخه «مُفاكهة الخلاّن في حوادث الزمان» ، يتحدث بطريق مباشر وغير مباشر عن تلاعب «نظار» أوقاف المدارس، وبيعها لمصلحتهم، أو بيع أجزاء منها[٢٩]، أو اقتراضهم على غلتها[٣٠].

ويبدو أن التلاعب بأوقاف المدارس في أواخر العهد المملوكي كان جزءًا من عملية اللعب بمجموع الأوقاف. وكان يشترك في ذلك القابضون على السلطة السياسية أنفسهم في دمشق، أي نواب السلطان، ومن كانت ترسله القاهرة بين آونة وأخرى من «خاصّكيَّة»[٣١]، باسم «الكشف عن الأوقاف»[٣٢]، ويبدو أن

(٢٨) مؤرخ وعالم بالفقه والحديث مولده ووفاته بدمشق (٨٨٠– ٩٥٣هـ/ ١٤٧٥ – ١٥٤٦م). خلّف كثيرًا من المؤلفات، وفي موضوعات متنوعة. أشهر مؤلفاته المحققة: «القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية»، و «مفاكهة الخلان» و «إعلام الورى بمن ولي نائبًا من الأتراك، بدمشق الشام الكبرى» – انظر: الأعلام، ج٧/ ١٨٤– ١٨٥.
ونجم الدين الغزي: الكواكب السائرة، ج٢/ ٢٢– ابن طولون (نفسه): الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون، دمشق، ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م. وهو ترجمة لنفسه.

(٢٩) يؤكد ابن طولون في أخبار سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م في كتابه «مفاكهة الخلاَّن»، أن ناظر أوقاف المدرستين الإقباليتين بدمشق باع منها أماكن «فدادين» في السموقة (قرية)، كل فدان بألف درهم لبعض من لا يخاف الله. ج١/ ٣٤٦.

(٣٠) يذكر «ابن طولون» في المصدر نفسه أيضًا، أن «القاضي الشافعي» قد تسلَّف على ما تغلّه «المدرسة الشامية البرانية و الغزالية، والنّاصريتان والتقوية» (ج١/ ٣٣١).

(٣١) الخاصَّكيّة: جمع «خاصَّكي». وهي كلمة فارسية تركية، وكان يوصف بها «أعضاء الخدمة الخاصة» لدى السلاطين، وفي عهد المماليك كانت تطلق على الحرس الخاص بالسلطان. ومعظم الأعضاء كانوا من معتقي السلطان الحاكم (المشتروات). وكان أكثرهم

بيع الأوقاف قد تفشَّى وعمّ، وكان للقضاة يد فيه إذ كانوا يُبيحون هذا الأمر(٣٣). وقد دفعت هذه الظاهرة الخطيرة السلطان إلى إصدار مرسوم سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م بإبطال بيعها(٣٤)، ولكن دون جدوى. إذ إن اللعب بأوقاف المدارس غدا علنيًّا، حتى إنه ظهر في دمشق من أطلق عليه اسم «دلاّل وقف المدارس» (٣٥).

ولما سقطت الدولة المملوكية سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، وحلّت محلها «الدولة العثمانية» ببلاد الشام، أرادت أن تحصر الأوقاف فيها عامة، وأوقاف المدارس خاصة، فدعت كل من كان له «مستند» على وقف جامع، أو مدرسة، أو مسجد، أو تربة، أو خانقاه، أن يُحضره بعد أن يقيم الحساب على سنة اثنتين وعشرين وتسعمئة وتاليتها(٣٦).

وَسَعَتْ لدى المؤرخ «عبد القادر النعيمي» الذي كان قد دوّن في مصنفه معظم أوقاف دور العلم المتنوعة، أن يسلّمها ذلك المصنّف، إلا أنه رفض. وطلب إلى المسؤولين أن يكتفوا بقوائم كشف الأوقاف التي حصلوا عليها. وقد قام هؤلاء ومعهم

=

يصل إلى رتبة «أمير». ويرسلون بمهمات خاصة إلى داخل البلاد وخارجها. وكان بعضهم يُعين نوابًا على النيابات الشامية.

D. Ayalon: khassakiyya, Ei^2, /Vol. IV, P.1130- 1131.

(٣٢) يبدو أنه كان يجري نوع من الاتفاق بين «الخاصَّكيَّة» وبين نائب دمشق على رمي مبلغ من المال على تلك الأوقاف يتقاسمانه فيما بينهما. وقد يكون السلطان نفسه شريكًا في ذلك. (مفاكهة الخلان ج١/ ١٧١، ١٧٦، ٢٢٧، ٢٤٨).

(٣٣) مفاكهة الخلان ج١/ ٣٤٦.

(٣٤) المصدر نفسه، ج١/ ٣٤٩.

(٣٥) المصدر نفسه، ج١/ ٣٧٨.

(٣٦) المصدر نفسه، ج٢/ ٦٥.

القاضي الرومي (العثماني) بزيارة الصالحية للكشف عن مدارسها وأوقافها. وقد رافقهم المؤرخ «ابن طولون» نفسه، وكان ينبههم إلى المدارس العامرة وغير العامرة.

ولكن على الرغم من عملية حصر الأوقاف تلك في بدايات العهد العثماني، فإن «اللعب بأوقاف المدارس» لم يتوقف. إذ تابع نائب دمشق العثماني «جانبردي الغزالي»[٣٧] خطة سابقيه، فوضع يده على «المدرسة الشامية البرانية»[٣٨]، وعلى «جامع تنكز»[٣٩]. ومدارس أخرى.

ولا يتعرض «ابن طولون» لسرقة أوقاف المدارس فحسب، وإنما يبين أيضًا توقف نشاط بعض تلك المدارس، بسبب تسليم التعليم فيها، وأوقافها، لعدد من المدرسين الأتراك الجهلاء، الذين لم يكن لهم من همٍّ سوى الاستيلاء على متحصلها، وهذا كان مصير عدد من المدارس التي توقف التدريس فيها. وفي الواقع تابع «نظار

(٣٧) من كبار المماليك. كان نائبًا على حماة، تعاون مع السلطان سليم العثماني عند دخوله إلى سورية ومصر، فعيّنه السلطان سليم واليًا على بلاد الشام. إلا أنه بعد وفاة السلطان سليم، أعلن ثورته على الحكم العثماني واستقلاله ببلاد الشام. وأخمدت الدولة العثمانية ثورته في عهد السلطان «سليمان القانوني»، وانتهى أمره بالقتل سنة ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م.
انظر: ترجمته في ابن طولون: إعلام الورى بمن ولي نائبًا من الأتراك بدمشق الكبرى. تحقيق محمد أحمد دهمان، دمشق، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٤م/ ١٩٢– ٢٢٩.

(٣٨) تقع في منطقة العقيبة بمحلة العونية في دمشق — وهي اليوم في سوق صاروجة وهي عامرة وتعرف أيضًا بالحسامية. أنشأتها ست الشام ودفنت فيها، وقد رممتها مديرية الأوقاف السورية في الأربعينيات من القرن الماضي بإشراف مديرية الآثار.
– النعيمي: المصدر نفسه، ج١/ ٢٧٧– ٣٠٠ — الحصني: المصدر نفسه، / ٩٤٦.

(٣٩) يقع ظاهر باب النصر تجاه حكر السمّاق على نهر بانياس في دمشق. وقد بناه نائب دمشق المملوكي المتوفى سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م. وقد أحضرت جثة «تنكز» مصبَّرة من الإسكندرية بعد قتل السلطان له ليوارى في تربته إلى جانب الجامع.
– النعيمي: المصدر نفسه/ ج٢/ ٤٢٥– ٤٢٦ — العلموي: المصدر نفسه/ ١٠٢.

الأوقاف» الأتراك كأمثالهم النظار السابقين، عمليةَ التخريب للأوقاف والاستيلاء عليها. ومع أن الدولة العثمانية سعت لاتخاذ إجراءات عقابية صارمة تجاه من يثبت عليه ذلك، فإنَّ «سنان القرماني» [٤٠] ناظر البيمارستان النوري[٤١]، و«الجامع الأموي»، باع بُسُط الجامع وحصره حتى قال «محمد أبو الفتح المالكي»[٤٢]، العالم والشاعر في أوقاف الجامع الأموي، حاكيًا لسان حال الجامع مايلي:

يقولُ على ما قيلَ جامِعُ حِلِّقٍ أَمُ لم يَكُ قاضي الشام عنّي مسؤولا[٤٣]
يُسَلَّمُ للأعاجمِ وقفي لأُكلِه ويَروي لهم عني كِتاب ابن ماكولا[٤٤]

(٤٠) من الأتراك العثمانيين: وهو والد «أحمد جلبي القرماني» ناظر أوقاف الحرمين الشريفين بدمشق. وقد شنق سنة ٩٦٦هـ / ١٥٥٩م، لما فعله في الجامع وفي «المدرسة الصمصامية».– نجم الدين الغزي: الكواكب السائرة، ج٢/ ١٤٩.

(٤١) هو «المشفى النوري». ويقع في زقاق البيمارستان داخل دمشق بناه «نور الدين الزنكي» سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م. وقد حُوِّل في يومنا هذا إلى متحف. وقد ظل عامرًا حتى سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩ – ١٩٠٠م .

انظر: أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، دمشق ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٩م/ ٢٠٦، و شوكت الشطي، موجز تاريخ الطب، دمشق ١٩٥٩/ ٢٢– ٢٣.

(٤٢) هو محمد بن عبد السلام بن أحمد التونسي الأصل، المالكي المذهب، نزيل دمشق، (٩٠١– ٩٧٥هـ/ ١٤٩٦– ١٥٦٧م). فقيه، وعلامة في النحو والصرف والمعاني والبديع والعروض والمنطق. وهو أديب وشاعر، ولي نيابة القضاء زمنًا طويلاً .

– انظر – الكواكب السائرة ج٣/ ٢١– ٢٦ والحنبلي: در الحبب ج٢/ ١٤٣.

(٤٣) حِلِّق: اسم لموقع قرب دمشق اتخذه غساسنة الشام أحد مقار إقامتهم. ويبدو أنه كان جنوبي دمشق. ولم يلبث هذا الاسم أن أطلق على دمشق وغوطتها.

– دائرة المعارف الإسلامية الجديدة بالفرنسية: N. Elisseeff, Djillik, E.i2. Vol. II, 554.

(٤٤) ابن ماكولا: هو علي بن هبة الله (٤٢١– ٤٨٦هـ/ ١٠٣٠– ١٠٩٣م). أمير ومؤرخ، وشاعر، أصله من نواحي أصبهان في فارس. ولد قرب بغداد وتنقل بين مصر والشام وما وراء

أبَعْد فتى **السِّبْكي** أُعْطى لسَيْبَكٍ وبَعْد الإمامِ **الزَنكَلوني لِزَنكولا**[٤٥]

=

النهر وخراسان. وهو من العلماء الحفَّاظ. قتله غلمان له من الترك، طمعًا بماله. من كتبه المشهورة: «الإكمال في المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب» – ابن خلّكان: وفيات الأعيان، ج١/ ٣٣٣ – الزركلي، الأعلام، ج٥/ ١٨٣.

(٤٥) يضم هذا الهامش شروح ما أتى في مجموع بيت الشعر من مفردات:

– **السِبْكي**: لا يعرف بالضبط، من المقصود بـ «السُبْكي» هنا: فهناك عدد من أفراد هذه الأسرة اشتهر بالعلم، وتسنَّم منصب قاضي قضاة الشافعية في مصر والشام. فهناك «بهاء الدين السبكي» (٧٠٧– ٧٧٧هـ/ ١٣٠٧– ١٣٧٥) [انظر: ترجمته في النعيمي، المصدر نفسه، ج١/ ٣٨– ٣٩). و «تاج الدين السبكي» (٧٢٧– ٧٧١هـ/ ١٣٢٦ – ١٣٦٩م) [النعيمي: المصدر نفسه، ج١/ ٣٧– ٣٨] و ولي الدين السبكي (٧٣٥ – ٧٨٥هـ/ ١٣٣٤ – ١٣٨٣م) [المصدر نفسه، ج١/ ٣٩– ٤٠]. وقبلهم «تقي الدين السبكي» (٦٨٣– ٧٥٦هـ/ ١٢٨٤ – ١٣٥٥م) [المصدر نفسه، ج١/ ٣٥– ٣٦]. ولعلّه يقصد بـ «الفتى السبكي» أصغر آل السبكي سنًا، وهو «ولي الدين» المذكور آنفًا، وقد أفتى ودرّس في دمشق وناب في القضاء، وولي الخطابة. أو «جمال الدين السبكي» وقد توفي شابًا (٧٢٢– ٧٥٥هـ/ ١٣٢٢– ١٣٥٤م)، وقد عرف بعلمه وقضائه العادل [النعيمي، ج١/ ٢٣٩– ٢٤٠].

– **السَيْبَك**: أنبوب يوضع بين فخذي الطفل في المهد ليبول فيه. والكلمة عامية على ما يبدو، والشاعر يشبه هنا من وُكِلَ إليه أمر الجامع الأموي، ذلك التشبيه المقذع ليدل على انحطاط مستوى النظارة به. مع استخدامه أحرف كلمة «السبكي» محرفة عن مواقعها.

– انظر دوزي باللغة الفرنسية الملحق بالمعاجم العربية ج١/٦٢٨– ٦٢٩.

– **الزَنْكَلُوني**: هو أبو بكر بن إسماعيل مجد الدين (٦٧٩– ٧٤٠هـ / ١٢٨٠– ١٣٣٩ م). نسبته إلى قرية «زَنكَلون» من قرى شرقية مصر. عاش وتوفي في مصر، ورحل إلى دمشق. له تصانيف في فقه الشافعية. ولكن لم يُعرف أنه درّس في الجامع الأموي، أو كان ناظرًا لوقفه إلا أن «بهاء الدين السبكي» المشار إليه في الحاشية السابقة تلمذ له.

– انظر النعيمي: المصدر نفسه ج١/ ٣٨ – ابن حجر العسقلاني. الدرر الكامنة

أقاموا لي قِردًا بشباك مَشْهَدٍ وَضمُّوا له قِرْدًا على الرَفضِ مَجْبولا[٤٦]
يؤمِّل كلٌ أكْلَ مَالي بأثْرِه فلابَلّغَ اللهَ الأعاجمَ مأمولا

بل إن «ستان القرماني» ذاك، خرّب أيضًا «المدرسة المالكية» ، قرب «البيمارستان النوري» المعروفة بـ «الصمصامية» [٤٧]، فشُنق بسبب أفعاله تلك،

=

ج١/٤٤١ – الأعلام ج٢/ ٣٦ .

- **زِنْكولا**: لا تبدو المفردة كلمة أو اسمًا معروفًا، إلا إذا كانت قد نحتت من كلمة زانكي، وتعني بالعامية «لص». – دوزي، المصدر السابق بالفرنسية، ج١/٦٠٧.

وهناك أيضًا كلمة «زُنكلَة». وتعني طعامًا يصنع من العجين والسكر ولكنها لاتؤدي المعنى المقصود. دوزي ، المصدر نفسه، ج١/٦٠٧ – ٦٠٨.

(٤٦) هذه الحاشية تشرح مفردات البيت:

- **مَشْهَد**: مبنى إسلامي يضم عادة قبر وليّ، أو يُخَصَّص لأحد الصالحين دون أن يكون مدفونًا فيه؛ وكان في الجامع الأموي عدة مشاهد، منها مشهد «أبي بكر الصديق»، ومشهد «علي زين العابدين»، ومشهد «عروة» وغيره.

- انظر: صلاح الدين المنجد، مسجد دمشق، دمشق ١٩٤٨/ ٢٠- ٣٣.

- **الرفض**: يقصد بهذا التعبير عادة في عرف ذلك العصر، «التشيع لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ولآله».

(٤٧) تقع المدرسة في محلة «حجر الذهب» شرقي دار القرآن الوجيهية. ويبدو أنها جددت للمالكية سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م، ووقف عليها شمس الدين غبريال المتوفى ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م. ويظهر أنها دُرست بعد أن خربها ناظرها سنان القرماني نحو ٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م – ١٥٥٩م. إذ إن المؤرخ «العَلْموي» يشير إلى أنه لا يعرف مكانها. ويضيف «الحصني» أنها دخلت في طريق السوق الحميدية.

انظر: النعيمي: المصدر نفسه، ج٢/ ٨-١٠ – العلموي: المصدر نفسه/ ١١٨- ١١٩. –كرد علي: خطط الشام، ج٦/ ٩٦ – الحصني، المصدر نفسه/ ٩٥٩.

هو ومتولي «السليمية» [٤٨] «حسين الجلبي» [٤٩].

ويُعقّب المؤرخ «نجم الدين الغزي» [٥٠] القريب من تلك الحقبة، على ما قام به الناظران بقوله: «وأما الآن — أي في القرن الحادي عشر / السابع عشر للميلاد– فقد تجاوز أهل الفساد إلى أمور فوق هذه الأمور، بحيث هذه الأمور التي انعقدت على «سنان» لا تعدّ لها شيئًا؛ ثم إن حصل عليهم إنكار، دفعت

(٤٨) هي جامع السلطان «سليم العثماني» الذي بناه على ضريح الشيخ «محيي الدين بن عربي»، في الصالحية، وكان ذلك سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م. وقد وقف عليه أوقافًا كثيرة دارّة. وأتبع له تكيّةً يطبخ فيها. وكان الناظر المشار إليه متوليًا على التكية لا على الجامع المدرسة.
– العلموي: المصدر نفسه، ٢٤٠– ٢٤١.
وهناك تكية أخرى باسم «السليمية» في المرج الأخضر في التكية السليمانية. وقد بناها السلطان سليم أيضًا، وظلت ناشطة حتى القرن الثالث عشر الهجري.
انظر: كرد علي، المصدر نفسه، ج٦/ ١٣٨.

(٤٩) شنق مع «سنان القرماني»، وصلبا بدار السعادة وشاشاهما وعِمامتاهما على رؤوسهما. وهما ذوا شيبتين نيّرتين. الغزي، الكواكب السائرة، ج٢/ ١٣٩.

(٥٠) هو محمد بن محمد بدر الدين الغزي الملقب بـ «نجم الدين». ولد بدمشق وتوفي فيها (٩٧٧– ١٠٦١هـ/ ١٥٧٠ — ١٦٥١م) مؤرخ، وأديب، وفقيه. له مؤلفات متعددة في موضوعات متنوعة ومنها في التاريخ: «الكواكب السائرة في مناقب أعيان المئة العاشرة»، وذيله «لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر». وقد نشر الأول في ثلاثة أجزاء، وحققه الأستاذ «جبرائيل جبور» (لبنان ١٩٤٥ ١٩٥٩)، ونشر الثاني في سفرين، وقد حققه الأستاذ «محمود الشيخ» ونشرته وزارة الثقافة في سورية، سنة ١٩٨٠– ١٩٨١م.
انظر: حول «الغزي» المؤرخ، الدراسة التفصيلية في مقدمة كتاب «لطف السمر»، وفي السِفْر الأول، ص: 1 - 151 — والمحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج٤/ ١٨٩– ٢٠٠.

الرشوة عنهم وباله، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم» [٥١].

وفي الحقيقة، مع ما قد يتبين من موقف الدولة العثمانية الشديد نسبيًا من «سارقي الأوقاف، فإن الاعتداء عليها بوسيلة أو بأخرى بقي قائمًا، حتى افتقدت دور العلم والدين أوقافها مع الزمن، وضاعت معالم أكثرها. ويظهر هذا واضحًا في كتابات المؤرخين المعاصرين لنا، من أمثال: «محمد أديب تقي الدين الحصني» [٥٢] و «محمد كرد علي» [٥٣]، اللذين أفردا دراسات خاصة للأوقاف وضياعها، وأسباب ذلك الضياع، وأظهرا أساهما على تلك المدارس ونشاطاتها السابقة، وما قدمته من خدمات علمية وتثقيفية وفكرية لأجيال العصور السالفة[٥٤].

وفي الحقيقة، إذا أمعن في النظر في عوامل ضعف نشاط تلك المدارس في دمشق، فإنه يلاحظ أن ضياع تلك المدارس لبعض أوقافها، مع أهميته الكبيرة

---

(٥١) جاء قول «الغزي» في الكواكب السائرة، ج٢/ ١٤٩ – ترجمة «سنان القرماني».

(٥٢) أديب ومؤرخ من أهل دمشق (١٢٩٢- ١٣٥٨هـ/ ١٨٧٤- ١٩٤٠م). ولي نقابة أشراف مدينة دمشق مدة، وكتب تاريخها في مؤلَّف عنوانه: «منتخبات لتواريخ دمشق» في ثلاثة أجزاء، ضُمت في مجلد واحد. دمشق ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

(٥٣) هو محمد بن عبد الرزاق كرد علي (١٢٩٣- ١٣٧٢هـ/ ١٨٧٦- ١٩٥٣م) . أديب ومؤرخ وصحفي، من أهل دمشق، كان رئيس «المجمع العلمي العربي بدمشق» ومؤسسه، وصاحب «مجلة المقتبس»- ولي وزارة المعارف مرتين أثناء الانتداب الفرنسي. ووقف في وجه القوى العثمانية الساعية للتتريك. له مؤلفات كثيرة. وكان يحسن التركية والفرنسية إلى جانب العربية، من مؤلفاته الهامة «خطط الشام» بستة أجزاء، و «المذكرات».

- الزركلي: الأعلام، ج٧/ ٧٣- ٧٥.
- كرد علي: خطط الشام، ج٦/ ٣٣٣- ٣٤٧، حيث ترجم «محمد كرد علي» نفسه.

(٥٤) انظر: خطط الشام، ج٦/ ١٦٣- ١٦٧ – والحصني/ ٩٦٨- ٩٧٢.

لحياة تلك المدارس، ووصول الأروام الجهلاء إلى التعليم في بعضها، لم يكونا في الواقع وحدهما السبب وراء التضاؤل التدريجي للفعاليات التعليمية لتلك المدارس، ثم تلاشيها تقريبًا في أواخر القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي. إذ لابدَّ ألاّ يغيب عن ذهن الباحث، الضعف السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي الذي تردت فيه الدولة العثمانية وإمبراطوريتها في تلك المرحلة من تاريخها، وأثر ذلك على الحياتين الفكرية والتعليمية. هذا في الوقت الذي أخذت فيه هذه الدولة تقوم بحركة إصلاح واسعة لمختلف شؤونها، مقتبسة من الحضارة الأوربية. ففي القرن الثالث عشر أجرت تغييرات جذرية في البنية التعليمية في إمبراطوريتها. وقد مهّد حكم مصر لبلاد الشام زمن «إبراهيم باشا»[٥٥] (١٨٣٢– ١٨٤٠م) لتلك الإصلاحات التعليمية، التي كانت «مصر» قد سبقت الدولة العثمانية في مضمارها. فمن المعروف أن ذلك الحكم أنشأ في سورية «برنامجًا للتعليم الابتدائي» على نمط ذاك الذي جرى تطبيقه في مصر[٥٦]. ولم تلبث «الدولة

(٥٥) هو ابن «محمد علي باشا» والي مصر. عاش خلال المرحلة (١٢٠٤– ١٢٦٤هـ/ ١٧٩٠– ١٨٤٨م). أرسله والده بحملة إلى الحجاز لإخضاع الوهابيين الثائرين، وكان قائدًا أيضًا لحملته في حرب «المورة» سنة ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م؛ كما كان على رأس الحملة التي أرسلها إلى بلاد الشام وانتهت بضمِّها إلى مصر. وكان على رأس حكم بلاد الشام ثماني سنوات (١٨٣٢– ١٨٤٠م)، حيث عملت «الدولة العثمانية» والدول الأوربية على إخراجه منها. ونزل له أبوه عن إمارة الديار المصرية سنة ١٨٤٨م، إلا أنه توفي بعد سبعة أشهر.

انظر: دائرة المعارف الإسلامية الجديدة بالفرنسية ($E1^2$) المجلد (٣) ١٠٢٤– ١٠٢٥، IBRAHIM PASHA، – كرد علي، خطط الشام، ج٤/ ٤٥– ٧٢ – الزركلي، الأعلام، ج١، ٦٦– دائرة المعارف الإسلامية المعرّبة، ج١/ ٤١– ٤٢.

(٥٦) انظر: جورج أنطونيوس: يقظة العرب تعريب علي حيدر الركابي، دمشق، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦، ص٣١– ٣٢.

العثمانية» أن أوجدت هي الأخرى «تنظيمًا جديدًا للتعليم» بموجب «نظام المعارف» الصادر في ٢٤ جُمادى الأولى ١٢٨٩هـ / الفاتح من إيلول ١٨٦٩م(٥٧). وفيه نظمت «الدراسة» في خمس مراحل:

«المرحلة الابتدائية» ومدتها أربع سنوات وهي إلزامية؛ و «المرحلة الرشدية» ومدتها أربع سنوات أيضًا، و «المرحلة الإعدادية» ومدتها ثلاث سنوات، ومرحلة «المدارس السلطانية»، وهذه لا توجد إلا في مراكز الولايات. وهي قسمان: قسم عالٍ، والدراسة فيه ست سنوات، وقسم عادي، ومدة الدراسة فيه ثلاث سنوات؛ وأخيرًا «المرحلة الخامسة» وتشمل «دار المعلمين ودار المعلمات، ودار الفنون، ومكاتب الفنون، والصنائع المختلفة، وتمتد الدراسة فيها بحسب شعب الدراسة وتفرعاتها ثلاث سنوات أو أربع. وكان هناك أيضًا، ماسمي بـ «المدارس الرشدية العسكرية» ويلتحق بها الطلاب بعد إتمام دراستهم الابتدائية.

---

(٥٧) انظر حول «التعليم العصري في الدولة العثمانية» مادة «معارف Ma`arif». في دائرة المعارف الإسلامية الجديدة بالفرنسية $E1^2$، المجلد (٥)، ص(٩٠٨– ٩٢٠) والبحث للباحث وِنْتَر M. Winter.

وانظر أيضًا (الباب الرابع) من كتاب «الدولة العثمانية، تاريخ وحضارة». جزءان تأليف مجموعة من الباحثين، بإشراف الأستاذ الدكتور «أكمل الدين إحسان أوغلي». والجزء الأول من تعريب الأستاذ «صالح السعداوي» اصطنبول ١٩٩٩. وانظر بوجهٍ خاص الصفحات (٤٩٥– ٥٥٦).

وانظر أيضًا: عبد الجبار الحاج عثمان: «التعليم الرسمي والتقليدي والأهلي عند المسلمين في بلاد الشام، مابين ١٨٧٨ و ١٩٢٠. رسالة ماجستير في قسم التاريخ بجامعة دمشق سنة ١٩٨٠، بإشراف الأستاذ الدكتور «أحمد طربين» وهي مرقونة على الآلة الكاتبة.

وانظر كذلك، عبد العزيز محمد عوض: «الإدارة العثمانية في ولاية سورية» (١٨٦٤ ١٩١٤)، مصر، دار المعارف. د.ت/ ٢٥٤– ٢٥٧، و ٢٦٠– ٢٦٤.

وبذلك بدأت أنواع تلك المدارس تنتشر في بلاد الشام، وتنافس «المدارس التقليدية» المشار إليها آنفًا، بل إن بعض تلك المدارس القديمة غدت مقرًا لبعض المدارس الجديدة. ومَثَلٌ على ذلك «المدرسة الجقمقية» التي أطلق عليها في القرن الثالث عشر الهجري «المدرسة الجقمقية الرشدية» (٥٨)، وكانت مكتبًا (أي مدرسة) مقدمًا على سائر المكاتب.

ويجب ألا يُنسى في هذا المجال التعليمي الجديد «المدارس التبشيرية» التي نما نشاطها أثناء الحكم المصري في بلاد الشام وبعده، لتشجيع هذا الحكم لها، وإن كان نصيب ولاية سورية، ودمشق بالذات أقل من نصيب «ولاية بيروت»، و «متصرفية لبنان».

ومهما تكن العوامل التي أضعفت من نشاط المدارس الدمشقية القديمة التي تحدث عنها «النعيمي»، فإنه يمكن تثبيت الحقيقة التالية: بأن تلك المدارس قد تضاءلت فعالياتها التعليمية في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، ولم يبق منها سوى شعاع من نور هنا وهناك. ومن هذه المدارس التي أصابها ماأصاب غيرها من دور التعليم، «**المدرسة الفارسية**» التي نحن بصدد الحديث عنها.

(٥٨) وتقع شمال الجامع الأموي، وكان قد أسسها «سنجر الهلالي» وولده «شمس الدين»، ثم انتزعها «الملك الناصر حسن». واحترقت في فتنة «تيمورلنك»، فجددها «سيف الدين جَقْمَق» وأضاف إليها مدرسة للأيتام وتربة وجعلت في القرن الثالث عشر الهجري، مدرسة للذكور، وتميزت عن غيرها.
انظر: – خطط الشام، ٦/ ٨٩ — وعبد الرزاق البيطار: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ج٢/ ٨٢٨– ٨٢٩. وانظر: – محمد جميل الشطي: أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف الرابع عشر (١٢٠١ –١٣٥٠هـ) دمشق، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤، ص١٦٩.

وفي الواقع يطالعنا مؤرخونا المعاصرون الذين تتبعوا أخبار تلك المدارس أو بعضها، بإثبات تلك الحقيقة عن تلك المدرسة. «فعبد القادر بدران» [٥٩] المتوفى ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م، الذي كان من أوائل الباحثين السوريين المعاصرين في الآثار الإسلامية بدمشق، ذكر في كتابه «منادمة الأطلال ومسامرة الخيال» عن هذه المدرسة مايلي: «وقفتُ على آثارها، فلم أر شيئًا من المدرسة، وهناك جامع صغير مقابل نهاية «سوق السلاح»[٦٠]، وبه قبران، وأظنه هو التربة المذكورة؛ وبجانبه من الغرب زقاق له باب قديم، والله أعلم أن المدرسة كانت هناك ثم تناولتها أيدي المختلسين فجعلتها دورًا، وأعانت الدهر على محو آثارها» [٦١]. ويبدو أن «بدران» قد انطلق في تحديد ذلك الموقع للمدرسة مبدئيًا مما ذكره

(٥٩) هو «عبد القادر بدران بن أحمد بن مصطفى»، فقيه حنبلي، عارف بالأدب والتاريخ وشاعر. ولد في «دوما» وهي قرية قرب دمشق، وعاش في دمشق وتوفي فيها، ولي إفتاء الحنابلة، وبحث في الباقي من آثار دمشق. له عدة تصانيف منها: «الآثار الدمشقية والمعاهد العلمية»، و «منادمة الأطلال». وقد طبع هذا الأخير بنفقة حاكم قطر «الشيخ علي بن عبد الله ثاني». وهو من منشورات المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق ١٣٧٩هـ. ومن أعماله أيضًا: اختصار «تاريخ دمشق» لابن عساكر في بضع مجلدات.

انظر: زكي محمد مجاهد: الأعلام الشرقية في المئة الرابعة عشرة للهجرة، ٣ أجزاء، مصر ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م، ج٢/ ١٢٨ – الزركلي: الأعلام، الطبعة الثالثة، ج٤/ ١٩٢- ١٩٣.

(٦٠) من أسواق دمشق القديمة، يقع جنوب جامع دمشق، مقابل باب الزيادة، وكانت تباع فيه مختلِف الأسلحة.

انظر: - ابن عبد الهادي: نزهة الآفاق في شرح حالة الأسواق. نشر حبيب الزيات في الخزانة الشرقية، مجلة المشرق – بيروت – السنة السابعة والثلاثون ١٩٣٩ – العدد الأول (١٨- ٢٨).

(٦١) منادمة الأطلال ومسامرة الخيال/ ١٣٥.

«النعيمي» عن موقعها القديم، وهو غرب «المدرسة الجوزية الحنبلية»[٦٢] مقابل الخارج من «باب الزيادة» [٦٣] بالجامع الأموي.

أما «الحصني» فقد ذكر «أن «المدرسة الفارسية» هي «جامع بين البحرتين» وهي باقية إلى اليوم مسجدًا أو مُصلّى، ومِنْ نَظْم بانيها:

هذه دارُنا التي نحنُ فيها دار حقٍ وما سواها يزولُ
فاعتمرْ للمَماتِ دارًا إليها عَنْ قريب يفضي بك التحويلُ[٦٤]»

ويبدو أنه قد نقل الشعر مما أورده العلاّمة «محمد كرد علي» في كتابه «خطط الشام» عند حديثه عن «المدرسة الفارسية»، إذ قال: «في المدرسة الفارسية الآن قبران، وهاكَ أبياتًا من نظم بانيها، أمر أن تكتب على تُرْبته بعد وفاته. وأظنها لغيره من المتقدمين، وقد رأيتها مكتوبة على مدفن «بني

(٦٢) تقع «المدرسة الجوزية» في أول سوق القمح بدمشق (البزورية) أنشأها سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م ابن جمال الدين الجوزي البكري. وكانت مقرًا للمحكمة الشرعية. ثم غدت مدرسة لجمعية الإسعاف الخيري لتعليم اليتامى والأولاد الفقراء؛ وقد احترقت أثناء الثورة السورية، ودُرست، وجدد مكانها مخازن ومصلى بسيط.

- النعيمي: ج٢، ٣٩- ٦٣ – العلموي: المصدر نفسه/ ١٢٢- ١٢٣.
- الحصني/ ٩٥٩ –كرد علي: خطط الشام، ج٦/ ٩٦.

(٦٣) أحد أبواب الجامع الأموي السبعة. ويقع جنوبي الجامع، ويُعرف أيضًا «باب العنبرانين». و «باب الساعات»، لأنه كان عنده ساعة عجيبة يعلم بها كل ساعة من النهار.

– الحصني /١٠٩ — انظر حول الساعة: رضوان محمد الساعاتي (المتوفى ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) في مؤلَّف: علمَ الساعات والعمل بها. تقديم وتحقيق وتعليق محمد أحمد دهمان، دمشق، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م/ ٢٨- ٣٢.

(٦٤) منتخبات التواريخ لدمشق، ج٣/ ٩٤٩.

الشُحنة»[٦٥] مؤرخي حلب، في «باب المقام[٦٦] بحلب» وأعاد البيتين المشار إليهما آنفًا، وأضاف إليهما ثالثًا هو:

فاعتملْ صالحًا يؤانِسكَ فيها مثلما يؤنْسُ الخليلَ الخليلُ

وعلَّق على أبيات الشعر قائلاً: «إن هذه الأبيات قد أمر الأمير المجاهد المرابط «سيف الدين علي بن قليج» رحمه الله، أن تكتب على قبره، وذلك في حجر خاص في «المدرسة القليجية» [٦٧]. و «سيف الدين» هذا من أمراء «نور الدين الزنكي»، وبذلك رأينا أن هذه الأبيات قد ادعاها كثيرون، وأحبها غير واحد من العظماء[٦٨]».

(٦٥) ظهر عدد من المؤرخين والعلماء من هذه الأسرة بحلب أثناء القرنين الثامن والتاسع للهجرة، ومنهم «محمد بن محمد أبو الفضل»، وكان يلقب بـ «ابن الشحنة الصغير» (٨٠٤- ٨٩٠هـ/ ١٤٠٢- ١٤٨٥م)، وكان فقيهًا ومؤرخًا له عدة تصانيف؛ وينسب إليه «الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب».
انظر: الزركلي، الأعلام، ج٧/ ٢٧٩- ٢٨٠.

(٦٦) هو باب «المقام الإبراهيمي» في حلب، حيث يقع مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام، أي هو الباب الذي يؤدي إلى ذلك المقام حيث تقع أشرف مقابر حلب، التي يدفن فيها عادة الصلحاء والزهاد. – الغزي (كامل): نهر الذهب في تاريخ حلب، ٣ أجزاء، حلب (١٣٤١- ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٢- ١٩٢٦م). ج٢/ ٢٦٨.

(٦٧) «المدرسة القليجية الشافعية»: وتقع داخل الباب الشرقي وباب توما، انظرها في النعيمي، ج١/٤٣٤، وقد دُرست وضاعت معالمها. – أما «القليجية الحنفية» فكانت في سوق التبن واتخذت بيتًا ملاصقًا لدار بني العظم. ولعلها هي التي كانت مجمع الفضلاء للاستشارة إذا دهم أهل دمشق أمر مهم. خطط الشام، ج٦/٩٤.

(٦٨) جاءَ تعليق «كرد علي» على أبيات الشعر، عند حديثه عن «القليجية» الشافعية، خطط الشام، ج٦/٨٥- ٨٦.

ويذكر الباحث «جعفر الحسني» [٦٩] محقِّق كتاب «النعيمي»، «الدارس في تاريخ المدارس» في حاشيته التي يعلِّق فيها على «المدرسة الفارسية» بأنه «بُني مكانها مصلَّى حديث العهد» [٧٠].

أما الباحث «محمد أسعد طلس» [٧١] الذي قام بنشر كتاب «ثمار المقاصد في ذكر المساجد» لمؤرخه «يوسف عبد الهادي» [٧٢]، وذيَّله بالمساجد القائمة في المرحلة المعاصرة بدمشق، فقد وصف ذلك المسجد الذي حلَّ محلّ «المدرسة الفارسية»، وصفًا أكثر تفصيلاً، فقال عنه: «مسجد شتوي فقط، له جبهة حجرية حديثة، وإلى جانبه شباكان وبحرتان صغيرتان سمي المسجد بهما (أي سمي مسجد مابين البحرتين)؛ وإلى يسار الداخل إلى المسجد قبران قديمان(؟)

(٦٩) هو الأمير «جعفر الحسني بن أحمد بن الأمير عبد القادر الجزائري» (١٣١٢– ١٣٩٠هـ/ ١٨٩٥– ١٩٧٢م). من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، وعالم بالآثار؛ من أهل دمشق مولدًا ووفاة. وقد عين مديرًا للآثار في سورية (١٩٤٧– ١٩٥٠م)، واختير أمينًا عامًا للمجمع العلمي العربي سنة ١٩٥٦.
انظر: مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق. المجلد ٤٥/ ٨٨٧ — وأحمد قدامة: معالم وأعلام في بلاد العرب، دمشق ١٩٦٥ (القطر العربي السوري ج١/٣٨٨).

(٧٠) النعيمي، المصدر نفسه، ج١/٤٢٦، الحاشية (٢).

(٧١) من أهل حلب مولدًا ووفاة (١٣٢٤– ١٣٧٩هـ/ ١٩٠٦– ١٩٥٩م). دَرَس في حلب وفي القاهرة، وتابع دراسته في جامعة بوردو في فرنسة، ونال منها شهادة الدكتوراه في الآداب. وعمل في بغداد حيث فهرس خزانة الأوقاف فيها، وعين في سورية مديرًا لمؤسسة اللاجئين. له عدة مؤلفات في التاريخ والآثار. انظر: الزركلي، الأعلام — الطبعة السادسة، ١٩٤٨، ج٦/٣٣.

(٧٢) هو يوسف بن حسن بن أحمد جمال الدين (ابن المِبْرَد)، من فقهاء الحنابلة في دمشق (٨٤٠ – ٩٠٩هـ/ ١٤٣٦– ١٥٠٣م). له عدة تصانيف. انظر: الزركلي، الأعلام الطبعة الثالثة، ج٩/٢٩٩، ونجم الدين الغزي: الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة، ج١/٣١٦.

قد أعيد بناؤهما مجددًا. وليس في المسجد سوى عمودي المحراب الصليبيين الرخامين»[٧٣].

ويشير «كارل ولتسينجر» و «كارل واتسينجر» عالما الآثار الألمانيان، اللذان كانا قد كُلِّفا بإعداد خريطة لمدينة دمشق سنة ١٩١٧، ودوّنا ملاحظاتهما عن المباني الأثرية التاريخية فيها، وثبّتا موقع كل منها على خريطة المدينة التي ألحقاها بكتابهما الذي نشر في ألمانيا سنة ١٩٢٤ عن آثار دمشق، وخصّا الجزء الأول منه بآثار دمشق في العهود البيزنطية والرومانية، والجزء الثاني بآثارها في العهود العربية الإسلامية، إلى أن «جامع بين البحرتين» يقع في المربع F4 من الخريطة، وتحت الرقم (14) فيه[٧٤]. وقد علّق الأستاذ «عبد القادر الريحاوي» الأثري السوري المعاصر على ذلك الجامع بقوله: «مسجد صغير قليل الأهمية»[٧٥]، ويتابع العالمان الأثريان الألمانيان حديثهما عن هذا المسجد بقولهما: «ويقصد بالبحرتين مجرى نهر بانياس[٧٦] الذي يقود الماء من «خان الحرير» [٧٧] إلى بيت «عبد الله باشا» [٧٨]. أما المجرى الثاني فهو أحد فروع

(٧٣) محمد أسعد طلس: ثمار المقاصد – مكتبة لبنان ١٩٧٥/ ٢٠٠.

(٧٤) قام الأستاذ «قاسم طوير» بترجمة الجزء الثاني «الآثار الإسلامية في مدينة دمشق»، وعلّق عليه الأستاذ «عبد القادر الريحاوي»، سنة ١٩٨٤م.

(انظر الخريطة في نهاية الكتاب المعرَّب، وموقع مسجد بين البحرتين» في المربع المشار إليه (F4).

(٧٥) انظر الصفحة (١٤٣) من الكتاب، والحاشية (٤) فيها.

(٧٦) هو أحد فروع «نهر بردى»، الذي ينبع من سهل الزبداني ويسقي دمشق وغوطتها، ويتفرع إلى سبعة فروع منها «نهر بانياس».

(٧٧) انظر: عبد القادر الريحاوي: خانات دمشق. في مجلة الحوليات الأثرية. المجلد (٢٥) سنة ١٩٧٥.

(٧٨) هو «عبد الله باشا العظم» والي الشام (١٢٠٥ ١٢١٣هـ/ ١٧٩٠– ١٧٩٨) في المرة

شبكة مياه «الشارع المستقيم» [٧٩]. ويربط هذا المجرى بين الحمّامات المشار إليها بالمربعين (F4 .21) و (E.5. 6) في مخطط دمشق[٨٠].

ولقد قمتُ باستقصاء وضع هذا المسجد لدى «مديرية الآثار» في دمشق، و «مديرية أوقاف دمشق»، فاتضح لي من السجلات، أن «مديرية الآثار» لم تدرجه ضمن «الأبنية الأثرية» بدمشق، لأنها رأت أنه مسجد بني حديثًا، وليس فيه من معلم أثري. أما «مديرية أوقاف دمشق»، فقد تبيَّن لديها أنه مسجل ضمن «المخطط الكادسترائي» وفي المحضر (٧١٣ شاغور جواني — البزورية)، وله وقف خيري باسم «وقف الفارسية»، وقد ثُبِّت هذا في شهر آب ١٩٣١ وتحت الرقم (١٤٧)؛ وله إضبارة في قسم الذاتية في «مديرية أوقاف دمشق» تحمل اسمه «إضبارة مسجد الفارسية».

=

الأولى؛ وفي المرة الثانية ثلاث سنوات (١٢١٤– ١٢١٧هـ/ ١٧٩٩– ١٨٠٣)؛ وفي المرة الثالثة ثلاث سنوات أخرى (١٢١٩– ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٤– ١٨٠٨م) وهو باني المدرسة المسماة باسمه قرب «المدرسة الفارسية».

– الحصني / ٧٦٢ و ٩٦٧ — القاري: الوزراء الذين حكموا دمشق في كتاب صلاح الدين المنجد: «ولاة دمشق في العهد العثماني»، دمشق ١٩٤٩/ ٩٠ .

أما بيت «عبد الله باشا»، فبحسب تعليق «الريحاوي» في كتاب «الآثار الإسلامية في مدينة دمشق» المشار إليه، وفي هامش (١) في الصفحة (١٤٤) من الكتاب، فإنه يؤكد أنه قصر أسعد باشا العظم نفسه، وكان قد بناه هذا الأخير عندما كان واليًا على دمشق، وذلك سنة ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م، قرب الجامع الأموي، وهو أجمل مابُني في العصر العثماني ولا يزال قائمًا إلى اليوم.

انظر حوله: صلاح الدين المنجد، قصر أسعد باشا العظم بدمشق — بيروت ١٩٤٧.

(٧٩) الشارع المستقيم، هو اليوم «شارع مدحت باشا» بدمشق.

(٨٠) انظر «مخطط دمشق» المشار إليه في نهاية الكتاب.

وقد أتى في القسم (٢) من ذلك المحضر، بأنه يضم مسجدًا بمئذنة، وبناؤه من حجر وخشب ولَبِن، لأداء الفرائض الخمس. وفي القسمين (١) و (٦)، ذكر بأن هناك دكَّانين بناؤهما من حجر، عقد لهما بابان على الطريق، وهما وقف له، وله حق الارتفاق بالماء من «نهر قنوات» (٨١). ويبدو أن ملاكه قد عُدِّل فجعل مسجدًا تُصلى فيه شعائر أربع فقط. وله إمام، ومؤذن، وخادم، وكان قد صُنِّف سنة ١٩٥١ على أنه جامع.

وهذا المسجد الصغير قد عُمل على ترميمه أخيرًا، لا ليعود مدرسة كما كان، وإنما ليصبح مصلّى صالحًا. وقد تم الترميم سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، وقام بتمويل الترميم جهات ثلاث: «مديرية أوقاف دمشق»، و «لجنة حماية دمشق القديمة»، و «أهالي الحي» الذي يقع فيه هذا المسجد، وهم بصفة خاصة من تجار «سوق البزورية» (٨٢). وقد أُنفق عليه مايقرب من ربع مليون ليرة سورية، ليُصبح على ما هو عليه الآن. وكثيرون في المنطقة اليوم يُحرّفون الاسم فيسمونه «مسجد الفاسي».

ولا يُعرف بالضبط الزمن الدقيق الذي اتخذ فيه هذا المسجد حجمه الصغير الحالي بعد أن أصابه ما أصابه. وهو يقوم اليوم في «سوق البزورية»، ليس بعيدًا عن «قصر العظم». ولا يعدو كونه قاعة للصلاة فقط، وله واجهتان: إحداهما المقابلة لـ «باب الزيادة»، الباب الجنوبي لجامع بني أمية، ويتوسطها باب خشبي

(٨١) نهر قنوات: هو أحد الفروع السبعة لنهر بردى في دمشق. وكان يسمى نهر «قنية»، أو «شكور» وكانت مياهه تتوزع على حمامات دمشق، ومساجدها ودورها.

(٨٢) هو السوق الواقع جنوب الجامع الأموي وقبل باب الزيادة. كان يبيع التجار فيه عادة أنواع البذور والقمح. ويباع فيه الآن جميع أنواع النقل من جوز، ولوز، وصنوبر، كما تباع أنواع السكاكر المصنَّعة، والروائح العطرية.

بمصراعين (صِفْقَيْن)، حديث الصنع، وبعرض متر تقريبًا؛ ويعلوه قوس حجري من حجارة سوداء وبيضاء. وعلى جانبي الباب نافذتان، تبعد كل واحدة عنه مترًا تقريبًا، وعرضها متر، وترتفع عن قاعدة البناء ما يقارب نصف متر، ويعلوها قوس من الحجر الأبيض والأسود. وقد حدِّدت النافذتان بقضبان حديدية طولية وعرضية مزخرفة على شكل مربعات. وإلى طرفي النافذتين، دكانان في جدار الواجهة بعمق متر وربع تقريبًا، وبعد كل واحد عن النافذة مقدار نصف متر. وهما لا يبرزان عن الواجهة، وفوق قوس كل دكان، وتبعد عنه بمقدار متر ونصف تقريبًا، نافذتان صغيرتان تستندان إلى قوسين صغيرين، وقد حددتا أيضًا. وبين هاتين النافذتين الصغيرتين، وعلى مستواهما، ثلاث فتحات بيضية الشكل، أكبرها القائمة فوق الباب، وإلى جانب النافذة اليسرى الصغرى. وفي نهاية الواجهة، تنتصب مئذنة صغيرة، خشبية، ورباعية الأضلاع، ولطيفة الشكل، وهي أشبه بمشربية نافذة منها بمئذنة، ويعلوها مخروط خشبي.

أما الواجهة الثانية، فتطل على زقاق ضيق، ويواجهها عبر الطريق بيت قديم، يستخدم مطبعة. ولهذه الواجهة نافذتان عاديتان ترتفعان عن الطريق مترًا ونصف، وكل واحدة بطول مترين تقريبًا، ولا تعلوهما أية أقواس على غرار نافذتي الواجهة الأولى، والواجهة مكلَّسة تكليسًا عاديًا.

والقاعة من الداخل، التي تستخدم مصلّى، ينتصب في وسطها قوس كبير مرتفع، وكأنه مدخل «إيوان»، وسقفها مركب من أعمدة خشبية صُفَّ بعضها إلى جانب بعض، على غرار السقوف الدمشقية الخشبية القديمة. وفي صدر المصلَّى محراب مجوّف في الجدار، الذي هو في الوقت نفسه جدار حانوت مجاور في سوق البزورية. ولا أثر للعمودين الرخامين الصليبيين اللذين أشار إليهما «السيد محمد أسعد طلس» في وصفه للمسجد، والمحراب ينحرف عن منتصف القاعة إلى اليمين قليلاً.

وعلى يسار الداخل، يقوم قبران صغيران متلاصقان وواطئان، ويبدو أنهما مجددان، وقد بُنيا من حجر رمادي اللون غامق، وفيه نثرات بيضاء، ولصيق بهما درج ضيّق جدًّا يصعد به إلى المئذنة، وقد دهنت الجدران بالكلس الأبيض.

أما الواجهة الرابعة من الداخل، فهي جدار لا نوافذ فيه، وتستند إلى جُدر دكاكين في سوق البزورية.

وإلى يمين الداخل إلى قاعة المصلّى، وضع برّاد ماء للشرب، وفي يمين الواجهة الثانية ميضأة حديثة على شكل مستطيل، تعلوه خمسة صنابير ماء، وفوقه سخّانان يعملان بالغاز لتسخين الماء في الشتاء. ويمكن وصف قاعة الصلاة هذه بكلمة موجزة: بأنها مصلّى حديث يفي بحاجة العاملين في السوق فقط.

وقد يبدو هنا أن ملفَّ «مسجد المدرسة الفارسية» قد أغلق، ولكنه في الحقيقة لم يقفل، إذ إن المسجد قد أخضع في العشر الأخير من القرن السابق، وفي مطلع هذا القرن، لترميم وإصلاح جديدين، أسهم فيهما عدد من كبار التجار المحسنين في المنطقة، وبعض النساء الخيّرات، فأحيطت جدرانه في قسمها الأسفل بنطاق خشبي حفظاً لها من الرطوبة والتآكل، وأنشئ في قسمه العلوي سدّة للمصلين مع درج يوصل إليها. وغطي القبران معاً بخشب ورخام، وأصلح المحراب وجُمِّل، ووضعت لوحة دوّن عليها بخط جميل واضح شيء من تاريخ «المدرسة الفارسية» والمسجد، وأن المدرسة قد هدمت أثناء العدوان الفرنسي على دمشق سنة ١٩٤٠، مع ذكر اسم بانيها الأول، وبعض من تاريخها، كما ذكرت أسماء الخيرّين والخيرّات الذين شاركوا في هذا الترميم الأخير، كما أصلحت المئذنة أيضاً.

وهنا يمكن القول إن مِلَفَّ «المدرسة الفارسية» قد أقفل. ولكنه في الحقيقة، في كل ذلك الحديث الطويل عن أوقاف المدارس الدمشقية القديمة، وضياعها، وعن الأمور المستجدة في حياتها منذ القرن الثالث عشر الهجري حتى الآن لم

يُشَر إلى تاريخ هذه «المدرسة الفارسية». إذ إن الحديث قد انجرّ إلى نهايته قبل أن يُحاط ببدايته.

للبحث صلة

إتباعات العرب

الدكتور عزة حسن*

الإتباع شيء يستعمله العرب في الكلام بقصد تقوية معناه وتأكيده.

وقد سُئل أعرابيّ عن الإتباع في الكلام، فقال: هو شيء يَئِيدُ به كلامُنا(1). وقوله: يئيد، معناه يَقْوى. وهو من الأَيْد، أي القوة. جاء في معجم لسان العرب (أيد): «آدَ يَئِيدُ أيْدًا، إذا اشتدَّ وقَوِيَ».

وحقيقة الإتباع في الكلام أنْ يُؤتَى بكلمتين متواليتين على رَوِيّ واحد، أي مسجوعتين على حرف واحد. مثل قول العرب: إنَّه لَساغِبٌ لاغِبٌ. فالساغب: الجائع. وهو اسم الفاعل من فعل سَغِبَ، إذا جاع. واللاغب: المُعْيِي. وهو اسم الفاعل من فعل لَغَبَ، إذا أعْيَا أشدَّ الإعياء. وجاء في لسان العرب (تبع): «والإتباع في الكلام مثلُ: حَسَنٌ بَسَنٌ، وقبيحٌ شَقِيحٌ».

ونرى في كلام العرب عبارات كثيرة معروفة، مسجوعة ومُزَاوَجة، على طريقة الإتباع. قالوها لتقوية كلامهم وتأييده. وقد أورد عالم اللغة الكبيرُ أبو سعيد عبدُ الملك بنُ قُرَيْب الأصمعيُّ (-٢١٦) طائفةً من عبارات الإتباع في كتابه (كتاب النوادر) في اللغة. وجاء أحد العلماء، واستخرج هذه الإتباعات من كتاب الأصمعي. وجمعها في أوراق، وسَمّاها (إتباعات العرب). ولم يصلنا

---

* باحث ومحقق سوري ومدير دار الكتب الظاهرية سابقًا، مقيم في المملكة المغربية.

(1) كتاب الإتباع والمزاوَجة لأحمد بن فارس. مخطوط في قيد التحقيق. أصدرت وزارة الثقافة السورية سنة ١٩٩٥ كتاب الإتباع والمزاوجة لأحمد بن فارس بتحقيق الأستاذ محمد أديب عبد الواحد جمران. [المجلة].

كتاب الأصمعي[٢]. ويبدو أنّه ضاع، فيما ضاع من أسفار الثقافة العربية، في العصور الماضية.

وقد عثرت على نسخة من هذه الأوراق في مجموع مخطوط برقم (٣٧٣٠)، في خزانة شيخ الإسلام أسعد أفندي، المحفوظة في المكتبة السليمانية في مدينة إستانبول. وهي مكتوبة بخط فارسيّ جميل، على ورق أزرقَ صقيل. فنقلت هذه (الإتباعات) من المخطوط المذكور، واضطلعت بتحقيقها، وإغنائها وإيضاحها بحواشٍ وشروح استقيتُ أكثرها من معجم (لسان العرب) لابن منظور. وأعددتها للنشر لإطلاع العلماء وجمهور المثقفين عليها، وإشاعة معرفتها بينهم.

إتْباعات العرب:

- يُقال: حَسَنٌ بَسَنٌ قَسَنٌ.
- ويُقال: عَطْشانُ نَطْشانُ.
- وجائعٌ فائعٌ.
- وخائبٌ هائبٌ
- وشَيْطانٌ لَيْطانٌ.
- وعَيِيٌّ شَيِيٌّ، وشَوِيٌّ[١]. وما أعْياهُ وأشْوَاهُ! وأشْيَاهُ.
- ويُقال: جاءنا بالعِيِّ والشِّيِّ[٢].
- ويُقال: عَوِيٌّ شَوِيٌّ[٣].
- ويُقال: فَقِيرٌ وَقِيرٌ.

(2) ذكره ابن النديم في الفهرست (٨٢– ٨٣، ١٣٠)، طبعة القاهرة. وحاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٩٧٩)، طبعة إستانبول.

– ويُقال: عَوِزٌ لَوِزٌ: لا شيءَ له.

– ويُقال: حَقِيرٌ نَقِيرٌ. وحَقِرٌ نَقِرٌ. وحَقْرٌ نَقْرٌ.

– ويُقال: قَلِيلٌ وَتِيحٌ.

– وكَثِيرٌ بَثِيرٌ.

– ومَلِيحٌ قَزِيحٌ.

– ويُقال: فَلِيحٌ نَجِيحٌ.

– وشَحِيحٌ نَحِيحٌ[٤].

– وسَمِيجٌ لَمِيجٌ. وسَمِجٌ لَمِجٌ. وسَمْجٌ لَمْجٌ.

– ويُقال: ثَقِفٌ لَقِفٌ[٥]. وثَقْفٌ لَقْفٌ.

وثَقِيفٌ لَقِيفٌ. بَيِّنُ الثَّقافةِ واللَّقافةِ.

وقد لَقِفْتُ ذاكَ، والْتَقَفْتُه.

– ويُقال: قَبِيحٌ شَقِيحٌ لَقِيحٌ.

– ويُقال: حارٌّ يارٌّ. وحَرّانُ يَرّانُ[٦].

– ويُقال: خَبِيتٌ نَبِيتٌ. بالتاء لغةٌ.

وخَبِيثٌ نَبِيثٌ. وخبيث مُجِيثٌ.

– ويُقال: حائِرٌ بائِرٌ[٧].

– وسائِغٌ لائِغٌ. وسَيِّغٌ لَيِّغٌ[٨].

– وساغِبٌ لاغِبٌ[٩].

– ويُقال: أحْمَقُ فاكٌّ تاكٌّ[١٠]. وتائِكٌ.

– ويُقال: حِلٌّ بِلٌّ[١١].

– ويُقال: مالي فيه حَوْجَاءُ ولا لَوْجَاءُ.

– ومالي فيه حُوَيْجاءُ. مُحَرَّكة[١٢].

– وحُكِيَ: زَميتٌ بَليتٌ[١٣].

– ويُقال: لَحْمُه خَظَا بَظَا، وكَظَا[١٤].

– ويُقال: حَظِيٌّ بَظِيٌّ[١٥].

– ويُقال: شَرٌّ وعَرٌّ[١٦].

– وما عنده فَرْضٌ ولا قَرْضٌ[١٧].

– وما عنده خَيْرٌ ولا مَيْرٌ[١٨].

– ويُقال: شَدِيدٌ أدِيدٌ[١٩].

– ويُقال: ضَعِيفٌ نَعِيفٌ[٢٠].

– ويُقال: طَيِّبٌ نَقِيصٌ[٢١].

– ويُقال: تاعِسٌ واعِسٌ. وناعِسٌ واعِسٌ[٢٢].

– ويُقال: مائِقٌ دائِق. ونائِقٌ[٢٣].

– ويُقال: ما ذاق عَلُوسًا ولا أُلُوسًا[٢٤].

– ويُقال: عَرِيضٌ أرِيضٌ[٢٥].

– ويُقال: غَضٌّ بَضٌّ. وغاضٌّ باضٌّ. وقد يُخْتَلَف في (فَعَلْتُ) من غَضَّ. فبعضهم يقول: (فَعَلْتُ). وبعضهم يقول: (فَعِلْتُ).

– ويُقال: ما بِهِ حَبَضٌ ولا نَبَضٌ، أي حَرَاك[٢٦].

– ويُقال: خاسِرٌ دامِرٌ دابِرٌ[٢٧]. وخَسِرٌ دَمِرٌ دَبِرٌ. وما رأيتَ من خَسَارَته ودَمَارَته ودَبَارَته!

– ويُقال: شَقِيٌّ لَقِيٌّ.

– ويُقال: ضالٌّ تالٌّ آلٌّ. وهو الضُّلُّ، والتُّلُّ. وما رأيتَ من ضَلاَلته وتَلاَلته!

- ويُقال: شَرٌّ شِمِرٌّ[٢٨].
- ويُقال: عَجِلٌ نَجِلٌ.
- وخَفِيفٌ ذَفِيفٌ.
- وخُفَافٌ هُفَافٌ.
- ويُقال: ضَئِيلٌ بئِيلٌ، وهي الضَّآلة، والبَآلة. والضُّؤولة، والبُؤولة.
- ويُقال: وَسِيمٌ قَسِيمٌ.
- ويُقال: حَيَّاه اللهُ وبَيَّاه.
- ويُقال: افْعَلْ ما سَاءَه ونَاءَه[٢٩].
- ويُقال: لا مَحِيصَ من ذلك ولا مَفِيصَ[٣٠].
- ويُقال: ما لَه مَلْجَأٌ ولا مَحْجَأٌ. مهموزةٌ مَقْصورةٌ[٣١].
- ويُقال: ما به بَأْسٌ ولا نَأْسٌ.
- ويُقال: أُفًّا لَه وتُفًّا. وأُفَّةً له وتُفَّةً.

والأُفُّ: وَسَخ الأُذُنِ. والتُّفُّ: وسخ الأظفارِ.

ويُقال: ما يَخْرج من الأنفِ.

- ويُقال: هو سَرٌّ بَرٌّ. وسارٌّ بارٌّ.
- ويُقال: هو ضائِعٌ سائِعٌ.
- ويُقال: هو لك خَضِرًا مَضِرًا، أي هَنِيئًا.
- ويُقال: هو طَبٌّ لَبٌّ. وهو طَبِيبٌ لَبِيبٌ. وقد طَبِبْتَ ولَبِبْتَ. إذا كان حاذِقًا.
- وهو لكَ عَافٍ صَافٍ. من قولك: عَفْوًا صَفْوًا.
- ويُقال: هو مَخْنونٌ مَحْنونٌ[٣٢]، وقال أبو جعفرٍ الرُّؤَاسِيُّ: مَخْنون، بالخاء.

وأَجَنَّه اللهُ، وأَخَنَّه.

– ويُقال: نَكْدًا له وجَحْدًا!

– ويُقال: هو هاعٌ لاعٌ. إذا كان جَبَانًا، قليلَ الصبرِ.

– وهو كاذِبٌ والِغٌ. وقد كَذَبَ ووَلَغَ، يَلَغُ. وزعم أبو الهَيْثم أنَّ والغًا صِلَةٌ لِكاذب. يُقال: وَلِغَ في الكَذِب، ووَلَغَ، وهو يَلَغُ، منهما جميعًا، وَلْغًا ووُلُوغًا ووَلَغانًا.

وقد وَلِغَ ووَلَغَ الكلبُ، يَلَغُ، منهما جميعًا.

وقد وَلَغَ، إذا اسْتخفَّ. وأنشد الأصمعيّ:

فتَرَاهُنَّ على مُهْلَتِهِ يَخْتَلِينَ الأرضَ، والشَّاةُ يَلَغْ[٣٣]

أي يَسْتخفُّ عَدْوًا. وذَكَّرَ (يَلَغُ) فيمَنْ قال: هذا شاةٌ ذَكَرٌ.

– ويُقال: له الوَيْلُ والأَلِيلُ! الأليل: هو الوَجَع.

– ويُقال: ضربتُه. فما قال: حَسٍّ[٣٤] ولا بَسٍّ. ولا حِسًّا ولا بِسًّا.

– وحُكِيَ: نَذْلٌ بَذْلٌ. وبَذِلٌ مَذِلٌ.

– ورَذْلٌ ورَذِلٌ. وفَسْلٌ وفَسِلٌ. وفَشْلٌ وفَشِلٌ[٣٥].

– ويُقال: قد عَبِدَ عليه وأَمِدَ، وأبِدَ[٣٦].

– ويُقال: هُم الشُّرَطُ. وهم الشُّرْطَةُ. وهو شُرَطِيٌّ، وشُرْطِيٌّ.

– ويُقال: نادِمٌ سادِمٌ. ونَدْمانُ سَدْمانُ.

ويُقال: إنَّ السادمَ المَهْمومُ والحزينُ.

– ويُقال: وَحِيدٌ قَحِيدٌ.

– وسَلِيخٌ مَلِيخٌ، لِلَّذي لا طَعْمَ له. وأنشد:

سَلِيخٌ مَلِيخٌ، كلَحْمِ الحُوَارِ، فلا أنتَ حلوٌ، ولا أنتَ مُرْ[٣٧]

وفيه سَلاَخَةٌ ومَلاَخَةٌ.

– ويُقال: عابِسٌ كابِسٌ[٣٨].

– ويُقال: أرْغمكَ اللهُ وأدْغمَك!

ويُقال: رَغْمًا لَه ودَغْمًا شِنَّغْمًا! وقد فعلتُ ذاك على رَغْمِه وشِنَّغْمِه[٣٩]. ومعناه كُلّه واحدٌ.

– ويُقال: إنّه لَفَظٌّ بَظٌّ[٤٠].

– ويومٌ عَكٌّ أَكٌّ[٤١]، إذا كان شَديدَ الحَرِّ. وليلةٌ عَكّة أَكَّة. وقد عُكَّتْ، تَعِكُّ، وتَعُكُّ. وأنشد:

يومٌ عَكِيكٌ، يَعْصِرُ الجُلودَا
تَحْسَبُ حُمْرَانَ الرِّجالِ سُودَا

– ويُقال: هو لك أَبَدًا سَمَدًا سَرْمَدًا.

– ويُقال: إنّه لَشَكِسٌ لَكِسٌ، أي عَسِرٌ.

– ويُقال: لِلْخَبِّ الخبيثِ: إنَّه لَسَمَلَّعٌ هَمَلَّعٌ. وهو من نَعْتِ الذئبِ.

– ويُقال: أحْمَقُ بِلْغٌ مِلْغٌ. ويُقال: إنَّ (مِلْغًا) نَذْلٌ.

– ويُقال: إنَّه لَمِعْفَتٌ مِلْفَتٌ، أي يَعْفِتُ كلَّ شيءٍ ويَلْفِتُه، أي يَدُقّه ويكسِره.

– ويُقال: إنّه لسَغِلٌ وَغِل، بَيِّنُ السُّغولةِ والوُغولةِ. يعني السَّيِّئَ الغِذاءِ، الصغيرَ الخَلْقِ، القليلَ اللحم.

من نَوادر الأصمعيّ.

الحواشي

١- العبيّ: الجاهل العاجز عن ضبط أمره، وعن بيان حُجَّته. والشبيّ إتباع. لسان العرب (شوا، عوا).

٢- العِيّ: الجهل والعجز. والشِّيّ إتباع. لسان العرب (شوا، عوا).

٣- يُنظر الحاشية (١).

٤- نحيح إتباع. كأنَّ الرجلَ إذا سُئِلَ اعْتَلَّ كراهةً للعطاء، ونَحَّ، أي ردَّدَ نَفَسَه لذلك. لسان العرب (نحح).

٥- الثقف: الحاذقُ، السريعُ الفهمِ لِمَا يُلْقى إليه من الكلام. واللقف: السريع الأخذِ لِمَا يُرْمى إليه باليد. اللسان (ثقف، لقف).

٦- في اللسان (حرر): «شيء حارٌّ يارٌّ جارٌّ. وهو حَرّانُ يَرّانُ جَرّانُ». وفيه (يرر): «قال أبو الدُّقَيْش: إنَّه لَحَارٌّ يارٌّ. عَنَى رغيفًا أُخْرِج من التَّنُّور».

٧- في اللسان (حير): «ورجل حائرٌ بائرٌ، إذا لم يَتَّجِهْ لشيء، وفي حديث عُمَرَ، ﷺ: الرِّجَال ثلاثةٌ. فرجلٌ حائر بائر، أي متحيِّر في أمره، لا يدري كيف يهتدي فيه». وانظر اللسان (بور).

٨- في اللسان (ليغ): «وطعامٌ سَيِّغ لَيِّغ، وسائغ لائغ، إتباع. أي يَسوغ في الحلق» وفيه (سوغ): «وشرابٌ سائغ، وأسْوَغُ: عَذْبٌ. وطعام أسوغُ سيّغ: يسوغ في الحلق».

٩- في اللسان (سغب): «ورجلٌ ساغب لاغب: ذُو مَسْغَبَة». والمسغبة: الجوع. وفي اللسان (لغب): «فلانٌ ساغب لاغب، أي مُعْيٍ». وأعْيَا إعياءً: تَعِبَ. وفي اللسان (سغب): «ولا يكون السَّغَب إلاّ مع التعب».

١٠- في اللسان (فكك): «والفَكَّة أيضًا: الحُمْق مع استرخاء. ورجلٌ فاكٌّ: أحمقُ بالغُ الحمقِ. ويُتْبَعُ فيقال: فاكٌّ تاكٌّ». وفيه (تك): «يقال: أحمقُ تاكٌّ. وقيل: أحمقُ فاكّ تاكّ، إتباع له: بالغ الحمقِ».

١١- في اللسان (حلل): «ومن كلام عبد المطَّلِب: لا أُحِلُّها لِمُغْتَسِل. وهي لِشاربٍ حِلٌّ

وبِلٌّ. أي حَلال. بِلّ إتباع. وقيل، البِلّ: مُبَاح، حِمْيَرِيّة». لا أحلّها: يعني بئرَ زَمْزَمَ التي احتفرها عبد المطلب. وحميرية: أي لغة حميرية، وهي لغة اليمن. وفي اللسان (بلل): «هو لكَ حِلّ وبِلّ. فَبِلٌّ: شِفاء، من قولهم: بَلَّ فلانٌ من مرضه، وأَبَلَّ، إذا بَرَأ. ويُقال، بِلّ: مُبَاح مُطْلَق، يمانِيَة حِمْيَرِيّة. ويُقال: بِلّ إتباع لحِلّ... قال الأصمعي: كنتُ أرى أنَّ بِلاًّ إتباع لحِلّ حتى زعم المُعْتَمِر بنُ سليمانَ أنّ بِلاًّ مُباحٌ في لغة حِمْيَر. وقال أبو عُبَيْد وابنُ السِّكِّيت: لا يكون بِلّ إتباعًا لحِلّ، لِمكان الواو».

١٢- في اللسان (لوج): «يُقال: ما في صدره حَوْجاءُ ولا لَوْجاءُ إلاّ قَضَيْتُها. اللِّحْياني: مالي فيه حَوْجاءُ ولا لَوْجاءُ، ولا حُوَيْجاءُ ولا لُوَيْجاءُ. كِلاهما بالمدّ. أي مالي فيه حاجة».

وفي اللسان (حوج): «ويُقال: ما في صدري به حوجاءُ ولا لوجاءُ، ولا شكٌّ ولا مِرْيَةٌ، بمعنىً واحد. ويُقال: ليس في أمرك حويجاء ولا لويجاء، ولا رُوَيْغَةٌ. وما في الأمر حوجاء ولا لوجاء، أي شَكٌّ».

والمعنى هنا مختلف عمّا جاء في اللسان (لوج) كما ترى.

١٣- في اللسان (زمت): «الزَّمِيت والزِّمِّيت الحليمُ الساكنُ، القليلُ الكلامِ». وفيه (بلت): «البِلِّيت: الرجل الزِّمِّيت».

١٤- في اللسان (خظا): «الخاظي: الكثيرُ اللحمِ... ولَحْمُه خظا بظا، إتباع... الغرّاء: خظا بظا، وكَظا، بغير همز، يعني اكْتَنَزَ». وانظر اللسان (بظا، كظا).

١٥- في اللسان (حظا): «ورجلٌ حَظِيّ، إذا كان ذا حُظْوةٍ ومنْزلة».

١٦- في اللسان (عرر): «وعَرَّهُ بشّرٍ، أي ظلمه وسَبَّهُ وأخذ مالَه، فهو معرور. وعَرَّه بمكروه، يَعُرُّه عَرًّا: أصابَه بِهِ».

١٧- في اللسان (فرض): «الفرض: الهِبَة: يُقال: ما أعطاني فرضًا ولا قرضًا». والقرض: الدَّيْن.

١٨- في اللسان (مير): «يُقال: مارَهُ يَميرُه، إذا أتاه بمِيرَة، أي بطعام. ومنه يُقال: ما

عنده خير ولا مَيْر)).

١٩– في اللسان (أدد): ((الإدُّ بكسر الهمزة: الشِّدَّة... وشَدِيد أَدِيد، إتباع له)).

٢٠– في اللسان (نعف): ((ويُقال: ضعيف نعيف، إتباع له)).

٢١– في اللسان (نقص): ((قال ابنُ دُرَيْد: سمعتُ خُزاعِيًّا يقول للطِّيب، إذا كانت له رائحة طَيِّبة: إنّه لَنَقِيصٌ. وروى قولَ امرئ القيس:

كلَوْنِ السَّيَالِ وَهْوَ عَذْبٌ نَقِيصُ

أي طَيِّب الريحِ. اللِّحْياني في باب الإتباع: طَيِّبٌ نَقِيصٌ)).

قلتُ: وصَدْرُ قولِ امرئ القيس:

مَنَابِتُه مِثْلُ السَّدُوسِ، ولَوْنُه

كلَوْنِ السَّيَالِ ... وهو في ديوانه ١٧٨.

يصف ثغرَ صاحبته وأسنانَها. منابته: أي منابت الثغر. والسدوس: الطَّيْلَسان. والسيال: نَبْت له شوك أبيضُ، أَشْبَهُ شيءٍ بالأسنان.

٢٢– التاعس: من التَّعَس، وهو العُثور والسقوط على الوجه. والواعس: من الوَعْس، وهو الرمل اللَّيّن، تغيب فيه الأرجل، ويصعب السير. والناعس: من النُّعاس. ويُراد به الكسل والفتور هنا.

٢٣– في اللسان (دوق): ((والدائق: الهالك حُمْقًا. يُقال: هو أَحْمَقُ مائقٌ دائِقٌ)). وفيه: ((المائق: الهالك حُمْقًا وغَبَاوة... الكِسائي: هو مائق ودائق)).

٢٤– في اللسان (علس): ((والعَلْس: الأكل. وقلّما يُتَكَلَّم بغير حرف النَّفْي. وما ذاق عَلُوسًا، أي ذَوَاقًا. وماذاق عَلوسًا ولا ألوسًا)). في اللسان (أَلَس): ((وما ذقتُ عنده ألوسًا، أي شيئًا من الطعام)).

٢٥– في اللسان (أرض): ((أَرْضٌ أَرِضَةٌ وأَرِيضة. بَيِّنَة الأَراضَةِ: زَكيّةٌ مُخَيِّلَة للنبت والخير. قال امرؤ القيس:

بلادٌ عريضة، وأرضٌ أريضة، مَدَافِعُ ماءٍ في فضاءٍ عريضِ

وشيء عريض أريض، إتباع)). قلت: وهذا البيت في ديوان امرئ القيس (٧٣). وقوله: مدافع ماء. يريد مدافعَ ماء المطر من السحاب إلى الأرض.

٢٦- في اللسان (حبض): ((ومالَهُ حَبَض ولا نَبَض، محرَّكة الباء، أي حركة. ولا يُستعمل إلاّ في الجَحْد)). وفيه (نبض): ((ما به حَبَض ولا نَبَض، أي حَرَاك)).

٢٧- في اللسان (دمر): ((ورجلٌ دامِر: هالك لا خيرَ فيه. يُقال: رجل خاسر دامر، عن يعقوبَ، كدابر. وحكى اللِّحيانيّ أنّه على البَدَل. وقال: خَسِرٌ ودَمِر ودَبِر. فأتبعوهما خَسِرًا)).

٢٨- في اللسان (شمر): وشرّشِمِرّ، بكسر الشينِ، وتشديد الراءِ... ومعنى شرشمر، إذا كان شديدًا، يُتَشَمّر فيه عن الساعدينِ. وقالوا: شرًّا شِمِرًّا، وشِمِرًّا، إتْباع لقولك: شرًّا)).

٢٩- في اللسان (نوأ): ((ويُقال: ناءَ به الحِمْلُ وأناءه: أثقله وأماله... ونَرى أنَّ قولَ العرب: ما ساءك وناءك من ذلك. إلاّ أنَّه ألْقَى الألفَ، لأنه مُتْبَع لساءك... ومعناه: ما ساءك وأناءك)). قلت، قوله: ألقى الألفَ. يريد بذلك ألفَ أناءك.

٣٠- في اللسان (فيص): ((قال الأصمعي: قولهم ما عنه محيص ولا مفيص، أي ما عنه مَحِيد)).

٣١- مقصورة، أي غير ممدودة.

٣٢- في اللسان (حنن): ((ويُقال: مجنون محنون. ورجل محنون، أي مجنون. أبو عمرو: المحنون الذي يُصْرَع، ثم يُفِيق زمانًا)).

٣٣- هذا البيت في اللسان (ولع). يختلين: أي يقطعن الأرضَ. يصف بقرَ الوحش. والشاة: الثور الوحشي هنا.

٣٤- في اللسان (حسس): ((وحَسٍّ، بفتح الحاءِ وكسر السينِ وترك التنوينِ: كلمة تقال عند الألم)).

٣٥- في اللسان (فسل): ((الفَسْل: الرَّذْل النَّذْل الذي لا مُروءةَ له ولا جَلَدَ)). وفيه

(فشل): «الفَشِل: الرجل الضعيف الجبان».

٣٦- في اللسان (عبد): «قال الفرّاء: عَبِدَ عليه، وأَحِنَ عليه، وأَمِدَ، وأَبِدَ: أي غَضِب».

٣٧- هذا البيت خِتام أربعة أبيات للأَشْعَر الرَّقَبَانِ، وهو أسَدِيّ جاهليّ:

بحَسْبِكَ في القوم أنْ يَعْلَموا بأنَّكَ فيهمْ غَنِيٌّ مُضِرْ
وقد عَلِمَ المِعْشَر الطارقوك بأنّك للضيف جُوع وقُرْ
إذا ما انْتَدَى القومُ لم تَأْتِهِمْ كأنَّك قد وَلَدَتْك الحُمُرْ
مَسِيخٌ مَلِيخ، كلحم الحُوَارِ فلا أنتَ حلو، ولا أنت مُرْ

اللسان (مسخ). الطارقون: الضيوف الذين يأتون ليلاً. انتدى القومُ: اجتمعوا في النادي. والمسيخ من الناس: الذي لا مَلاَحةَ له. والحوار: ولد الناقة الصغير. والقُرّ: البرد.

٣٨- في اللسان (كبس): «وعابس كابس، إتباع».

٣٩- في اللسان (دغم): «وقد أرْغَمه اللهُ وأَدْغَمه. وقيل، أرغمه اللهُ: أَسْخَطه. وأدغمه: سَوَّد وجهَه. وفي الدعاء: رَغْمًا دَغْمًا شِنَّغْمًا. كلّ ذلك إتباع. يُقال: فعلتُ ذلك على رَغْمه ودَغْمه وشَغْمه. ويُقال: شِنَّغْمه». وانظر في اللسان (رغم، شنغم، شغم).

٤٠- في اللسان (فظظ): «ورجلٌ فَظٌّ: ذو فَظَاظةٍ، جافٍ غليظ، في منطقه غِلَظ وخُشونة. وإنّه لَفَظّ بَظّ، إتباع. حكاه ثعلبٌ. ولم يشرح بَظًّا. قال ابنُ سِيدَه: فحملناه على الإتباع».

٤١- في اللسان (عكك): «قال ثعلبٌ: هو يوم عَكّ أَكّ، إذا كان شديدَ الحرّ مع لَثَقٍ واحْتباسِ ريح. حكاها في أشياءَ إتباعية. فلا أدري، أذَهَبَ بأكّ إلى الإتباع أم ذهب فيه إلى أنَّه الشديدُ الحرّ، وأنّه يُفْصَل من عكّ كما حكاه أبو عُبَيْد. وليلةٌ عكّة أكّة، كذلك». وانظر في اللسان (أكك).

الأسماء الفَرعِيّة: مفهومها واستعمالها

أ. محمود الحسن

عضو الهيئة الفنية في مجمع اللغة العربية بدمشق

تُقسم الأسماء عامة قسمين: أصلية وفرعية. أما الأصلية فهي التي وَصَلَت إلى اللسان، عن طريق الارتجال أو الاشتقاق، كالمصادر والمشتقات وأسماء الذات، وسمِّيَت بذلك لأنها تدل على معانٍ أساسية من أجلها وُضِعت الأبنيةُ أو اشتُقَّت.

وأما الأسماء الفرعية فهي التي وصلت إلينا عن طريق التَّصريف، وهو تغيير يلحق الأبنية الأصلية، فتكتسب إضافة إلى دلالتها الوضعية معانيَ فرعية كالتأنيث والتَّثنية والجمع والتَّصغير والنّسبة. وسُمِّيَت فرعية لأن المعنى الأساسي للاسم مُرتَبِط بكونه مفرداً مذكَّراً[1]، فإن دل على تأنيث أو تثنية أو جمع أو تصغير أو نسبة فقد أصبح فرعاً من الأصل.

ويُشار إلى أن المعنى الأصلي للاسم يبقى حاضراً، إضافةً إلى المعنى الفرعي، عند تحويل الاسم إلى إحدى الصِّيَغ الفرعية. فيُقال في «امرأة»: مؤنث رَجُل، وفي «رَجُلَين»: مثنى رَجُل، وفي «رِجال»: جمع رَجُل، وفي «رُجَيل»: مُصَغَّر رَجُل، وفي «رَجُلِيّ»: منسوب إلى رَجُل. فصورة المفرد المذكر وصفاته تحضران دائماً مع المعنى الفرعي، الذي هو في الحقيقة وصف يُقَيِّد المعنى الأساسيّ للاسم.

---

(1) الزّجّاج، أبو إسحاق: ما ينصرف وما لا ينصرف، تحقيق: هدى محمود قراعة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٩٧١، ص٣- ٥.

وهذا المقال مخصّص لدراسة الأسماء الفرعية. وفيه سيظهر أن لتلك الأسماء وظائفَ أساسية، غالباً ما تدلّ عليها لدى استعمالها في التراكيب، كما سيظهر أنها قد تخرج في السياق عن الاستعمال المألوف، فالمفرد مثلاً قد يُستعمل بمعنى المثنى أو الجمع، والجمع أيضاً قد يُستعمَل في موضع المفرد أو المثنى، ويجيء المذكّر والمؤنث أحدهما بمعنى الآخر، كما أن المصغَّر يأتي أحياناً بمعنى المكبَّر، ويأتي المنسوب دالاً على غير معناه.

١– المُؤَنَّث:

هو كل اسم فيه علامة تأنيث ظاهرة أو مقدَّرة[٢]. فما كانت علامته ظاهرة عُرِف تأنيثُه بها، وما كانت علامته مقدَّرة عُلِم تأنيثه من الضَّمير العائد إليه كقوله تعالى: ﴿والشَّمسِ وضُحاها﴾ [٣]، وبالإشارة إليه كقوله: ﴿تِلكَ الدّارُ الآخِرةُ﴾[٤]، وبدخول علامة التأنيث على ما يرتبط به كقوله تعالى: ﴿والتَفَّتِ الساقُ بِالساقِ﴾[٥]، وقوله: ﴿ولَقَد زَيَّنّا السَّماءَ الدُّنيا﴾[٦]، وبمُصَغَّره إن كان المكبَّر ثلاثياً كقُدَيرة في تصغير قِدْر، وبتجرّد عدده من الثلاثة إلى العشرة من التّاء نحو: خَلَقَ اللهُ سَبعَ أراضِين[٧].

(2)الأستراباذي: شرحه على الكافية في النحو،ط٢، دار الكتب العلمية،بيروت١٩٧٩،٢: ١٦١.

(3) الآية ١ من سورة الشمس.

(4) الآية ٨٣ من سورة القصص.

(5) الآية ٢٩ من سورة القيامة.

(6) الآية ٥ من سورة الملك.

(7)الأستراباذي: الكافية في النحو ٢: ١٦١.

ويُقسَم المؤنث من حيث دلالته على تأنيث مُسمّاه إلى قسمَين[٨]: حقيقي ومجازي. أما **الحقيقي** فهو: ما دلّ على أُنثى من الناس أو الحيوان كامرأة وناقة، وأما **المجازي**: فكل اسم دلّ على مؤنث لا يُقابله ذَكَر من الناس أو الحيوان، وإنما يعود تأنيثه إلى اعتبارات وَضعيّة واصطلاحيّة، نحو: سَماء وشَمس وغُرفة وظُلمة وقَوس[٩]. أما نحو: حَمزة وعُبَيدة وطَلحة فأسماء ذكور، دخلتها التاء لتأنيث اللفظ دون المعنى.

هذا في الوضع. أما في الاستعمال فهناك، إضافة إلى الحقيقي والمجازي، نوعان آخران هما: التّأويلي والحُكمِي. **فالتأويلي** هو: المذَكَّر الذي يُؤوَّل بالمؤنث كقولهم: شَرِبتُ مِن لَبَنِ بَعِيرِي، أي: ناقَتِي[١٠]. **والحُكمي** هو: المذكَّر الذي يكتَسِب التأنيث من إضافته إلى مُؤنَّث، كما في القراءة الشّاذة: ﴿تَلتَقِطهُ بَعضُ السَّيّارةِ﴾[١١]، حيث عُومِل « بَعض»، وهو مذكَّر، معاملة

(8) المصدر نفسه ٢: ١٦٨ و١٧٠؛ والكفوي: الكلّيّات، تحقيق: الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٢، ص ٨١٩.

(9) المؤنث المجازي يجوز فيه التذكير والتأنيث. الزَّبيدي: تاج العروس (سمو). ويجوز حذف علامة التأنيث من الفعل إذا فُصِل عن فاعلة المؤنث، نحو: ما خرَج إلا هِندُ، وأكرَمَ زيداً دَعدُ. الأنباري، أبو البركات: الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، دون تاريخ، ١: ١٧٤.

(10) الأنباري، أبو بكر: المذكّر والمؤنث، تحقيق: الدكتور طارق الجنابي، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٦، ١: ١٢٠.

(11) ابن خالوية: مختصر في شواذ القرآن، المطبعة الرحمانية، القاهرة ١٩٣٤، ص٦٢؛ والأنباري، أبو بكر: المذكر والمؤنث ٢: ١٩٥.

المؤنث الذي أُضِيف إليه. وهذان النوعان يُعبِّران عن خروج المؤنث عن دلالته الأصلية في التراكيب، كما سيظهر لاحقاً.

وعلامات التأنيث التي تدخل على الأسماء المعرَبة ثلاث[١٢]، هي: **الألف المُمالة** « المقصُورة»نحو: سَلمَى ولَيلَى، **والألف الممدودة** نحو: صحراء وحمراء، **والتاء** التي تُبدَل هاءً في الوقف نحو: قائِمة ومُسَيلَمة وفاطِمة وعَنتَرة. ولكل من الألِفَين الممالة والممدودة أبنية وصِيَغ خاصّة بهما. أما التاء فيَغلب أن تأتي لتَمييز المؤنث من المذكر في الصِّفات، كمُسلِم ومُسلِمة وضَخْم وضَخْمة[١٣]. باستثناء الصِّفات المختصّة بالإناث نحو: مُرضِع ومُطفِل وحامِل، فإن التاء لا تدخلها إلا إذا أُرِيد بها معنى اسم الفاعل نحو: هي مُرضِعةٌ وَلَدَها غَداً[١٤]. وتأتي التاء زيادة على أصل البناء.

ومما وَصَفُوا به الأنثى، ولم يُدخِلُوا فيه علامة التأنيث، قولهم: أَمِيرُ بَنِي فُلانٍ امرأةٌ، وفُلانةُ وَصِيُّ بَنِي فُلانٍ، وهي وَكِيلُ فُلانٍ. وذلك لأن مثل هذه الصفات يغلب عليها أن تكون للذكور[١٥].

وأسماء الأجناس، إذا جُمِعَت، يجوز فيها التذكير حملاً على الجنس،

(12) الأنباري، أبو بكر: المذكر والمؤنث ١: ٢٠٦ ؛ وابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٦، ٤: ٢٨٦.

(13) ابن مالك: شرح الكافية الشافية، تحقيق: الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٩٨٢، ص ١٧٣٤.

(14) المصدر نفسه ص ١٧٣٧.

(15) الأنباري، أبو بكر: المذكر والمؤنث ١: ١٨٣.

والتأنيث حملاً على الجماعة، نحو: جاءَ الرِّجالُ، وجاءَتِ الرِّجالُ. وأسماء الجُمُوع تُذكَّر وتُؤنَّث إذا كانت للآدَمِيِّين، نحو قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ بِهِ قَومُكَ﴾(١٦), وقوله: ﴿كَذَّبَت قَومُ نُوحٍ المرسَلِينَ﴾(١٧), وتُلازِم التأنيث إذا كانت لغير الآدَمِيِّين، نحو: هذِهِ إبِلِي وغَنَمِي(١٨).

٢– المُثَنَّى:

هو كل اسم دلّ على اثنين، بزيادة ألف أو ياء مفتوح ما قبلها، ونون مكسورة تُحذَف عند الإضافة(١٩). نحو: «رُجُلَينِ و امرأتانِ» في قوله تعالى: ﴿فإنْ لَم يَكُونا رَجُلَينِ فرَجُلٌ وامرأتانِ مِمَّن تَرضَونَ﴾(٢٠)، و«الشّاتِمَي والنّاذِرَينِ» في قول عنترة (٢١):

الشاتِمَي عِرضِي ولَم أشتِمْهُما والنّاذِرَينِ، إذا لَمَ الْقَهُما، دَمِي

والتَّثنية تكون في المتَّفِقَين لفظاً ومعنًى، نحو: طِفْلانِ ويَتِيمانِ وظَبيانِ و دَلوانِ وغَنِيّانِ وعَدُوّانِ وقاضِيانِ وفَتَيانِ وبِنتانِ وعَصَوانِ ومُصطَفَيانِ وحُسنَيانِ وضِياءانِ وبِناءانِ وحَمراوانِ وأخَوانِ ويَدانِ واسمانِ وعَبْدا اللهِ وذَوا تأبَّطَ شَرّاً.

(16) الآية ٦٦ من سورة الأنعام.

(17) الآية ١٠٥ من سورة الشعراء.

(18) الكفوي: الكليات ص ٨١٩.

(19) ابن خروف:شرح جُمَل الزَّجاجي، رسالة دكتوراه (تحقيق ودراسة)، إعداد: سلوى محمد عمر عرب، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤١٩هـ، ص٢٧٧؛ وابن يعيش: شرح المفصّل، عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ، ٤: ١٣٧.

(20) الآية ٢٨٢ من سورة البقرة.

(21) التبريزي: شرح المعلقات العشر، ط١، دار الفكر، دمشق ١٩٩٧، ص ٢٤٩.

وقد تكون التثنية في المختلِفَينِ لفظاً ومعنًى، كالعُمَرَينِ في أبي بَكر وعُمَر، والقَمَرَينِ في الشَّمس والقَمَر، والأبَوَينِ في الأبِ والأمّ[٢٢].

وقد يُثَنَّى اسم الجمع على تأويل الجماعتَين، كما في الحديث الشريف: «مَثَلُ المنافِقِ كَمَثَلِ الشاةِ العائِرةِ بَينَ الغَنَمَينِ»[٢٣]. ويُلحَق بالمثنَّى ما ثُنِّيَ بعلامته وليس منه كاثنَينِ واثنتَينِ، وكِلا وكِلتا مُضافَتَينِ إلى الضَّمير. وذلك لأن «اثنَين» لا مفرد له، وكِلا وكِلتا لا تتّصل بهما النون مطلقاً.

٣– الجَمع:

الجمع هو[٢٤]: كل اسم دلَّ على أكثر من اثنين، وهو على ضربَين: جمع تصحيح ويُسمَّى سالماً، وجمع تكسير.

أ– الجَمع السّالِم:

هو ما سَلِم فيه المفرد من التَّغيير[٢٣]. ويكون للمذكَّر والمؤنث كما في قوله تعالى:﴿إنَّ المسلِمِينَ والمسلِماتِ،والمؤمِنِينَ والمؤمِناتِ، والقانِتِينَ والقانِتاتِ، والصّادِقِينَ والصّادِقاتِ، والصّابِرِينَ والصّابِراتِ، والخاشِعِينَ والخاشِعاتِ، والمتَصَدِّقِينَ والمتَصَدِّقاتِ، والصّائِمِينَ والصّائِماتِ، والحافِظِينَ فُرُوجَهُم والحافِظاتِ،والذّاكِرِينَ

(22) ابن خروف: شرح جُمَل الزَّجاجي ص ٢٦١.

(23)مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، دون تاريخ، ص٢١٤٦ تحت الرقم٢٧٨٤؛ والزمخشري: المفصَّل في علم اللغة، مراجعة وتعليق: الدكتور محمد عز الدين السعيدي، ط١، دار إحياء العلوم، بيروت ١٩٩٠، ص٢٢. والعائرة: الحائرة المتردِّدة.

(24) ابن يعيش: شرح المفصَّل ٥: ٢.

اللهَ كَثِيراً والذّاكِراتِ، أعَدَّ اللهُ لَهُم مَغفِرةً وأجراً عَظِيمًا[٢٥].

أما **جمع المذكر السالم** فهو: ما دل على أكثر من اثنين، بزيادة واو أو ياء مكسور ما قبلها، ونون مفتوحة تُحذف عند الإضافة[٢٦].نحو: مُحَمَّدُونَ وخاشِعُونَ ومَجمُوعُونَ وفَرِحُونَ وأكرَمُونَ.

ويكون هذا الجمع في الأسماء والصِّفات بشروط[٢٧]، منها ما يخصُّ الأسماء، ومنها ما يتعلَّق بالصِّفات، ومنها ما يرتبط بالاثنين معاً. فما يخصُّ الأسماء العَلَمِيّةُ، وما يخصُّ الصِّفات صلاحيتُها لدخول تاء التأنيث عليها، باستثناء اسم التفضيل فإنه يُجمَع هذا الجمع، مع أن مؤنثه «فُعلَى» خالٍ من التاء. ويُشترَط في الأسماء والصِّفات معاً أن تكون للذكور العقلاء، أو ما في حُكمِهم، خالية من التاء. فمن هذا الجمع نحو: عُمَرُون ومُصطَفَون وزَيدُون وقارِئُون وأفضَلُون ومُنتَهُون ومُنتَصِرُون وأمّارُون ودِمَشقِيُّون وشُوَيعِرُون، ومنه قوله تعالى: ﴿والشَّمسَ والقَمَرَ رأيتُهُم لِي ساجِدِينَ﴾ [٢٨]، حيث نُزِّلَت الكَواكِب والشَّمس والقمر منزلة العاقِلِين.

وأُلحِقَت بجمع المذكر السالم كلمات جُمِعت بعلامته، ولم تُحقِّق شروطه، نحو: أهلُون وعالَمُون وأرَضُون وبَنُون وعِشرُون وسِنُون.

وأما **جمع المؤنث السالم** فهو: الجمع الذي يكون بإضافة ألف وتاء، إلى

(25) الآية ٣٥ من سورة الأحزاب.

(26) السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر: **مفتاح العلوم**. ضبطه وعلَّق عليه: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧، ص ٦١– ٦٢.

(27) الأستراباذي: الكافية في النحو ٢: ١٨٠– ١٨٢.

(28) الآية ٤ من سورة يوسف.

مفرد يغلب عليه أن يكون مؤنثاً[٢٩]. نحو: تَمَرات وهِندات ومُسلِمات وطَلَحات. ويكون هذا الجمع في الأسماء والصِّفات[٣٠]. فيُجمَع هذا الجمع من الأسماء عَلَم المؤنث، سواء كان بعلامة أو بغير علامة نحو: فاطِمات وزَيْنَبات ولَيلَيات، وذو التاء من الأعلام والأجناس نحو: حَمَزات وغُرُفات وانطِلاقات وعِدات، وذو ألف التأنيث إذا لم يُسَمَّ به المذكَّر[٣١]، نحو: ذِكرَيات وصَحراوات، وعَلَم غير العاقل مُصَدَّراً بـ «ابن» أو «ذُو» كبَنات آوَى وذَوات الحِجّة.

ويُجمَع هذا الجمع، من الأسماء أيضاً، اسم الجنس على أكثر من أربعة أحرف، إذا لم يُسمَع له جمع تكسير، نحو: سُرادِقات وحَمّامات، أو كان من المصادر نحو: انقِلابات وتَحَوُّلات. وورد هذا الجمع في الرُّباعيات من أسماء الأجناس، نحو: سِجِلات وبَحالات ولِحامات، وهذه كلها غير مختومة المفرد بالتاء. وجُمِع هذا الجمع بعض الجموع التي لا تُكَسَّر كرِجالات وبُيُوتات وصَواحِبات، وأسماء الحروف والشُّهور كأَلِفات وجِيمات وجُماديات وشَوّالات، والاسم الأعجمي الذي لم يُسمَع له جمع آخر نحو: بِيمارِستانات ومِهرجانات.

ويُجمَع هذا الجمع من الصِّفات ما خُتِم بعلامة تأنيث نحو: رَبْعات

(29) السكاكي: مفتاح العلوم ص ٦٢.

(30) الأستراباذي: الكافية في النحو ٢: ١٨٧– ١٩٠؛ وقباوة، الدكتور فخر الدين: تصريف الأسماء والأفعال، ط٣، مكتبة المعارف، بيروت١٩٩٨، ص١٩٧–٢٠٠.

(31) إذا سُمِّي به المذكر جُمع جمعَ مذكَّر سالماً نحو: سَلمَى وسَلمُونَ. أبو حيان الأندلسي: ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب، تحقيق: الدكتور رجب عثمان محمد، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٨، ٢: ٥٧١.

وعَلاّمات، وهما صفتان للمذكر والمؤنث، وضارِبات وحُبلَيات ونَفْساوات. ويمتنع هذا الجمع في الصفات التي لم يُجمَع مذكرها بالواو والنون كـ «فَعْلَى» مؤنث «فَعْلان»، و«فَعْلاء» مؤنث «أفْعَل». وتُجمَع «فُعْلَى» مؤنث «أفعَل» التفضيل جمع مؤنث سالماً قياساً على مذكَّرها الذي يُجمَع بالواو والنون نحو: كُبْرَيات وفُضْلَيات. وتُجمَع هذا الجمع صفة غير العاقل تمييزاً لها من صفة العاقل[٣٢] نحو: أيّام مَعدُودات وبِحار هائِجات وأنهار جارِيات، ومُصَغَّر ما لا يعقِل نحو: دُرَيهِمات وكُتَيِّبات. وإنما عُدَّ المصَغَّر من الصِّفات لأن معنى الوصف قائم فيه. فكُتَيِّبات تُفسَّر بـ: كُتُب صَغِيرة.

ويُلاحَظ أن صيغة المفرد تسلم عند الجمع. ولا يُعتدّ بحذف التاء من نحو: مُسلِمة ومُسلِمات، لأن تاء «مُسلِمة » ليست أصلية، كما أن تاء «مُسلِمات» تدل على المؤنث، ولا يجوز الجمع بين علامتي تأنيث في اسم واحد[٣٣]. أما فتح العين في نحو: تَمَرات في تَمْرة، وكل ما كان جمعاً لاسم ثلاثي ساكن العين، غير مُعتَلِّها ولا مُضاعَفاً، فلا يُعتَدّ به أيضاً لأنه للتفريق بين الاسم والصفة، التي تبقى عينها ساكنة في صيغة الجمع نحو: ضَخْمات في ضَخْمة[٣٤].

وشذَّ من الصِّفات: «لَجَبات ورَبَعات» في: شاة لَجْبة ورَجُل رَبْعة. وساغ

(32) أُلحِق غير العاقل بالمؤنث، لأن الأول فرع على العاقل، والثاني فرع على المذكر. الأستراباذي: الكافية في النحو ٢: ١٨٨.

(33) الأنباري، أبو البركات: الإنصاف في مسائل الخلاف ١: ٤٣.

(34) الأستراباذي: الكافية في النحو ٢: ١٩٠. وشاة لجْبة: قلِيلة اللبن. ورَجُل رَبْعة: متوسِّط القامة.

ذلك لأن جَبْة ورَبْعة وردت عينهما في المفرد بالفتح والإسكان، ففتح العين في الجمع من قَبِيل اعتبار الفتح في المفرد أصلاً[٣٥]، وأما جَوَزات في جَوْزة، وصَيَحات في صَيْحة، وهِنَدات في هِنْد، فلُغة لهُذَيل[٣٦]. وأما نحو: خُطُوات وخُطَوات في خُطْوة، والأول أشهَر، ونحو: كِسَرات في كِسْرة، فقد وردت هذه الجموع بتسكين العين، وأما «بَنات» في بِنْت وابنة فإنما هو جمع للأصل وهو «بَنْوة» على حذف اللام نَسْياً [٣٧].

ب– جمع التَّكسِير:

هو الجمع الذي يُصاحبه تَغَيُّر في بناء مفرده[٣٨]. نحو: أبْيات وكُتُب وقُلُوب وأفْراس وقُضاة. وصِيَغ هذا الجمع منها ما يدل على القِلّة، ومنها ما يدل على الكثرة.

أما **جمع القِلّة** فهو: ما وُضِع للدلالة على العدد القليل من ثلاثة إلى عشرة[٣٩]. وله أربع صيغ هي[٤٠]: « أفْعُل» كأفلُس وأنفُس وأذرُع، و«أفْعال» كأثْواب وأجْداد وأبْواب وآلام، و «أفْعِلة» كأزْمِنة وألوِية وأعِنّة وأئِمّة، و«فِعْلة» كإخْوة وشِيخة وغِلْمة وصِبْية. وهذا الجمع خاصّ بالثلاثي، والرُّباعي الذي ثالثه

(35) الأستراباذي: الكافية في النحو ٢: ١٩٠.

(36) سيبويه: الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٨، ٣: ٦٠٠؛ والأستراباذي: الكافية في النحو ٢: ١٩٠.

(37)الأستراباذي: الكافية في النحو ٢: ١٨٨.

(38) المصدر نفسه ٢: ١٩٠.

(39) الزمخشري: المفصل ص ٢٢٧.

(40) أبو حيان: ارتشاف الضرب ١: ٤٠٥.

حرف مدّ، كما أن الصيغ الثلاث الأولى خاصّة بالأسماء دون الصِّفات.

وأما **جمع الكثرة** فهو: ما وُضِع للدلالة على العدد الكثير فوق العشرة[٤١]. وهو يضمّ ما سوى جمعي السلامة، وجمع القلة، نحو: سُود وبِيد ورُسُل وغُرَف وصُوَر وقِطَع وسَحَرة ورُماة ودِبَبة وجَرحَى وزُكَّع وقُوّاد وجِبال وجُنُود ونِيران وبُلْدان وعُظَماء وأعِزّاء، وهذه الأمثلة لها نظائر في المفرد من حيث الوزن. ومن جموع الكثرة أيضًا صيغ منتهى الجموع نحو: دَراهِم وعَصافِير وسَلالِم وسَكاكِين وأصابِع وأعاصِير وتَجارِب وتَماثِيل ومَساجِد ومَفاتِيح ويَنابِيع وكَواكِب ونَواعِير وصَيارِف وبَياطِير وضَمائِر وعَذارَى وصَحارٍ وسُكارَى وكَراسِيّ، وهذه الأمثلة ليس لها نظير في المفرد من حيث الوزن. وكل مثال مما سبق يدل على صيغته.

ويُشار إلى أن بعض العلماء رأى أن الجمعَين السالِمَين من جموع القلة[٤٢]، وبعضهم رأى أنهما لمطلَق الجمع من غير نظر إلى القلة والكثرة[٤٣]. ويُجمَع بين الرّأيَين بتقرير أنهما يكونان للقِلّة إذا كان لمفردهما جمع كَثرة، وإلا استُعمِلا للقلة والكثرة على حدّ سواء.

و**اسم الجمع** هو: ما تضمَّن معنى الجمع وليس له مفرد من لفظه كقَوم ورَهط وجَيش، أو لم يكن على وزن خاصّ بالجموع كخَدَم وخَلَف ورَحّالة

(41) الزمخشري: المفصل ص ٢٢٧.

(42) سيبويه: الكتاب ٣: ٤٩١ و ٥٧٨؛ وابن يعيش: شرح المفصَّل ٥: ٣.

(43) الأستراباذي: الكافية في النحو ٢: ١٩١.

وسَيّارة، أو كان هو ومفرده على لفظ واحد كفُلك وحاجّ وبَشَر وعَدُوّ[٤٤].

واسم **الجنس الجمعي** هو: ما تضمَّن معنى الجمع دالاً على الجنس، ومفرده يُمَيَّز منه بالتاء، كتُفّاح وتُفّاحة، أو بياءي النسب كعَرَب وعَرَبِيّ[٤٥].

وسُمِع عن العرب ما يُسَمَّى بجمع الجمع[٤٦]، إذ جَمَعُوا الجمع مبالغة في التكثير، نحو: بُيُوتات وأربَعِينات وأقاوِيل وصَواحِبات. وذكر السيوطي مثالاً لجَمع جُمِع ست مرات، قال: «إنَّهم جَمَعُوا جَمَلاً على أجْمُل ثم أجْمال ثم جامِل ثم جِمال ثم جِمالة ثم جِمالات»[٤٧].

٤– المُصَغَّر:

هو الاسم الذي يُصاغ للدلالة على تقليل[٤٨]. ويكون لتقليل الذات كـ «كُلَيب ورُجَيل»، أو لتقليل الشأن كـ «زُيَيد» عند إرادة التقليل من أهميّته وشأنه، أو للشفقة والتَّعَطُّف كـ «أُخَيَّ وصُدَيِّقِي»، وهو من مجاز تقليل الذات، أو لتقليل العدد كـ «دُرَيهِمات»، أو لتقريب المسافة والزمان كـ «فُوَيق

(44) الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ورفاقه، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٥، ٢: ٢٠١؛ وقباوة: تصريف الأسماء والأفعال ص٢٢٣.

(45) السيوطي: المزهر، تحقيق: محمد جاد المولى ورفاقه، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت ١٩٨٧، ٢: ١٠١.

(46) جَعَله مجمع اللغة العربية بالقاهرة قياسياً عند الحاجة. مجلة المجمع، العدد السادس ص ٧٥ لعام ١٩٥٠.

(47) السيوطي: المزهر ٢: ٨٩.

(48) الأستراباذي: شرح الشافية ١: ١٩٠–١٩١؛ وأبو حيان: ارتشاف الضرب ص٣٥.

الأرض وقُبَيل الفَجر». وقيل يجيء التصغير للتعظيم فيكون من باب الكناية، حيث يُكنَى بالصِّغَر عن بلوغ الغاية في العِظَم، لأن الشيء إذا جاوز حدَّه جانس ضِدَّه، كدُوَيهِية في قول لبيد[٤٩]:

وكُلُّ أُناسٍ سَوفَ تَدخُلُ بَينَهُم دُوَيهِيةٌ، تَصفَرُّ مِنها الأنامِلُ

وأوزان التصغير شكلية وهي ثلاث[٥٠]: «**فُعَيل**» كجَبَل وجُبَيل وسَهْل وسُهَيل وباب وبُوَيب ومَيْت ومُيَيت ودَمٌ ودُمَيّ، و«**فُعَيعِل**» كبُلبُل وبُلَيبِل وجَدوَل وجُدَيِّل وسَفَرجَل وسُفَيرج وفَرَزدَق وفُرَيزِد وفُرَيزِق، و«**فُعَيعِيل**» كمِفتاح ومُفَيتِيح وعُصفُور وعُصَيفِير وافتِقار وفُتَيقِير.

ويُصغَّر كلٌّ مِن جمع القلة والجمع السالم واسم الجمع واسم الجنس الجمعي على لفظه[٥١]، نحو: أكلُب وأُكَيلِب، وأجْمال وأُجَيمال، وأعْمِدة وأُعَيمِدة , وغِلْمة وغُلَيمة، وضارِبُون وضُوَيرِبُون، وشاعِرات وشُوَيعِرات، ورَكْب ورُكَيب، وسَلَف وسُلَيف، وفُلْك وفُلَيك، وتَمْر وتُمَير.

ويُصغَّر جمع الكثرة بردِّه إلى المفرد، ثم تصغير ذلك المفرد ثم جمعه. ويُجمَع المفرد جمع مذكر سالماً إذا كان مذكراً عاقلاً، وجمع مؤنث سالماً إذا كان مؤنثاً عاقلاً، أو كان مما لا يعقل مذكراً كان أو مؤنثاً، نحو: رِجال ورُجَيلُون، وحَوامِل وحُوَيمِلات، وكُتُب وكُتَيِّبات. ويُقال في تصغير حُمْر وجَرحَى:

(49) لبيد بن ربيعة : ديوانه، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت ١٩٦٢، ص ٢٥٦؛ والأستراباذي: شرح الشافية ١: ١٩١.

(50) سيبويه: الكتاب ٣: ٤١٥؛ والزمخشري: المفصَّل ص ٢٤٣.

(51) الأستراباذي: شرح الشافية ١: ٢٦٥– ٢٦٦.

أُحَيمِرُون وجُرَيِّحُون للمذكَّر، وحُمَيراوات وجُرَيِّحات للمؤنث. وإذا كان لجمع الكثرة جمع قِلّة جاز، إضافةً إلى ما سبق، رَدُّ جمع الكثرة إلى جمع قِلّته ثم تصغيره، كتصغير كِلاب وفُلُوس على أُكَيلِب وأُفَيلِس(٥٢).

وثمة ما يُقال له تصغير الترخيم، ويكون بحذف الأحرف الزائدة، حتى تصير الكلمة على أحرفها الأصلية ثم تُصَغَّر، نحو: حُرَيث في حارِث، وسُوَيد في أسوَد، وقُرَيطِس في قِرطاس(٥٣).

٥– المَنسُوب:

هو الاسم المزيد في آخره ياء مُشدَّدة بعد كسر، للدلالة على نسبته إلى المجرَّد منها(٥٤). نحو: عِلمِيّ ومِصرِيّ وفارِسِيّ.

وتُحذَف في النسبة (٥٥) تاء التأنيث كما في: فاطِمة وفاطِمِيّ ومَكّة ومَكِّيّ وظَبْية وظَبْبِيّ وعُرْوة وعُرْوِيّ، والياء الزائدة في نحو: عَلِيّ وعَلَوِيّ وحَنِيفة وحَنَفِيّ وقَبِيلة وقَبَلِيّ، والياء الثانية في نحو: طَيِّب وطَيِبِيّ وسَيِّد وسَيِدِيّ، والواو في نحو: رَكُوبة ورَكَبِيّ، والألف في نحو: بَرَدَى وبَرَدِيّ ومُصطَفَى ومُصطَفِيّ، والياء في نحو: المهتَدِي والمهتَدِيّ وألمانية وألمانِيّ. ويُقَدَّر حذف الياء المشَدَّدة في نحو: كُرسِيّ وشافِعِيّ، إذ يأتي المنسوب والمنسوب إليه

(52) الأستراباذي: شرح الشافية ١: ٢٦٥– ٢٦٦.

(53) المبرد: المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، دون تاريخ، ٢: ٢٩٣؛ والزمخشري: المفصَّل ص ٢٤٧.

(54) الأستراباذي: شرح الشافية ٢: ٤.

(55) ابن مالك: شرح الكافية الشافية ص١٩٣٩– ١٩٥٢؛ وقباوة: تصريف الأسماء والأفعال ص ٢٣٦– ٢٤٠.

على لفظ واحد.

* * * * *

تلك هي الصِّيَغ التي تتفرَّع عن الأبنية والصِّيَغ الأصلية، بحسب معانيها التي أرادها واضع اللغة. وأنتقل الآن إلى الحديث عن خروج الصِّيَغ الفرعية عن معانيها الأصلية، عند استعمالها في التراكيب.

خروج الصِّيَغ الفَرعِيّة عن معانيها الأصلية

يتمثل خروج الصِّيَغ الفرعية، في التراكيب، عن معانيها الأصلية، باستعمال المذكَّر والمؤنث أحدهما في موضع الآخر، والمفرد بمعنى المثنّى أو الجمع، والجمع بمعنى المفرد أو المثنّى، وجمع القلة بمعنى الكثرة، والمصغَّر بمعنى المكبَّر، والمنسوب على غير ما وُضِع له.

ومن أمثلة مجيء **المؤنث بمعنى المذكر** قوله تعالى: ﴿وأحيَينا بِهِ بَلدةً مَيتاً﴾[٥٦]، أي مكاناً، وقوله:﴿فلَمّا رأى الشَّمسَ بازِغةً قالَ:هذا رَبِّي﴾[٥٧]، أي هذا الشخص المرئيّ، وقول الحُطيئة [٥٨]:

ثَلاثةُ أنفُسٍ، وثَلاثُ ذَودٍ لَقَد جارَ الزَّمانُ عَلَى عِيالِي

ذهب هنا بالنَّفس إلى معنى الإنسان فذَكَّرَ.

(56) الآية ١١ من سورة ق؛ والكفوي: الكليات ص٨٢٠.

(57) الآية ٧٨ من سورة الأنعام؛ وابن جني: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ، ٢: ٤١٢.

(58) ابن جني: الخصائص ٢: ٤١٢. والبيت غير موجود في الديوان.

ويجيء **المذكّر** في الكلام **بمعنى المؤنث** كما في قول الأعشى[٥٩]:

لِقَومٍ، وكانُوا هُمُ المنفِدِينَ شَرابَهُمُ، قَبلَ تَنفادِها

حيث أنَّثَ الشَّراب لأنه أراد به الخَمر، وهي مؤنثة، وقال أيضاً[٦٠]:

كَما شَرِقَت صَدرُ القَناةِ مِنَ الدَّمِ

فأنَّث الصَّدر لأنه جزء من القناة. والقناة مؤنثة. وقد مرَّ نحو هذا سابقاً[٦١]، حيث يُؤَوَّل المذكر في مثال الشَّراب بالمؤنث، ويُسَمَّى بالتأنيث التأويلي، كما يكتسب المذكر حُكم المؤنث المضاف إليه في مثال القناة، ويُسَمَّى بالتأنيث الحُكمي.

وتذكير المؤنث واسع جداً لأنه رَدُّ فرع إلى أصل، لكنَّ تأنيث المذكر أذهَبُ في التَّناكر والإغراب[٦٢]. ويرى ابن جني أن التذكير، في نحو قوله تعالى: ﴿فمَن جاءَهُ مَوعِظةٌ مِن رَبِّه﴾[٦٣]، ناشئ من كون الوَعظ والموعِظة شيئاً واحداً[٦٤]. وهذا كلام دقيق لأن المصدر الأصلي يُطابق المصدر الميمي في المعنى. والموعِظة هنا: مصدر ميمي للفعل وُعِظَ يُوعَظُ بمعنى اسم المفعول:

(59) الأعشى: ديوانه، شرح وتقديم: الدكتور محمد أحمد قاسم، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق وعمان١٩٩٤، ص١١٥؛ والثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: مصطفى السقا ورفاقه، دار الفكر، دون تاريخ، ص٣٣٢.

(60) الأعشى: ديوانه ص ٣٦٤ والمبرد: الكامل، تحقيق: الدكتور محمد أحمد الدالي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٧، ص ٦٦٨؛ وابن جني: الخصائص ٢: ٤١٧.

(61) تُنظر الصفحة ٧٧ من هذا البحث.

(62) ابن جني: الخصائص ٢: ٤١٥.

(63) الآية ٢٧ من سورة البقرة.

(64) ابن جني: الخصائص ٢: ٤١٢.

الموعُوظ بها، عُبِّر به عن اسم الذات. والتأنيث في مَوعِظة غير حقيقي.

وقال سيبويه: يكثر حذف التاء الدالّة على التأنيث، في نحو قوله تعالى: ﴿فمَن جاءَهُ مَوعِظةٌ مِن رَبِّهِ فانتَهَى﴾(٦٥)، وقوله: ﴿مِن بَعدِ ما جاءَهُمُ البَيِّناتُ﴾(٦٦)، إذا كان المؤنث من الموات، لأنهم أرادوا أن يُفَرِّقُوا بين الموات والحَيَوان، كما فَرَّقُوا بين الآدَمِيِّين وغيرهم(٦٧).

ومن أمثلة مجيء **المفرد بمعنى المثنى**، قوله تعالى: ﴿ما يَلفِظُ مِن قَولٍ إلا لَدَيهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(٦٨) أي رَقِيبان عَتِيدان لأنهما ملكان. وقال النبي صلَّى الله عليه وسلم: «إنَّ العَبدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمةِ، ما يَتَبَيَّنُ فِيها، يَزِلُّ بِها فِي النّارِ أبعَدَ مِمّا بَينَ المشرِقِ»(٦٩) أي المشرِقَينِ. وهما مَشرِق الشَّمس في الصَّيف ومَشرِقها في الشِّتاء. والعَرَب تقول(٧٠): وَقَعَت عَينُهُ عَلَيه، أي عَيناه، وفُلان حَسَنُ الحاجِب، أي الحاجِبَين، وأخَذَ بِيَدِهِ ووَقَفَ على رِجلِهِ، أي بِيَدَيه وعلى رِجلَيه. ونحو هذا كثير في كلام العرب، إذ يُعبَّر بالواحد عن الاثنين، إذا كانا كشيء واحد، كالعَينَين والأذنين والفَخِذَين، وجعل بعضهم ذلك

(65) الآية ٢٧ من سورة البقرة.

(66) الآية ١٠٥ من سورة آل عمران.

(67) سيبويه: الكتاب ٢: ٣٨– ٣٩.

(68) الآية ١٨ من سورة ق؛ والعكبري: التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط٢، دار الجيل، بيروت ١٩٨٧، ص١١٧٥.

(69) البخاري ص ٢٣٧٧ تحت الرقم ٦١١٢؛ وابن حجر: فتح الباري ١١: ٣٧٣ و ٣٧٦.

(70) الثعالبي: فقه اللغة ص ٣٧٧.

قياسيًا، على حين قَصَرَه أبو حيان على السّماع[٧١].

ويجيء المفرد في الكلام دالاً على معنى الجمع، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُخرِجُكُم طِفلاً﴾[٧٢] أي أطفالاً، وقوله تعالى: ﴿وحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً﴾[٧٣] أي رُفَقاء، وقوله: ﴿والمِلائِكةُ بَعدَ ذلِكَ ظَهِيرُ﴾[٧٤] أي مُظاهِرُون، وقوله: ﴿والمَلَكُ عَلَى أرجائِها﴾[٧٥] يعنى الملائِكة، وقوله: ﴿وما جَعَلناهُم جَسَداً لا يأكُلُونَ الطَّعامَ﴾[٧٦] أي أجساداً.

وقال النبيّ ﷺ: «خَيرُ نِساءٍ، رَكِبْنَ الإبِلَ، صالِحُ نِساءِ قُرَيشٍ»[٧٧] يعني صُلَّح، وبها جاءت إحدى روايات الحديث، وقال لزوجة أبي سُفيان الذي

(71) أبو حيان: ارتشاف الضرب ص٥٨٤.

(72) الآية ٥ من سورة الحج؛ وابن فارس: الصاحبي، تحقيق: مصطفى الشُّويمي، مؤسسة أ. بدران، بيروت ١٩٦٣، ص٢١١؛ والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، راجعه: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ١٩٩٥، ١٢: ١٣.

(73) الآية ٦٩ من سورة النساء؛ وابن منظور: لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت ١٩٩٢، (رفق).

(74) الآية ٤ من سورة التحريم؛ والثعالبي: فقه اللغة وسر العربية ص ٣٢٩.

(75) الآية ١٧ من سورة الحاقة؛ وأبو حيان: البحر المحيط ١٠: ٢٥٩.

(76)الآية ٨ من سورة الأنبياء؛ والقرطبي١١: ١٨٢؛ وأبو حيان: البحر المحيط، بعناية: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ١٩٩٢، ٧: ٤١١.

(77) البخاري: صحيح البخاري، تحقيق: الدكتور مصطفى البغا، مطبعة الهندي، دمشق ١٩٧٦، ص ١٩٥٥ تحت الرقم ٤٧٩٤؛ وابن حجر: فتح الباري، ط٣، دار الفيحاء، دمشق٢٠٠٠، ٩: ١٥٦.

كان شحيحاً: «خُذِي ما يَكفِيكِ ووَلَدَكِ بِالمعرُوفِ»[٧٨] أي وأولادكِ.

وقال لبيد [٧٩]:

* والسِّنُّ يَلمَعُ، كالكَواكِبِ، لامُها *

السِّنّ والسِّنان واحد، وأراد به هنا: الأسِنّة. فوضع الواحد في موضع الجمع.

وقال العباس بن مرداس: [٨٠]

فقُلنا أسلِمُوا إنّا أخُوكُم فقَد بَرِئَت، مِنَ الإحَنِ الصُّدُورُ

أي: إخوتُكُم.

وقال عمر بن أبي ربيعة [٨١]:

ثُمَّ قالُوا: تُحِبُّها ؟ قُلتُ: بَهراً عَدَدَ النَّجمِ، والحَصَى، والتُّرابِ

أراد بالنَّجم: النُّجُوم. فوضع الواحد في موضع الجمع. ومثله قول الراجز[٨٢]:

جاءَ الشِّتاءُ وقَمِيصِي أخلاقْ

أي: خَلَق. وقول الشاعر: [٨٣]

(78) البخاري ص ٢٠٥٢ تحت الرقم ٥٠٤٩؛ وابن حجر ٩: ٦٢٨.

(79) التبريزي: شرح المعلقات العشر ص ٢٠٥.

(80) العباس بن مرداس: ديوانه، تحقيق: يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩١، ص٧١؛ وابن جني: الخصائص ٢: ٤٢٢.

(81) عمر بن أبي ربيعة: ديوانه، تقديم وشرح: قدري مايو، ط١، عالم الكتب، بيروت ١٩٩٧، ١: ١٠٧؛ وسيبويه: الكتاب ١: ٣١١؛ والمبرد: الكامل ص٧٨٨. وبَهراً: تبّاً لكم.

(82) ابن فارس: الصاحبي ص ٢١٢؛ وابن منظور: لسان العرب مادة (خلق).

(83) البيت من شواهد سيبويه، وقائله غير معروف. سيبويه: الكتاب ١: ٢١٠؛ وأبو

كُلُوا في بَعضِ بَطنِكُمُ تَعِفُّوا فإنَّ زَمانَكُم زَمَنٌ خَمِيصُ

أي: كلوا في بعض بطونكم.

ويكثر مجيء **المفرد بمعنى الجمع** إذا كان من أسماء الأجناس، لأن الجنس يدل على القليل والكثير، وكل اسم جنس قابل للدلالة على الجنس بالمعنى العام. ولذلك حسن وضع المفرد، من أسماء الجنس، في موضع المثنى والجمع، على نحو قولهم: أهلَكَ الناسَ الدِّرهَمُ والدِّينارُ، وقد كَثُرت الشّاةُ والبَعِير(٨٤).

ويُشار إلى أن الفرق بين الجنس واسم الجنس هو أن الجِنس يُطلَق على القليل والكثير، كالماء الذي يُطلَق على القطرة والبحر، وكذلك الرَّحيق والحليب، على حين أن اسم الجنس لا يُطلَق إلا على واحد، كرَجُل وذِئب(٨٥).

ويكثر أن ينوب اسم الجنس المفرد عن الجمع حين يأتي مجروراً بـ«من» الزائدة «نحو قولهم: ما جاءني من أحد، وما كلَّمتُ من أحدٍ، وكقوله عز وجلّ: ﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيكُم مِن خَيرٍ مِن رَبِّكُم﴾ (٨٦) إنما هو: خير، ولكنها توكيد، وكذلك ما ضربتُ مِن رَجُلٍ. فهذا موضعُ زيادتها، إلا أنه موضعٌ دلَّت فيه على أنه للنكرات دون المعارف، ألا ترى أنك تقول: ما جاءَني من أحد،

حيان: ارتشاف الضرب ص٥٨٢.

(84) المبرد: الكامل ص ٧٩٥.

(85)الجرجاني: التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٨، ص ٤١ .

(86) الآية ١٠٥ من سورة البقرة.

وما جاءَني مِن رجُل، ولا تقول: ما جاءَني مِن عبد الله، لأن **رجلاً في موضع الجمع**، ولا يقع المعروف هذا الموضع لأنه شيء عُرِف بعَينِه »[٨٧].

وقال الفرّاء: لا يجوز أن ينوب الواحد عن الجمع إلا أن يكون من أسماء الفاعِلِين، فلا يجوز القول: حَسُنَ أُولئِكَ رَجُلاً، كما جاز ﴿وحَسُنَ أُلئِكَ رَفِيقاً﴾[٨٨]. وأجاز الزَّجاج ذلك.

ولعل مراد الفراء أن وضع الواحد في موضع الجمع، إذا لم يكن من أسماء الفاعلِين يَقبح، حين يقع تمييزاً في الكلام. وهذا لا يَسلَم، لقوله تعالى: ﴿فإنْ طِبْنَ لَكُم، عَن شَيءٍ مِنهُ نَفْساً، فكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾[٨٩] أي نُفُوساً.

ولعل استعمالهم المفرد بمعنى الجمع، يعود إلى أن المفرد أخَفُّ من الجمع، لأنه أصل والجمع فرع. والفرع أثقل من الأصل بلا خلاف. ولأسباب الخِفّة والثِّقَل لم يستعملوا المثنى، للدلالة على المفرد والجمع، إلا في الضَّرائر الشِّعرية، وفي الأسماء الأعلام حصراً، كما في قول جرير[٩٠]:

بانَ الخَلِيطُ، بِرامَتَينِ، فوَدَّعُوا أوَكُلَّما ظَعَنُوا، لِبَينٍ، تَجزَعُ

حيث عَبَّر بِرامَتَين، وإنَّما رامة أرض واحدة.

(87) ابن السراج: الأصول في النحو، تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٦، ١: ٤١٠.

(88) الآية ٦٩ من سورة النساء وابن منظور: لسان العرب (رفق). ورفيقًا: فَعِيل بمعنى اسم الفاعل: مُرافِق.

(89) الآية ٤ من سورة النساء.

(90) جرير: ديوانه بشرح ابن حبيب، تحقيق: الدكتور نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ، ص ٩٠٩ وابن جني: الخصائص ٢: ٤٢٠.

والمثنى ثقيل من حيث المعنى، لأن معناه معنى الجمع[٩١]، وثقيل من حيث اللفظ، لأنه لما ثَقُل الجمع خصُّوه غالباً بصِيَغ لفظية خاصّة به، فكان ذلك تخفيفاً لفظياً للثِّقَل المعنوي، في حين أن الثقل المعنوي للتثنية لم تُقابله خِفّة لفظية في الصياغة، بل ثَقَّلوا المفرد بزيادة علامة التثنية عليه. وهكذا صار المثنى أثقل من الجمع.

وربما قيل: إنهم زادوا أيضاً على بناء المفرد للدلالة على الجمع، كما هو الشأن في جمعي السلامة، وهذا يُبطِل الادِّعاء بأن المثنى أثقل من الجمع. والجواب على ذلك أن جمعي السلامة ثقيلان أيضاً ثقل المثنى من حيث اللفظ، لأنهما بُنِيا على حدِّه[٩٢]. والدَّليل على ثِقَلِهما أننا نلمح جموع تكسير، لأغلب ما حقه أن يُجمَع عليهما، نحو: كَرِيم وكَرِيمُون وكِرام، وكَرِيمة وكَرِيمات وكَرائِم. فكأنهم فرُّوا إلى جمع التكسير طلباً للخِفّة اللَّفظِية. يُضاف إلى ذلك أن جمعي السلامة يجريان غالباً في الصِّفات. والصِّفة أثقل من الاسم بلا خلاف.

ومن أمثلة مجيء الجمع في موضع المفرد، قوله تعالى: ﴿إنّا خَلَقْنا الإنسانَ مِن نُطفةٍ أمشاجٍ﴾ [٩٣]. فالأمشاج: الأخلاط، مفردها مَشِيج. وهو فَعِيل بمعنى مَفعُول، أي مَمشُوج مَخلُوط. والنُّطفة تكون مَشِيجاً، أي مَخلُوطة الأجزاء، ولا تكون أمشاجاً لأنها مفردة. ولذلك يُقال إنها وُصِفَت بالجمع للمبالغة.

(91) سيبويه: الكتاب ٢: ٤٨.

(92) ابن يعيش: شرح المفصل ٥: ٢.

(93) الآية ٢ من سورة الإنسان؛ والعكبري: التبيان ص ١٢٥٧.

وساغ الوصف بالجمع لأنها اسم جنس كما سبق.

وفي حديث أبي سُفيان أمام هرقل، وقد سأله عن النبيّ ﷺ: «الحَربُ بَينَنا وبَينَهُ سِجالٌ»[٩٤] أي نُوَب، والسِّجال: جمع سَجْل، وهو الدَّلو. والحَرب الواحدة تكون سَجْلاً واحداً ولا تكون سجالاً. فيُقال إنها وُصِفَت بالجمع للمبالغة. وجاز ذلك لأنها اسم جنس[٩٥].

وفي حديث أبي جميلة أنَّه وَجَد مَنبُوذاً، فلمّا رآه عُمَرُ رضِيَ الله عنه قال: «عَسَى الغُوَيرُ أبؤُساً»[٩٦]. فالغُوَير: مُصَغَّر الغار. والأبؤُس: جمع بُؤس. وهو الشِّدّة. والغُوَير مفرد أُخبِر عنه بصيغة الجمع للمبالغة. وقال الفرزدق[٩٧]:

وإذا ذَكَرتَ أباكَ، أو أيّامَهُ أخزاكَ، حَيثُ تُقَبَّلُ الأحجارُ

يُريد الحَجَر الأسوَد في الكَعبة الشَّرِيفة، فعَبَّر عنه بصيغة الجمع للمبالغة. وكأنه أراد أن يجعل من كل ناحية حَجَراً.

ويجيء **الجمع للتعبير عن المثنى**، كما في قول أبي محجن[٩٨]:

وما رِمتُ حَتَّى خَرَّقُوا بِرِماحِهِم ثِيابِي، وجادَت بِالدِّماءِ الأباجِلُ

فالأباجِل: جمع أبْجَل. وهو عِرق في باطِنِ الذِّراع. فعَبَّر بالجمع مع أنهما أبْجَلان اثنان للمبالغة. ويطَّرد مجيء الجمع دالاً على المثنى، للتعبير عن جزأين

(94) البخاري ص ٧ تحت الرقم ٧؛ وابن حجر: فتح الباري ١: ٤٤.

(95) ابن حجر: فتح الباري ١: ٥٠.

(96) البخاري ص ٩٤٦؛ وابن حجر: فتح الباري ٥: ٣٣٧- ٣٣٨.

(97) الفرزدق: ديوانه ١: ٣٧٢؛ وابن جني: الخصائص ٢: ٤٢٢.

(98) أبو محجن الثقفي: ديوانه بشرح أبي هلال العسكري، تقديم: الدكتور صلاح الدين المنجد، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٠، ص٣٢. ومارمت: ما بَرِحتُ.

مضافَين إلى صاحبَيهما[٩٩]، كما في قوله تعالى: ﴿والسّارقُ والسّارِقةُ فاقطَعُوا أيدِيَهُما﴾[١٠٠] أي يَدَيهِما، وقوله تعالى: ﴿إنْ تَتُوبا إلى اللهِ فقَدْ صَغَت قُلُوبُكُما﴾[١٠١] أي قَلباكُما، كما مرّ سابقًا.

إن المسألة السابقة تطَّرد إذا لم يُفَرَّق المضاف إليه. فإنْ فُرِّق وجَبَ الإفراد، كقوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، مِن بَنِي إسرائِيلَ، عَلَى لِسانِ داوُدَ وعِيسَى بنِ مَريَمَ﴾[١٠٢]. وتجِب التَّثنية إذا لم يكن المضافان جزأين من المضاف إليه، كقولهم: أعطِهِما دِرهَمَيهِما. وذلك مخافة اللَّبس. فإن أُمِن اللَّبسُ جاز التعبير بالجَمع، كقولهم: قَهَرتُما العَدُوَّ بِأسيافِكُما[١٠٣].

وحين يتحقَّق الشَّرطان السّابقان يجوز التعبير بالمثنى لأنه المقصود، كقولهم: اِبتِنِي بِرأسَي شاتَينِ، ويجوز التعبير بالمفرد لأنه أصل للمثنى، فيُقال: اِبتِنِي بِرأسِ شاتَينِ، ويجوز التعبير بالجمع، وهو الأجوَد والأفصَح، فيُقال: اِبتِنِي بِرُؤُوسِ شاتَينِ[١٠٤]، وذلك لأن التثنية والجمع من باب واحد من حيث المعنى، والجمع أخَفُّ من المثنى من حيث اللفظ، والوقوع في اللَّبس في مثل ذلك بعيد الاحتمال.

ويُشار إلى أنه اجتمع التَّعبير بالمفرد والجمع، عن المثنى الذي ليس جُزءاً من المضاف إليه، في قوله ﷺ لعائِشة وفاطِمة: «إذا أوَيتُما إلَى فِراشِكُما، أو

(99) سيبويه: الكتاب ٢: ٤٨؛ وابن مالك: شرح الكافية الشافية ص ١٧٨٧.

(100) الآية ٣٨ من سورة المائدة؛ وسيبويه: الكتاب ٣: ٦٢١– ٦٢٢؛ والثعالبي: فقه اللغة وسر العربية ص ٣٢٨.

(101) الآية ٤ من سورة التحريم؛ وابن فارس: الصاحبي ص ٢١٢؛ والثعالبي: فقه اللغة ص ٣٢٨.

(102) الآية ٧٨ من سورة المائدة.

(103) ابن مالك: شرح الكافية الشافية ص ١٧٨٩– ١٧٩٠.

أخَذتُما مَضاجِعَكُما، فكَبِّرا ثَلاثاً وثَلاثِينَ، وسَبِّحا ثَلاثاً وثَلاثِينَ، واحمَدا ثَلاثاً وثَلاثِينَ. فهذا خَيرٌ لَكُما مِن خادِمٍ»[١٠٤].

ومن خروج الصِّيَغ الفرعية عن الاستعمال الأصلي **مجيء جموع القلّة مُراداً بها معنى الكثرة**، كقول حسان بن ثابت[١٠٥]:

لَنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمَعنَ فِي الضُّحَى وأسيافُنا يَقطُرنَ مِن نَجدةٍ دَما

أراد بالجَفَنات: الجِفان، وبالأسياف: السُّيُوف، ومجيء **جموع الكثرة مُراداً بها معنى القِلّة**، كقول عمر بن أبي ربيعة [١٠٦]:

فكانَ مِجَنِّي دُونَ مَن كُنتُ أتَّقِي ثَلاثُ شُخُوصٍ:كاعِبانِ ومُعصِرُ

فقد عبَّر بالشُّخُوص عن الأشخاص، لأنَّ ما دون العشرة جمع قلة. وفي هذا المثال استَعمَل الشَّخص وهو مذكّر للدلالة على المؤنث، بدليل حذف التاء من عدده.

(104) البخاري ص ٢٣٢٩ تحت الرقم ٥٩٥٩.

(105) حسان بن ثابت: ديوانه، تحقيق: الدكتور وليد عرفات، دار صادر، بيروت ١٩٧٤، ص ٣٥.

(106) عمر بن أبي ربيعة: ديوانه ١: ٢٥٠؛ وسيبويه: الكتاب ٣: ٥٦٦؛ وابن جني: الخصائص ٢: ٤١٧.

ومن خروج الصيغ الفرعية عن الاستعمال الأصلي أيضاً مجيء **المنسوب بمعنى اسم الفاعل**، كقول النابغة[١٠٧]:

ولا زالَ قَبرٌ بَينَ تُبنَى، وجاسِمٍ عَلَيهِ مِنَ الوَسمِيِّ جَودٌ، ووابِلُ

فالوَسمِيّ: مَطَر الرَّبِيع، لأنه يَسِمُ الأرضَ بالنَّبات. فهو اسم منسوب بمعنى اسم الفاعل للمبالغة، عُبِّر به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة.

* * * * *

تلك كانت أهم صُوَر خروج الأسماء الفرعية عن الاستعمال المألوف. حيث ظهر أن تلك الأسماء وُجِدت في الأصل لتأدية وظائف خاصة في اللغة، ولكنها في السياق قد تخرج عن الاستعمال المألوف، فالمذكّر والمؤنث قد يجيء أحدهما بمعنى الآخر، والمفرد قد يُستعمل بمعنى المثنى أو الجمع، والجمع أيضاً قد يُستعمَل بمعنى المفرد أو المثنى، وتجيء جموع القلة مُراداً بها الكثرة، وجموع الكثرة مُراداً بها القلة، والمصغَّر يأتي أحياناً بمعنى المكبَّر، ويأتي المنسوب دالاً على غير معناه.

(107) النابغة الذبياني: ديوانه بشرح ابن السّكيت، تحقيق: الدكتور شكري فيصل، دار الفكر، دون تاريخ، ص١٢٠؛ وسيبويه: الكتاب ٣: ٣٦؛ وابن فارس: المقاييس في اللغة، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، ط٢، دار الفكر، دمشق ١٩٩٨، (وسم).

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير

(القسم ٣٣)

الدكتورة وفاء تقي الدين

(فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٨٣ الجزء ١)

معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير
في كتاب القانون لابن سينا
(القسم الثالث والثلاثون)(*)

د . وفاء تقي الدين

خُشْكُنانَك **

الخشكنانكات ٢: ٤٧٠

في الكلام على تغذية المصابين بالقولنج بيّن ابنُ سينا مايفيدهم ومايضرهم فقال: «ويضرهم السكباج والمضيرة والخل بزيت والكشكية والبهط واللوزينج

(*) نُشرت الأقسام الاثنان والثلاثون السابقة في مجلة المجمع (مج٦٨: ص٧٤، ٤٢٨) و (مج ٦٩: ص ٣٤١، ٥٢٥) و (مج ٧٠: ص٧٥، ٣٠٣) و (مج ٧١: ص ٣٠٩، ٦٠٣) و (مج ٧٢: ص ١١٧، ٣٢٣، ٧٤٧) و (مج٧٣: ص ١١٧) و (مج ٧٥: ص ١٥٣) و (مج ٧٦: ص ١٣٥، ٦١١) و (مج ٧٧: ص٥٢٥) و (مج ٧٩: ص٧١، ٣٣٣ ، ٦٢٥، ٨٣٧) و (مج ٨٠: ١٦١، ٣٩١، ٦٢١، ٨٨٩) و (مج ٨١: ١٣٩، ٣٦١، ، ٦٤٣، ٨٧٣) و (مج ٨٢: ١٣٥، ٣٢٠، ٦١٥).

** منهاج البيان ١٠٤أ (خشكنانج)، وكتاب الطبيخ ٧٩ (خشكنانج)، ومفيد العلوم ٤٠ (خُشْكنانج)، وتركيب مالايسع ٤١أ، وتذكرة أولي الألباب: ١: ١٣٤ (خُشكنان)، والمعجم الوسيط ٢٣٦ (الخَشْكُنان)، وبرهان قاطع ٢: ٧٥٤ (خشكنانه).

والقطايف[١] أقل ضرراً، وكذلك الخشكنانكات كلها ضارة..» ولم ترد هذه اللفظة كرة أخرى في سائر كتب القانون.

والخشكنانكات صنف من الحلويات يصنع من العجين المحشو باللوز والسكر، وقد وصفت بعض المراجع الطبية طريقة صنعه، كما اهتم ببيانها أحسن بيان محمد بن الحسن البغدادي في كتاب الطبيخ إذ قال: «خشكناج: هو أن يؤخذ الدقيق السميذ الفائق ويجعل على كل رطل ثلاثة أواقي شيرج، ويعجن عجناً قوياً، ويترك حتى يتخمر، ثم يقرص مستطيلاً ويجعل في وسط كل واحدة بمقدارها من اللوز والسكر الدقيق المعجون بماء الورد الطيّب، وليكن اللوز مثل نصف السكر، ثم تُجمع على العادة وتخبز في الفرن وترفع». وفي المعجم الوسيط بيان آخر موجز وهو: «الخشكنان خبزة تصنع من خالص دقيق الحنطة وتملأ بالسكر واللوز أو الفستق وتقلى».

لفظ الخشكنانكات جمع، مفرده خشكنانك، ويقال أيضاً خشكناج وخشكنان وكلها معربة من الفارسية خُشِكِنانه التي ضبطت في المعجم الفارسي برهان قاطع على وزن موريانه أي بضم أولها وكسر ثالثها وفتح ماقبل آخرها، على حين ضبطت في المعجم الوسيط بفتح أولها وضم ثالثها ضبط قلم.

خُصيّة •

خصية ١: ٤٥٥

خصى الأرنب اليابسة انظر (أرنب)

خصى التيوس انظر (ماعز)

(١) الأسماء السابقة كلها مما شرح في معجمنا هذا حسب الترتيب الهجائي.

• الحاوي ٢٠: ٣٩٠ (خصى المواشي وغيرها)، والملكي ١: ١٩٢ (لحم الثدي والخُصى) / ٢: ١٣٨ (الخصى)، ومنهاج البيان ١٠٤ب، والمعتمد ١٣١ (خصى المواشي)، والشامل ٢٥٢ (خصية الماشية)، ومالايسع ٢١١ (خصى الحيوان)، ومعجمات اللغة (خصي).

خصى الثعلب	اطلبه مادة مستقلة بعد هذه
خصية الثور	انظر (بقر)
خصى الديوك	انظر (دجاج)
خصية حيوان البحر	انظر (حيوان)
خصى الفتيان (من الحيوان)	١: ٤٥٥
خصى الفراريج	انظر (فروج)
خصى الضأن	انظر (ضأن)
خصى الكبار (من الحيوان)	١: ٤٥٥
خصى الكباش	انظر (ضأن)

أفردها ابن سينا بمدخل من مداخل كتاب الأدوية المفردة فقال: «خصية. الماهية: هي جنس من اللحم الرخو من أعضاء الحيوان.. ليس له جودة غذاء الشديين.. أكثرها عسرة الهضم..» وفي تضاعيف القانون عرض ذكر بعض خصى الحيوان في تغذية المرضى أو علاجهم، وقد ألحقت كلاً باسم الحيوان الذي أخذت منه.

والخصية هي غدة التناسل من ذكر الحيوان، ذكرها بعض مؤلفي مفردات الأدوية في كتبهم أثناء الكلام على اللحم وأصنافه، وأجملها آخرون مع لحم الشديين، ومنهم من فعل فِعل ابن سينا فاتخذها مدخلاً في الأدوية المفردة، وحرص الجميع على بيان خصائصها وفوائدها التي تختلف غالباً باختلاف الحيوان الذي تؤخذ منه كالأرنب أو الديك أو الضأن أو غيرها.

ضبطت معجمات اللغة الخصية بالضم والكسر، جاء في اللسان «الخُصْي والخِصْي، والخُصْيه والخِصية من أعضاء التناسل، واحدة الخُصى، والتثنية خُصْيتان وخُصيان وخِصيان.. والجمع خُصًى»

خُصِي الثَّعْلب*

خصى الثعلب	١: ٤٥٤/ ٢: ٥٦٦/ ٣: ٣١٨
أصل خصى الثعلب	١: ٤٥٤/ ٢: ٥٣٩
حشيش خصى الثعلب	١: ٤٥٤
زهر خصى الثعلب	١: ٤٥٤
ضماد خصى الثعلب	١: ٤٥٤
أغصان خصى الثعلب	١: ٤٥٤
ورق خصى الثعلب	١: ٤٥٤

خصي الثعلب **عقّار** نباتي ذكره ابن سينا في كتاب الأدوية المفردة فقال: «خصى الثعلب. الماهية: قال ديسقوريدس هو نبات ورقه مفروش على وجه الأرض، وهو أخضر شبيه بورق الزيتون الناعم، إلا أنه أدق منه وأطول، وله أغصان طولها شبر، عليها زهر لونه فرفيري، وله أصل شبيه ببصل البلبوس إلا أنه إلى الطول ماهو، وهو يتضاعف بازدواج مثل زيتونتين إحداهما فوق الأخرى رخوة متشنجة وقد يؤكل هذا الأصل كما يؤكل البلبوس مسلوقًا. وقد يقال عن هذا الأصل إنه إذا أكل الرجل القسم الأعظم منه ولد الذكران، وإن القسم الأصغر إذا أكلته النساء ولدن الإناث. وهذا الصنف ينبت في مواضع

* كتاب ديسقوريدس ٢٩٥ (أرخس)، ٢٩٦ (صاطورين)، والحاوي ٢٠: ٣٩٦ (خصى الكلب وخصى الثعلب)، والملكي ٢: ١٢٠، ومفاتيح العلوم ١٧٤، والصيدنة ١٨٢، ومنهاج البيان ١٠٤ب، وشرح أسماء العقار ٤١ (٣٩١)، والمختارات ٢: ١٩٧، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٦٢، والمعتمد ١٢٨، ومالايسع الطبيب جهله ٢١١، وحديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار ٣١٢ (٣٤٥) وتذكرة أولي الألباب ١: ١٣٥، ومعجم أسماء النبات ١٢٩ (٨)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٤٦٧، ومحيط المحيط ٢٣٧ (خصي)، والمعجم الوسيط ٢٣٩. وانظر في معجمنا هذا المواد التالية (ارخس)، و (خصى الكلب)و (ساراقياس) و (ساطوريون) و (قاتل أخيه).

حجرية ومواضع رملية. ومن خصى الثعلب صنف اخر.. وهو نبات ورقه يشبه ورق الكراث إلى الطول إلا أنه أعرض منه، رخصٌ، فيه رطوبة دبقية، وله ساق طوله نحو من شبرين، وزهر لونه إلى لون الفرفير ماهو، وأصل شبيه بالخصيتين، وقيل في هذا الأصل ماقيل في الذي قبله، وحشيش كليهما خشن حلو..» ثم بين فوائده الطبية، وأهمها أنه ينفع الأعصاب ويقوي الباه، ويفتح النواصير ضماداً.

والكلام السابق الذي نسبه ابن سينا إلى ديسقوريدس نجده عنده في كتاب المادة الطبية باسم (ارخس) ثم (ارخس) آخر، ولم يُترجَم الاسم إلى العربية، يتلوهما نبات ثالث باسم صاطورين جاء في ترجمته أنه خصى الثعلب، ومن الناس من يسميه طريقلن، ومعنى طريقلن باليونانية ذو ثلاث ورقات فسمي بهذا الاسم لأن أكثر ذلك ذو ثلاث ورقات، وهي مائلة إلى نحو الأرض شبيهة في ميلها بورق الحمّاص أو زهر السوسن إلا أنها أصغر منها، وفي لونه حمرة مائلة إلى حمرة الدم، وساق دقيقة طويلة طولها نحو من ذراع، وزهر شبيه بزهر السوسن أبيض، وأصله شبيه ببصل السوسن في مقدار تفاحة، أحمر الظاهر أبيض الباطن كبياض البيض حلو الطعم طيب.. ينفع من الفالج ويهيج الجماع.. ونوع آخر .. له بزر شبيه ببزر الكتان إلا أنه أعظم منه، وله أصل يذاق أملس صلب ويقال إنه يهيج الجماع مثلما يهيجه السقنقور.. الخ»

وهكذا يتبين لنا أن ابن سينا جمع في كلامه على خصى الثعلب ما جاء في كتاب ديسقوريدس عن صنفَي أرخس إلى بعض ماجاء عن صاطورين. أما المراجع الأخرى فقد ترجمت تحت اسم خصى الثعلب ماجاء في كتاب ديسقوريدس باسم ساطورين، وتحت اسم خصى الكلب ماجاء فيه باسم ارخس، وممن فعل هذا ابن البيطار وابن الكتبي وغيرهما، على حين ترجم آخرون اسمَي خصى الثعلب وخصى الكلب على أنهما نباتان متشابهان الفعل

جيدان للباه دون محاولة التمييز بينهما، ومن هؤلاء الرازي في الحاوي، والخوارزمي في مفاتيح العلوم والبيروني في الصيدنة..

فالمراجع العربية القديمة مضطربة في شأن هذين الاسمين، أما في المعجمات الحديثة فهما اسمان لجنس من النباتات العشبية المعمرة فيها أنواع برية وأخرى تزرع للتزيين عرفت في المراجع العربية القديمة بأسماء عدة هي خصى الثعلب وخصى الكلب وقاتل أخيه فضلاً على الأسماء المعرّبة من اليونانية مثل ارخس وسارفياس وسارطون وغيرها. وتعرف عند العامة اليوم في الشام ومصر باسم السحلب، وهو يطلق خاصة على سحيق درناته ذي النكهة العطرة الذي يضاف إلى بعض الأطعمة ويُشرب ماؤه كالشاي.

والاسم العلمي لهذا النبات هو Orchis hircina. والغالب أن الاسم العربي خصى الثعلب وضع على التشبيه بخصى الحيوان المعروف.

خصى الكلب*

خصى الكلب ١: ٤٥٤

خص» الكلب (صغير) ١: ٤٥٤

خصى الكلب (كبير) ١: ٤٥٤

أصل النبات المعروف بخصى الكلب ٢: ٥٤٦

في كتاب الأدوية المفردة في القانون ذكر ابن سينا عقارين نباتيين الأول هو خصى الثعلب، والآخر هو خصى الكلب ذكره بعده مباشرة وقال فيه «خصى الكلب. الماهية: هو نبات شبيه بخصى الثعلب حتى إن قومًا اشتبهوا في

* الحاوي ٢٠: ٣٩٦، ومفاتيح العلوم ١٧٤، والصيدنة ١٨١، ومنهاج البيان ١٠٤ب، ومختارات ابن هبل ٢٠: ١٩٧، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٦١، والمعتمد ١٢٩، والشامل ٢٥١، ومالايسع الطبيب جهله ٢١٠، ومعجم أسماء النبات ١٢٩ (٨)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٤٦٧. وانظر المادة السابقة.

الفرق بينهما فقال واحد منهم إن ذاك هذا، وقال آخرون إن هذا النبات ذاك، لتشابه الأصول والنبات، وهما قريبا الأفعال، وهو صنفان أحدهما أصغر، وهو زوجان زوج تحت وزوج فوق، وأحدهما رخو، والآخر ممتلئ، ونوع آخر أعظم من ذلك.. يحلل الأورام.. ينقي القروح.. إذا تناول الرجل أكبرهما صار مذكارًا، وإذا تناولت المرأة أصغرهما صارت مئناثًا، ويقال إن الرطب منه يزيد في الجماع..»

وهكذا يتبين أن ابن سينا لم يتوصل إلى الجزم في أمر هذا النبات والنبات السابق الذي ذكره قبل باسم خصى الثعلب، وكذلك غيره من الأطباء وعلماء النبات القدامى. والراجح حسب معجمات النبات الحديثة أنهما اسمان لبعض أصناف جنس واحد من النبات هو Orchis hircina

خِضاب

خضاب، خضابات ١: ٢٧١، ٣٩٨، ٤٦٩/ ٣: ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥.

خضابات مسوّدة ٣: ٢٧٣

خضب، يخضب، يختضب..الخ ١: ٢٩٩، ٣٩٨/ ٣: ٢٧٣، ٢٧٤

يخضب كالذهب ٣: ٢٧٤

المُختَضِب بالحناء ١: ١٣٥

عدَّ ابن سينا مايتعلق بالزينة جزءاً من الطب، فلذلك تكلم على الخضابات في الكتاب الخامس من كتب القانون فبيّن أنواعها مفردةً أو مركبةً، وممن ذكر في أدويته الخضابات ابن الكتبي في تركيب مالايسع الطبيب جهله إذ وصف نسخًا منها مختلفة وبين طرق صنعها.

وجاء في تاج العروس: «خضبه يخضبه خضابًا لوَّنه أو غيرّ لونه بحمرة أو

صفرة أو غيرهما كخضَّبة تخضيباً. وخضب الرجل شيبه بالحناء يخضبه. وإذا كان بغير الحناء قيل صبغ شعره ولايقال خضبه» واصطلاح ابن سينا هو الأول أي إنه يستعمل الخضاب للحناء وغيره «واسم مايُختَضب به الخضاب ككتاب».

خُضْرَة

الخضرة التي تحدث على جرار الماء ٣: ٢٦١

ذكرها ابن سينا علاجًا مسكِّنًا لِلَسْع الزنابير، وهي نوع من الأشنة أو الطحلب. فانظر ماقيل في هذين الاسمين.

خُطَّاف *

خُطَّاف، خطاطيف ١: ٢٥٩، ٤٦١

خطاف محرَق ٢: ٢٠٥

حُراقة الخطاف ١: ٤٦١

الحصى الموجودة في جوف الخطاف ١: ٤٦١

خرء الخطاف، خرء الخطاطيف ٢: ١٢٦، ٢٠٥/ ٣: ٢٧٥

خرء الخطاطيف المحرَق ٢: ٢٠٥

دماغ الخطاف ١: ٤٦١

* كتاب ديسقوريدس ١٤٤ (خاليدونس)، وكتاب الحيوان ١: ٣٦/ ٢: ١٧٧، ٢٦٢، ٢٩٥، ٣٣٠/ ٣: ٣٣٢/ ٥: ٢٠٣، ٣٥٣ وغيرها، الحاوي ٢٠: ٤٢٣، والملكي ٢: ١٣٧، ٥٣٩ (صفة دواء الخطاطيف)، والصيدنة ١٧٢، ومنهاج البيان ١٠٥أ، ١٢٨أ (ذرق الخطاطيف)، ١١٦أ (دواء الخطاطيف)، ١٣٥أ (رماد عش الخطاطيف)، والمختارات ٢: ١٩٩، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٦٤، والمعتمد ١٣٢، والشامل ٢٢٩، ومالايسع ٢١٣، وتركيب مالايسع ٤٤ب (دواء الخطاطيف)، وحياة الحيوان ١: ٢٥٤، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٣٥، ومعجم الحيوان ١٦٠، ومعجم الألفاظ الزراعية ٣٣٩، ومعجمات اللغة (خطف).

دواء الخطاطيف ١: ٤٣١/ ٢: ٢٠٥/ ٣: **٣٣٢**
ذرق الخطاطيف ٢: ٢٠٤
رأس الخطاف ٢: ١٤٣
رماد الخطاف، رماد الخطاطيف ١: ٤٦١/ ٣: ٣٣٢، ٤٤٠
زبل الخطاف ١: ٣٠٩
عش الخطاطيف ١: ٤٦٢
فرخ الخطاف، فرخ الخطاطيف ١: ٤٦١، ٤٦٣
فراخ الخطاطيف طرية ٣: ٤٢٧
فراخ الخطاطيف مملوحة ٣: ٤٢٧
مرارة الخطاف ٢: ١٤٠

من العقاقير الحيوانية الواردة في مفردات القانون الخطاف. قال ابن سينا في ماهيته إنه طائر معروف، وذكر من فوائده أنه ينفع لاختلال العقل، ويحدّ البصر، وينفع من الخناق، وعشّه يسهل الولادة...الخ، وبيّن في كتاب الأدوية المفردة كيف يصنع منه الدواء المنسوب إليه أي دواء الخطاطيف.

وهذه الفوائد التي نسبها ابن سينا وغيره من مؤلفي المفردات بالعربية في كتاب ديسقوريدس وأكثرها مما يستبعده العقل كقوله «إذا أخذ فرخه في زيادة القمر وكان أول فرخ، وشُقّ، وأُخذ من الحصى الموجود في جوفه حصاتين إحداهما ذات لون واحد وأخرى مختلفة اللون، وشُدّ في جلد من جلد عجل أو جلد أيل قبل أن يصيبها تراب، وربطتا في عضد من به صرع[1] أو رقبته انتفع بذلك، وكثيرًا ما فعل ذلك فأبرأ من به صرع[1] برءًا تامًا. وإذا أكلت كما

(١) في الكتاب المطبوع بالعربية «صدع» والصواب ما أثبته اعتمادًا على السياق والمراجع الأخرى.

يؤكل الطير المسمى سوقليدس واكتحل به أحدّ البصر، وإذا يحنّك برمادها نفع من الخناق وورم اللهاة، وإذا مُلّحت وجفّفت وشرب منها مقدار درخمى بماء نفعت من الخناق» كما نُسبت إليه فوائد أخرى جمعها ابن البيطار في كتابه الجامع..

والخطاف هو هذا الطائر الرشيق الأسود المقارب في حجمه للعصفور المعروف برحلته السنوية إلى البلاد الدافئة، وسماه بعضهم زَوّار الهند، وتعرفه العامة باسم عصفور الجنة، ويعرف في أيامنا هذه باسم السنونو، وله أصناف كلها من الجوائم المشقوقات المناقير من الفصيلة السنونية.

ضبطت اللفظة في القاموس وغيره كرُمّان بضم الخاء المعجمة وتشديد الطاء، وتجمع على خطاطيف.

خُطّافِيّ*

الخطافيّ ١: ٤٦٣

في كتاب الأدوية المفردة تكلم ابن سينا على عقار نباتي اسمه (خاليدونيون) فكان مما قاله فيه: «إذا غُليت** عصارته على جمر حتى ينتصف[١] أحدّ البصر، وإذا عمي فرخ الخطاف حملت إليه الأم هذا النبات فيرتد بصيراً، ولذلك سمي الخطافيّ، فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى[٢]».

فالخطافي إذًا هو اسم للعقّار النباتي المدعو خاليدونيون، وقد سبق الكلام عليه في هذا الفصل، فاطلبه في موضعه.

* الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٤٢، والتذكرة ١: ١٢٩، وانظر (خاليدونيون) و(عروق صفر).

(١) أي حتى يتبخر فلا يبقى إلا نصف كمية العصارة.

(٢) من الآية ٥٠ من سورة طه ﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾.

** الصواب: أُغْلِيَتْ [المجلة].

خَطْمِيّ*

خطمي ١: ٢٢٠، ٢٣٢، ٤٢٨، **٤٥٣**، ٤٦٠/ ٢: ٢٠، ٢٢، ٣٦، ٣٩، ٩٨، ١٣٦، ١٥٤، ١٥٩، ١٦١، ١٧٠، ١٧٢، ١٨٨، ٢٥٤، ٢٨١، ٢٨٢، ٣٠٠، ٣٢٩، ٣٣١، ٤٤٣، ٤٤٩، ٤٦٣، ٤٨١، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٩٤، ٤٩٧، ٥٠٧، ٥١٠، ٥١١، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٥، ٥٧٦، ٥٧٨، ٥٩٧، ٥٩٩، ٦٠٣/ ٣: ١٢٦، ١٣٥، ١٨٤، ١٨٦، ٢١٠، ٢٣١، ٢٤٠، ٢٦١، ٢٧٤، ٢٧٦.

خطمي أبيض ٢: ٤٦٨/ ٣: ١٥٨، ١٨٦، ٤٠٥

خطمي رطب مسلوق ٣: ٢٣٢

خطمي مسلوق ٢: ٥٢١

أصل الخطمي، أصول الخطمي ١: ٤٥٣/ ٢: ٢٣٦، ٢٥٤، ٣٢٩، ٣٣٠، ٤٩٨/ ٣: ١٢٢، ١٣٥، ١٨٥، ٢٠٥، ٢٩٩، ٣٠٥، ٣٧٦، ٤١٥

*كتاب ديسقوريدس ٣٣٠ (الثاا)، وكتاب النبات ١: ١٦١، والحاوي ٢٠: ٣٩٨، والملكي ٢: ١٠١، ١٠٨ (بزر الخطمي)، والصيدنة ١٧٢، ومنهاج البيان ١٠٤ب، ١٧٦ب (صمغ الخطمي)، وشرح أسماء العقار ٤١ (٣٩٠)، والمختارات ٢: ١٩٧، والجامع ٢: ٦٣، ومفيد العلوم ٤٣، ومنهاج الدكان ١٨٧، والمعتمد ١٣١، والشامل ٢٢٧، ومالايسع الطبيب جهله ٢١٢، وحديقة الأزهار ٣٠٥ (٣٣٦)، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٣٥، وقاموس الأطباء ٢: ٩٠، ومعجم أسماء النبات ١١ (٦، ٧)، ١١٤ (٩)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٢٩، ٣٧٤، والمعجم الموحد ١٧٢، ١٣٢، ومعجمات اللغة (خطم).

أصل الخطمي الأبيض ٣: ٣٩١
بزر الخطمي ١: ٤٥٣/ ٢: ١٨١، ٢٠٦، ٢٥٦، ٢٨٢، ٣٧٧، ٣٩٤، ٤٤٣، ٤٧٢، ٤٨١، ٤٨٤، ٤٩٥، ٤٩٨، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥١٤، ٥٥١/ ٣: ٢٣٧، ٢٥٧، ٢٧٦، ٣٤٠، ٣٦٢
حب الخطمي ٢: ١٠٧
دهن أصل الخطمي ١: ١٧٤
صمغ الخطمي ١: ٤٥٣
طبيخ أصول الخطمي ١: ٤٥٣
طبيخ الخطمي ١: ٤٥٣/ ٣: ٣٥

٣: ١٦٣

لعاب الخطمي الأبيض ٣: ٤٠٥
مياهٌ طبخ فيها الخطمي ٢: ٤٤٩
ماء طبيخ الخبازى ٢: ٢٥١
ماء ورق الخطمي ٢: ٤٦٧
نَطولات خطميّة ٢: ٤٩٤، ٥٠٦
ورق الخطمي ١: ٤٥٣/ ٢: ١١٩، ٤٨٣/ ٣: ٢٦٥
ورق الخطمي الغضّ ٢: ٥٩٩

الخطمي عقّار نباتي مشهور، ذكره ابن سينا في مفردات القانون فقال: «خطمي، الماهية: اسمه باليونانية مشتق من اسم كثير المنافع.. حار باعتدال.. فيه

تليين..» ثم ذكر فوائده الكثيرة كتليين الأورام وتسكين وجع المفاصل وإزالة السعال وحرقة البول.. الخ

وللخطمي أنواع كثيرة برية وأخرى مزروعة، ومن أسمائها الخبازي البري، والغَسول، وهو الذي يسمونه بالمغرب والأندلس ورد الزواني. واسمه العلمي Althoa ficifolia وكان العرب يستعملون ماءه غسولاً للرأس. ومنها الخطمي البري أو الملوخية البري، وتدعوه عامة الأندلس بشحم المرج، واسمه العلمي Alehoa Rosea، وهو يزرع أيضًا. وقديسمى الخطمي الوردي أو الدمشقي أو شجر ورد الحمار.. وكل هذه الأنواع من فصيلة الخبازيات.

ضبطت لفظة الخطمي في المعجمات العربية بفتح الخاء وكسرها، إذ نُقل عن أبي حنيفة قوله: خطمي بفتح الخاء، وأضاف الأزهري ومن قال بكسرها فقد لحن. وجاء في القاموس المحيط بكسر الخاء وهو الذي اقتصر عليه الجوهري، ويفتح، .. واحدته خطميّة

خُفَّاش *

خفاش	١: ٤٦٠
خفافيش	١: ١٠/ ٢: ٤١٤
خفاش مذبوح	٢: ٦٢١
بول الخفاش	١: ٤٦٠

* كتاب الحيوان ١: ٣٠، ١٩٤/ ٢: ٢٩٨/ ٣: ٥٢٩، ٣٠/ ٥: ٢٠٣، ٣٥٣ وغيرها، والحاوي ٢: ٣٧٧، والصيدنة ١٨٣، ومنهاج البيان ١٠٥أ، ١١٣ب (دمه، دماغه)، والمختارات ٣: ١٩٩، والجامع ٢: ٦٥، والمعتمد ١٣٢، والشامل ٢٢٩، ومالايسع ٢١٣، وحياة الحيوان ١: ٢٥٦، والتذكرة ١: ١٣٦، وقاموس الأطباء ١: ٢٢٥، ومعجم الحيوان ٣٠، ومعجم الألفاظ الزراعية ١٤٤، والكليّات ٢: ٣١٣، ومعجمات اللغة (خفش). وانظر (شيرزق).

دم الخفاش ١: ٢٩٥[١]/ ٣: ٢٧٠

دماغ الخفاش ١: ٤٦٠، ٤٦١/ ٣: ٢٧٠

دهن الخفاش، دهن الخفافيش ١: ٤٦٠/ ٢: ٦٢١/ ٣: ٦١

رماد الخفاش ١: ٤٦٠

كبد الخفاش ٣: ٢٧٠

لبن الخفاش ١: ٤٦٠

الخفاش من العقاقير التي ذكرها ابن سينا في كتاب الأدوية المفردة إذ قال: «خفاش الماهية: يقال إن شيرزق[٢] لبنه، ويقال بوله. في شيرزق جلاء.. دهن[٣] الخفاش يمنع أثداء الأبكار عن العِظَم، ويمنع نبات الشعر فيما يقال، وليس بصحيح.. دماغه مع العسل نافع لابتداء الماء في العين، ورماده يحد البصر، والشيرزق نافع للظفرة والبياض[٤]»

وفي المراجع الأخرى نجد مثلما ورد في القانون مع بعض الزيادات والمزاعم الأخرى البعيدة عن العلم الصحيح، وأما نفي ابن سينا لبعض فوائده المزعومة فهو مأخوذ عن جالينوس، فقد نقل ابن البيطار في الجامع قول جالينوس: «ومنهم من أثبت في كتبه أن دم الخفاش له منافع كثيرة، وأنه إذا طُلي على نهود الأبكار حفظها على نهادتها ومنعها من أن تعظم زمانًا طويلاً، وقد جربتُ أنا هذا فوجدته باطلاً..»

والخفاش هو هذا الحيوان اللبون الطائر الذي يسميه عامة أهل الشام ومصر الوطواط، و من أسمائه طير الليل وطُمْروق، وخُشّاف في العراق، وسحاة في

(١) في المطبوع المعتمد للفهرسة «دم الخفاف» وهو تصحيف.

(٢) بعدها في القانون المطبوع أُقحمت كلمة «ورق» خطأ.

(٣) كذا في القانون ، وفي المراجع الأخرى نقلاً عن جالينوس «دم»

(٤) من أمراض العين.

شرق جزيرة العرب، وهو من رتبة مجنحة الأيدي، يظهر في الليل، وله فصائل وأجناس كثيرة.

ضبط لفظ الخفاش في معجمات اللغة كرُمّان، وجمعه خفافيش، وهو مشتق من الخَفَش. جاء في اللسان: «والخَفَش ضعفٌ في البصر، وضِيق في العين. قيل: وبه سُمّي الخفاش لضعف بصره بالنهار».

خل*

خل ١: ١٦، ١٠٦، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٦، ١٩٢، ٢٠١، ٢٠٢، ٢١٣، ٢١٩، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠،

* كتاب ديسقوريدس ٣٨٢، والحاوي ٢٠: ٤٤٦، والملكي ٢: ١٢٤، والصيدنة ١٨٣، ومنهاج البيان ٥٠ ب، والمختارات ١: ٢٥٦/ ٢: ٢٠١، والجامع لمفردات الأدوية ٢: ٦٥، ومفيد العلوم ٣٢، والمعتمد ١٣٣، والشامل ٢٣٠ ومالايسع ٢١٤، والتذكرة ١: ١٣٦، ومعجم الألفاظ الزراعية ٦٧٨، والمعجم الموحد ٣: ١١٠، ومعجمات اللغة (خلل).

٣٧٤، ٣٧٥، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٣، ٣٨٥،
٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٣، ٣٩٥، ٣٩٦،
٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣،
٣٩، ٤٠، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٤، ٥٧، ٥٨،
٦١، ٧٠، ٨٥، ٨٨، ٩٣، ١٠٥، ١١٨،
١٥٨، ١٥٩، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦،
١٦٩، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٨،
١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٦،
١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢،
١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٠،

٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٢٢،
٢٣١، ٢٣٧، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٧٠، ٢٨١،
٢٨٢، ٢٨٣، ٢٩٩، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨،
٣١٣، ٣١٤، ٣١٨، ٣٢١، ٣٣٣، ٣٤٠،
٣٤١، ٣٤٧، ٣٤٧، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٧٤،
٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٥،
٤٠٨، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦،
٤١٧، ٤١٨، ٤٣١، ٤٣٣، ٤٣٧، ٤٤١،
٤٤٤، ٤٦١، ٤٦٧، ٤٧٠، ٤٧٥، ٤٨٠،
٤٨٤، ٥٠٧، ٥١١، ٥١٥، ٥٢٥، ٥٢٧،
٥٣١، ٥٤٥، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٤، ٥٥٥،
٥٧٢، ٥٨٤، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٩٠، ٥٩٦،
٦٠٧، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٥، ٦٢٥،
٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٤١٥/ ٣: ٧، ٢٨،
٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٩، ٤٩، ٥١، ٦١،
٦٦، ٦٧، ٧٠، ٧١، ١١٥، ١١٧، ١١٨،
١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٠،
١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٢،
١٤٤، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٤، ١٦٣،
١٧١، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨، ١٧٩،
١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٩،
٢١٢، ٢١٤، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٢٩،
٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٧،

٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٧،
٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٢،
٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨،
٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦،
٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٣،
٢٩٤، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٨،
٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٩، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥١،
٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٤،
٣٦٥، ٣٨٣، ٣٨٨، ٣٩٨، ٤٠١، ٤٠٣،
٤٠٥، ٤١٣، ٤١٥، ٤١٩، ٤٢٤، ٤٢٥،
٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٤٢،

خل الاسترغان انظر (استرغان)

خل اشترغار انظر (اشترغار)

خل الاشقيل انظر (اشقيل)

خل الأنجدان انظر (أنجدان)

خلّ ثقيفٌ ١: ٣٢٣، ٣٧٥، ٣٧٦، ٤٤٠/ ٢: ٣٤،
٦٩، ١٣٧، ١٥٥، ١٩٢، ٢٨٣، ٣٠٥،
٣١٠، ٣٣٥، ٤١٠، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٦،
٥٨٧، ٦٢٠، ٦٢٦/ ٣: ٧، ٤١، ١٣٥،
١٤٣، ١٤٦، ١٧٥، ١٨٣، ٢٠٥، ٢٦٩،
٢٨٣، ٣٢٨، ٣٥٠، ٣٦٥، ٤٠٥، ٤٢١،
٤٢٥

خل حاد الرائحة ١: ٤٥٧

حل حنظل	١: ١٧٠/ ٢: ٢٧٠، ٣١٦، ٤١٤، ٤١٦، ٥١١/ ٣: ٤١، ١٣٠، ١٧٧، ٢٠٥، ٢٥٠، ٢٦٥، ٢٧٨، ٣٤٨
حل حار، حل حار جداً	١: ٢٠١/ ٢: ٣٠٥/ ٣: ٣٠٦
حل حامض، حل شديد الحموضة	٢: ٣٠٨، ٤١٤، ٤٧٧/ ٣: ٤١، ١٢٠، ٢٨٠
حل حريف	٣: ٢٣٤
حل الحنظل	انظر (حنظل)
حل حمر، حل حمري	انظر (خمر)
حل الزير	انظر (زير)
حل سلاح	٢: ٣٧
حل السواد	٣: ٢٨٦
حل شديد القلوية	١: ٤١٣
حل طبخ فيه الدراريح	٣: ١٧٩
حل طبخ فيه سلخ الحية	١: ٣٢٤
الحل الطب	٢: ٤٩١
حل العسل	انظر (عسل)
حل غضض	١: ٢٧٠
حل العنصل	انظر (عنصل)
حل فائق	٣: ٢٦٩، ٤٢٤
حل القريص	انظر (قريص)
حل الكبر	انظر (كبر)
حل متخذ من العنب البري	١: ٢٦٤

خلٌ متوسط الثقافة ٢: ٣٩٦
خلٌ مسخَّن ١: ٤٦٢/ ٢: ٤١٦/ ٣: ١٨٤، ٢٢٥
خلٌ مريٌّ انظر (مري)
خلٌ مُصعَّد ١: ٣٠٧
خل المَصوص ٣: ٦٣. وانظر (مصوص)
خلٌ مغلي ٢: ١٩٠
خلٌ مفتَّر ٣: ٢٤٧
خلٌ مقطَّر ٣: ٧٠، ٣٧٣
خلٌ مقلو ٣: ٤٣٥
خل ممزوج ١: ٤٤٤/ ٢: ١٩٨، ٢٢٣، ٢٣٤، ٢٣٨، ٣٠١، ٣٣٥، ٣٤٠، ٣٤٤، ٤١٥، ٤٤١، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٣/ ٣: ٣١، ١١٥، ١١٧، ١٧٥، ٢٣٥، ٢٤٣، ٣١١، ٣٢٤، ٤١٥
بخار الخل ٢: ٢١، ٤٠، ٥٧، ٤٦٢/ ٣: ٢٥٧
بخار خل من حجر رخام أو حجر أسود ٢: ٤١٦
بخار خل حار ١: ٤٦٢
بخار خل خمرٍ ثقيفٍ ١: ٤٦٥
بخار خلٍ وضع فيه...حرمل ٢: ٦٢١
بخار الخل عن حجر الرحى ١: ٣٢٥/ ٢: ١٦٩
ثجيرُ الخل ٣: ١٧٩
ثفل خلٍ طبخ فيه الأبهل وجوز السرو ٢: ٤١٤
دردي الخل ١: ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٧/ ٢: ١٩٢، ٢٨٢/ ٣: ٢٩٤

دردي الخل المسخَّن	٢: ٤١٦
دردي الخل المطبوخ	٢: ٣٦٨
دردي الخل اليابس محرقًا	٢: ٦٢١
سكنجبين بالخل	١: ١٦٧
سكنجبين متخَّذ بالخل	٢: ٣٠٨
عكر الخل	٣: ١٣٥
الخلُّ زيت (من الأطعمة)	٣: ١٢٠

الخل مدخل من مداخل الأدوية المفردة في كتاب القانون، تكرر ذكره في أثناء الكتاب مرات كثيرة جدًا، ومما جاء في فوائده أنه «يمنع حدوث الأورام وسعي[1] الغانغرينا ويزيل آثار الدم والكهبة تحت العين، وينفع من الصداع، وينفع اللهاة، ويمنع الجراحات أن ترم، ويصلح المعدة، ويقوي الشهوة» وأكثر ماتكرر في القانون ذكره علاجًا لمنع حدوث الأورام في الجراحات أي هو مطهر للجروح مانع من التهابها بحسب تعبيرنا المعاصر.

والخل كما هو معروف يمكن أن يتخذ من ثمار مختلفة والمشهور منه ما اتخذ من العنب، ولذلك قال الأنطاكي في تذكرته إنه إذا أطلق فالمراد به ما استخرج من العنب، «وصنعته أن يعصر، ويصفى، ويوضع في الجرار، وقد يحتسى بعاقيده، قالوا: ولابد أن يتخمر ثم يتحول خلاً»، فالخل إذًا هو خمر حامضية أي حمضت بتأثير خميرة الخل، واسمه بالفرنسية مشتق من اسم الكرمة Vinaigre، وإذا أراد ابن سينا هذا النوع من الخل أطلق اللفظة وإن أراد خلَّ غير العنب قيدها باسم النبات الذي أخذت منه.

أما قوله الخل الثقيف أو الحاذق فالمراد به ماائتدت حموضته من الخل.

---

(١) أي انتشار.

والعنفِص ماقلّت حموضته ومال إلى المرارة، ووردِيّه وثجيره هما الثفل الذي يتبقى منه إذا خلل العنب كما هو دون عصر.

خِلاَف

خِلاَف	١: ٤١٦، ٤٦٠/ ٢: ١٦٤
بزر الخلاف	٢: ٤٧٧
ثمرة الخلاف	١: ٤٦٠
حكاكة خشب الخلاف	٣: ٧١
حُكاكة عروق شجر الخلاف	٣: ٧٢
دهن الخلاف	١: ١٨٤/ ٢: ٢٣، ٣١، ٣٧، ١٥١، ١٥٣، ١٦٢، ١٧٤، ١٧٨، ١٨٩/ ٣: ٣٠، ٣٢، ٦١، ٢٢٢، ٢٩٢
دواء الخلاف	٣: ١٥٣
رماد الخلاف	١: ٤٦٠
زهر الخلاف	١: ٢٩٢
شجرة الخلاف، شجر الخلاف	١: ٣٩٢، ٤٣٧
صمغ الخلاف	١: ٤٦٠
طبيخ ورق الخلاف	٢: ١٥٧/ ٣: ٣٢
أطراف الخلاف	٣: ٢٨
عصارة الخلاف	٢: ٤٩٤/ ٣: ٣٠
عصارة أطراف الخلاف	٢: ١٦٥
عصير ورق الخلاف	١: ٤٦٠/ ٢: ١٥٧
عصير ورق الخلاف الرطب	٣: ٢٧٦
عود خلاف	٣: ٣٢٠

فقاح الخلاف ١: ٤٦٠/ ٣: ٣١٩
قضيب خلاف ٣: ٣١
قيروطي متخذ بدهن الخلاف ٢: ٣٥٧
لحاء الخلاف ٢: ٤١٤
لعاب ورق الخلاف ٣: ٢٧٠
ماء الخلاف ١: ٤٦٠/ ٢: ٣٦، ٣٧، ٩٨، ١٤٧، ٢٧٠، ٤١٠، ٥٨٨/ ٣: ٢٨، ٦٦، ٤٣٢
ماء ورق الخلاف ٢: ١٤٤، ٤١٢/ ٣: ٢٧٦
ماء طبخ فيها ورق الخلاف ٢: ٩٨
المرهم المتخذ بالخلاف ٢: ٣٩٤
المطرس الخلافية ٢: ٥٤٨
مرد الخلاف ٢: ٣٥٧
ورق الخلاف، أوراقه ١: ٢٩٢، ٣٠٣، ٤٦٠/ ٢: ٢٠، ٢٣، ٣٦، ٥٤، ٩٨، ١٢٨، ٤١٣، ٥٤٧/ ٣: ٦١، ١٢٢، ١٥٣، ١٨٦، ٢٩٦، ٢٩٧

الخلاف من العقاقير النباتية المذكورة في مفردات القانون، وقد اكتفى ابن سينا في بيان ماهيته بالقول «معروف، وقد يخرج لورقه إذا شدخ صمغ قوي.. ثمرته وورقه قابض» ثم بين فوائده الطبية، وأهمها أنه ينفع ضماداً للجراحات والقروح الخبيثة، وماؤه مسكّن للصداع ونافع من شدد الكبد، وثمرته نافعة من الخسف ورم معوي.. الخ.

وهو مما ذكره أبو حنيفة في كتاب النبات فقال فيه: «هو الصَفْصاف، وهو

بأرض العرب كثير.. وأخبرني أعرابي قال: نحن نسميه السَّوْجَر وهو شجر عظام، وأصنافه كثيرة، وكلها خوّار خفيف..» وأكثر المراجع العربية على أن الخلاف هو الصفصاف، والخلاف البلخيّ هو البهرامج، وفيها من أسماء الخلاف أيضًا السندار والغرب والسالج والبيد بالفارسية. وقال التميمي فيما نقله عنه ابن البيطار إن الخلاف «صنف من الصفصاف، وليس به، والفرق بينهما .. أنه ليس للصفصاف فقاح يشبه الخلاف، وذلك أن الخلاف يثمر في أواخر أيام الربيع، وثمره قضبان دقاق تخرج في رؤوس أغصانه وفيما بين قلوب ورقه، رأس كل قضيب منها ملتبس بزغب أدكن اللون ناعم الملمس.. وتلك السنابل الزغب الناعمة التي هي ثمر الخلاف ذكية الرائحة ناعمة المشم والملمس وليس يوجد في شجر الصفصاف من هذه الثمرة التي هي مثال السنابل شيء البتة، وإنما يثمر الصفصاف في ذلك الوقت من الزمان حبًا أبيض..» والاسم العلمي للخلاف الذي هو صنف من الصفصاف Salix oegyptiaca.

لكن المشكل فيما جاء في كتاب القانون عن الخلاف إنما هو في الفوائد الطبية التي نسبها ابن سينا للخلاف. فالمدقّق في كتاب ديسقوريدس ومانُقل في المراجع العربية عن جالينوس وغيره من قدماء اليونان يلاحظ أن ابن سينا جمع في كلامه على الخلاف ماقيل فيه وماقيل في نبات آخر اسمه سطوبي[1]، وقد جاء فيما جمعه الرازي في الحاوي عن الخلاف قوله: «قال اريبا سيوس في الدواء المسمى سطوني ـ وقال حنين: يزعم بعض الناس أنه الخلاف ـ قوة ثمره وورقه قابضة..الخ» وخطّأ ابن البيطار في كلامه على سطوني زعم حنين فقال:

(١) انظر مقالات ديسقوريدس ٣١٤ (سطوى)، والحاوي ٢٠: ٤١٣ (خلاف)، والجامع لابن البيطار ٣: ١٤ (سطوني). ولم يُحَدَّ النبات المذكور في أي من هذه المراجع إنما هو قولهم «إنه نبات ثمره وورقه قابضان فقط».

«غلط من قال إنه الخلاف جداً» ثم نقل عن ديسقوريدس ماجاء في فوائده لقروح الأمعاء ولضربة العين ولقطع نزف الدم.. مما نسبه ابن سينا إلى الخلاف.

وهكذا لم يصلح ابن سينا خطأ حنين الذي نبه عليه ابن البيطار بل تابعه فيه فخلط بين صنفين من الشجر .

والخلاف اسم عربي، قال أبو حنيفة في تعليله: «وزعموا أنه سمي خلافاً لأن الماء جاء به سيباً مخالفاً لأصله» ونقلت هذا الزعم معجمات اللغة، وضعّفه بعض الأطباء على حين أكده ابن الكتبي في مالايسع الطبيب جهله فقال: «خلاف. هذا اسم عربي موضوع لما يحمله السيل من الأخشاب فتنبت من خلاف، يعني من ناحية الأسفل. لكن قد وقع هذا الاصطلاح بتسمية الصفصاف وأنواعه..» ومن المعروف أن أي غصن من الصفصاف تزرعه من أي طرفيه شئت فينبت. وضبط الخلاف في القاموس المحيط ككتاب. أما من قال فيه خلّاف بالفتح والتشديد فقد لُحِّن.

خلنجبين

خلنجبين ١: ١٦٦/٣: ٢١

خلنجبين عسلي ٣: ١٠٤

كل هذا تصحيف والصواب جلنجبين بالجيم في أوله. اطلب المادة في باب الجيم.

خلوق *

الخلوق ٢: ٦٠٢

* مفيد العلوم ٤٣، ومنهاج البيان ١٠٥ب، وتركيب مالايسع الطبيب جهله ٤١ب، ومعجمات اللغة (خلق)

عرض ذكر الخلوق في أثناء كلام ابن سينا على معالجات اختناق الرحم إذ عدّ منها التلطيخ بالخلوق. وهو عطر مركّب يغلب على لونه الحمرة والصفرة. وقال ابن جزلة في إنه «ينفع من أوجاع الرحم وصلابتها واختناقها حَمولاً به، ويقوي القلب، ويليّن العصب. وصفته: زعفران ثلاثة دراهم، ذريرة خمسة دراهم، أثسنة درهمان، قرنفل وقرفة من كل واحد درهم، يُدقّ ناعمًا ويُنخل ويعجن بماء الورد ودهن ورد..الخ». وفي تركيب مالايسع الطبيب جهله بين ابن الكتبي أن أصل عمل الخلوق في الطب ليكون حمولاً ولكن يجوز التلطيخ به.

ضُبط هذا الاسم وغيره كصبور وككتاب، أي خَلُوق وخلاق.. يقال خلّقه بخلوق تخليقًا أي طيبه به، وخلّقت المرأةُ جسمها إذا طلته بالخلوق.

خمالاون *

مرارة خمالاون ٢: ١٣٧

هذا الاسم مشترك بين عقّار نباتي سبق أن فصلت الكلام عليه في مادة (خامالاون) وعقّار حيواني هو المراد هنا.

ولفظ خمالاون معرب من اليونانية ذكره ديسقوريدس في كتابه[1]، وقال ابن البيطار نقلاً عن عدد من التراجمة إنه اسم الدابة المعروفة بالحرباء واسمها العلمي Chameleon من اللفظ اليوناني القديم. وقد سبق الكلام على الحرباء في باب الحاء من هذا المعجم.

---

* الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٤٦، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٢٩.

(١) صفحة ١٦٦، وقد صحفّت اللفظة في الطبقة التي اعتمدتها فكتبت في المتن والفهرسة (حامالاون) بالإهمال.

خَمْر*

خمر ١ : ٩٨، ١٣٢، ١٥٥، ٢٠٣، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٤٥، ٢٥٥، ٢٦١، ٢٦٨، ٣٠٤، ٣١٥، ٣١٩، ٣٣٨، ٣٦٤، **٤٦٥**/ ٢: ٢٣، ٤١، ٤٢، ٨٣، ١٠٦، ١٠٨، ١٢٣، ١٢٧، ١٢٨، ١٥٥، ١٥٦، ١٧٠، ١٧١، ١٧٣، ١٨٧، ٢٨١، ٣٥٨، ٣٩٣، ٥٩٤/ ٣: ١٣٨، ٢٣٠، ٢٧٢، ٣١٨، ٣٦٤، ٤٢١

خمر أبيض ٣: ٣٧٢

خمر أسود ١: ٢٨٠

خمور حلوة ٢: ٢٢١

خمر ريحاني ٣: ٣٢٨

خمر صرف ١: ٣٦٨، ٣٧٢/ ٣: ٣٦٤

خمر عتيق ٢: ١٥٨

خمر عَفِص ٢: ١٢٢

الخمر التي تموت فيها الأفعى أو تكرع ٣: ١٤٣

خمر مائي ٢: ٢٥١

خمر ممزوج، خمرة ممزوجة ٢: ٣٤١/ ٣: ٢٤٤، ٣٢٤

خمر ممزوج بالماء مناصفة ٢: ٣٤٨

* الصيدنة ١٨٤، ومنهاج البيان ١٠٦أ، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٦٩ ومابعدها، والمعتمد ٦٧٧، ومعجمات اللغة (خمر) وانظر (شراب) و (قهوة) و (فقّاع) و (نبيذ) في هذا المعجم.

خلُّ خمرٍ، خلٌّ خمريّ ١: ١٧١، ١٩٧، ٢٧٤، ٢٨٢، ٢٩٢، ٣٤٧/ ٢: ٨٤، ١٥٣، ١٥٧، ١٦٠، ١٩٨، ٢٨١، ٢٨٢، ٣٠٥، ٣٤١، ٤٠٨، ٤٨٨، ٥١٥، ٦٠٧، ٦٢٣/٣: ٧، ١١٨، ١٦٣، ٢٢١، ٢٢٦، ٢٣٥، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٤، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٨٥، ٤٠٥، ٤٢٦

خل خمر ثقيف ٣: ٣٦١، ٣٦٥

خل خمر جيد عتيق ٣: ٣٦٤

خل خمر حاذق ٢: ٤١٧

بخار الخمر عن حجر الرحى ٢: ١٦٩

دُرْديّ الخمر ١: ٤٣٧/ ٣: ٢٨٦، ٣٠٧

دردي الخمر العتيق ١: ٢٩٣

دردي الخمر المحرَق ٣: ١٣١

عكَر الخمر ٢: ١٩٤

تكرر ذكر الخمر كثيراً في كتاب القانون، وفي الأدوية المفردة منه إذ أورده في فصل الخاء إحالةً فقال: «خمر. الماهية: الخمر هو القهوة وقد ذكرناها في فصل الشين» يريد (الشراب) حيث فصل هناك القول على أصناف الأشربة خمراً وغيرها.

وميزت بعض كتب العقاقير مصطلح الخمر خاصة من الشراب عامة، ومنها مالايسع الطبيب جهله الذي جاء فيه: «خمر: وإن كان يطلق على كل مسكر

من المائعات، لكن المراد هنا ماعُمل من العنب على اختلاف حالاته» وهذا موافق لاصطلاح ابن سينا الذي لم يصرح به مع أن قارئ القانون يدركه بوضوح، وبيّن ابن جزلة طريقة التخمير فقال: «خمر: هو ماء العنب المصفى، يُجعل في الجرار المقيّرة في الشمس ليغلي ويخرج زبَده ثم يُطيّن...»

والملاحظ في القانون أن ابن سينا لم يتحرّج من اتخاذ الأشربة المسكرة علاجًا لكثير من الأمراض ولعل السبب أن معظم علاجاته وأدويته منقول عن قدماء اليونان المعروفين بكثرة شربهم للخمر وولوعهم بها، فكان ينقل عنهم مستحلاً التداوي بأشربتهم المسكرة[1]. أما غيره من الأطباء ومصنفي كتب العقاقير فكانوا يحاولون التوفيق بين طب اليونان وتعاليم الدين الإسلامي، كابن جزله مثلاً، فهو بعد أن بين في المنهاج طريقة التخمير التي نقلناها آنفًا قال: «ومما يمنعه من الغليان وظهور الزبد طرح الخردل في رؤوس الجرار، فإنه لايغلي، وبذلك يخرج عن كونه خمرًا، فيحل على بعض مذاهب الفقهاء»، و «الخمر يطلق شرعًا على كل ما يخمر العقل أي يستره برهة» نقل هذا الحد الأنطاكي في تذكرته. وجاء في معجمات اللغة أن الخمر ما أسكر من عصير العنب خاصة ـ وهو مذهب أبي حنيفة والكوفيين ـ أو عامة وهو الأصح، لأن الخمر حرمت بالمدينة، وماكان شراب أهلها إلا من البسر والتمر.

علل بعضهم تسميتها بأنها تخمر العقل وتستره كما مرّ بنا، وقال آخرون بل لأنها تخامر العقل أي تخالطه.

---

(١) جاء في آخر كلامه على الشراب قوله: «فلنحمد الله الذي جعل الشراب دواء معينًا للقوى الغريزية» القانون ١: ٤٤٢.

خمسة أوراق *

خمسة أوراق	١: ٦٤٣
المطبوخ منه بالخل	١: ٤٦٣
أصل خمسة أوراق	١: ٤٦٤
طبيخ أصله	١: ٦٤٣، ٤٦٤
طبيخه	١: ٤٦٤
عصارة أصله	١: ٤٦٤
ورقه	١: ٤٦٤

هو من أدوية القانون المفردة. اكتفى ابن سينا في تحديد ماهيته بالقول: «هو فنطافلون»[1] وذكر من فوائده الطبية أنه يضمد به الدبيلات والخنازير وينفع من أوجاع المفاصل وعرق النَّسَا، وطبيخ أصله ينفع للسن الوجعة، وعصارة أصله نافعة لوجع الكبد والإسهال وقروح الأمعاء. ثم قال: «عصارة أصله دواء قتّال!»

وفي المراجع العربية الأخرى أيضًا خمسة أوراق هو فنطافلون وقد تكتب بنطافلون أو بنطافلن، وكلها تعريب للاسم اليوناني Pentaphyllon. وقد سبق أن تكلمت على هذا العقار ومافيه من إشكالات في مادة (بنطافيلون) فاطلبها في باب الباء.

أما من قال إن خمسة أوراق هو البنجنكشت ناظرًا إلى معنى الكلمة الفارسية وهو خمسة أصابع فقد أخطأ، وسبق أن وضحت هذا في مادة (بنجنكشت) السابقة أيضًا.

---

* كتاب ديسقوريدس ٣٢٤ (بنطافلون)، والصيدنة ١٨٥، ومنهاج البيان ١٠٧. ومختارات ابن هبل ٢: ١٩٨، ومعجم أسماء النبات ١٤٧ (١٧). وانظر مادتي (بنجنكشت و(بنطافيلون).

(١) في المطبوع المعتمد «قنطافلون» بالقاف، وهو تصحيف.

ومن أسماء ذي الأوراق الخمسة فضلاً على الاسم المعرب: ذو الخمسة الأجنحة، وذو الخمسة الأقسام

خمير *

خمير ١: ٣٧٢، ٤٦١، ٤٦٢/ ٢: ٣٠١، ٣٦٧، ٣٧٦، ٤٥٩/ ٣: ١٢٢، ١٢٨، ٢٢٣، ٢٢٨، ٣١٤، ٣٥٤، ٣٧١

خمير حامض ٣: ١٢٩

خمير الشعير ٢: ٤٨٥

خمير محمض ٣: ١٥٦

دواء الخمير ٣: ١٢٩

جعل ابن سينا الخمير مدخلاً من مداخل كتاب الأدوية المفردة في القانون فقال: «خمير: الطبع: فيه حرارة.. يبوسته ورطوبته بقدر.. الخواص: فيه قوة جلاءة للملح والبورقية.. آلات المفاصل: يضمد به الوجع الذي يكون في أسفل القدم».

وهو مما ذكرته بعض المراجع مستقلاً في الأدوية المفردة، على حين تكلمت عليه أخرى في أثناء الحديث عن الخبز وأنواعه. والخمير هو الدقيق الذي قد عجن ثم ترك مدة ليتخمر سواء حمض أم لا، وقد يراد به الخبز البائت أو المادة

* كتاب ديسقوريدس ١٧٥ (زومى)، والحاوي ٢٠: ٢٩١ (ضمن حنطة)، والصيدنة ١٨٤، ومنهاج البيان ١٠٦ب، والمختارات ٢: ٢٠٠، والمعتمد ١٣٨، والشامل ٢٥٢، ومالايسع ٢١٧، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٣٩، ومعجم الألفاظ الزراعية ٣٨٩، ومعجمات اللغة (خمر).

التي توضع في العجين لتخميره.. وأكثر مايرد هذا الاسم في القانون بمعنى العجين المتخمر وهذا بعينه هو اصطلاح الأطباء في الخمير. قال ابن الكتبي في مالايسع الطبيب جهله «خمير: عبارة عن عجين قد حمض وعفن عفونة أوجبت حموضته، وقد يُعمل ابتداء، وقد يكون من عجين قد جعل فيه... وإذا أطلق إنما يراد به خمير الحنطة أو الشعير..» وبيّن الأنطاكي أنه قد يضاف إليه أشياء غير الماء إذ قال في التذكرة: «هو دقيق يعجن بالماء أو بشيء من الأدهان واللبن ويترك ليلة فأكثر. وأجوده الذي عمل من الحنطة أو الشعير، وغيرها رديء..»

وجاء في لسان العرب «الخمير والخميرة التي تجعل في الطين[1]. وخَمَر العجينَ والطيبَ ونحوهما يَخْمُر ويخمِره خمرًا فهو خَمير، وخمَّره ترك استعماله حتى يجود. وقيل: جعل فيه الخمير، وخُمرة العجين مايجعل فيه من الخميرة حتى يجود».

(١) كذا في اللسان والقاموس. ونبه الزبيدي في تاج العروس على أن الصواب المعروف هو الطيب.

(المقالات والآراء)

من نقاوة اللغة العربية

استبدال لفظ عربي أصيل مكان لفظ أجنبي ثقيل

الدكتور عبد الكريم اليافي

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

جاء في تاج العروس.(مشش): «والمِشُّ: مَسحُ اليَدِ بالشيءِ الخَشِنِ لتَنظِيفِها وقَطعِ دَسَمِها. وهو قول الأصمعيّ. ونصُّه: ليَقلَعَ الدَّسَمَ. ونَصُّ المحكَم ليُذهِبَ به غَمَرَها وينظِّفَها. وأنشد الجوهري وابن سيده لامرئ القيس: (١)

نَمُشُّ بأعرافِ الجِيادِ أكُفَّنا إذا نحنُ قُمْنا عَن شِواءٍ مُضَهَّبِ

المضَهَّب: الذي لم يَكمُل نُضجُه. يريد أنهم أكلوا الشَّرائحَ التي شوَوها على النار قبل نُضجِها، ولم يدَعُوها إلى أن تَنشَفَ، فأكلوها وفيها بقيةٌ من ماء.»

وجاء في التاج (مشش): «والمِشُوشُ كصَبُور: ما تُمَشُّ به اليَدُ، وهو المِنديلُ الخَشِنُ ».

لفظ المشوش في رأينا يقابل في اللغة الأجنبية Kleenex وهي كلمة إنكليزية أمريكية ظهرت في أمريكا سنة ١٩٢٥ تسميةً لمادّة ورقية كالمنديل تُرمى بعد استعمالها، وانتقلت إلى الفرنسية سنة ١٩٦٥ كما جاء ذلك في معجم «روبير» الفرنسي.

وما أجدرنا أن نستبدل لفظ المشوش باللفظ الأجنبيّ الثقيل، ولاسيما أنه

---

(1) ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٤، ص (٥٤).

يبدأ بحرفٍ ساكن. وعندئذ يتفنّن أهل التجارة بإلقاء تسميات على هذه المادة الورقية التي يطرحونها في الأسواق، كنسمة أو شذا أو قمر أو بسمة، ونتخلَّص بالتدرج من ألفاظ أجنبية تحول دون نقاء اللغة العربية وعذوبتها ورهافتها.

هذا ويُنسب اختراع الورق وصناعته إلى الشعب الصينيّ. وقد عرفه العرب قديمًا، وأخذوه عن الصين عن طريق التجارة، وتفننوا في إتقان صناعته وفي إيجاد أنواع له. وامتلأت البلاد بمصانعه شرقاً وغرباً وأورثوا الغربَ هذه الصناعة الثقافية التجارية المهمّة. وغدا الورق ركنًا من أركان الحضارة الحديثة.

أوليس في عرض هذا المثال مأثرة من مآثر تآخي الحضارات وتآزر الثقافات، وهو الواقع، بدلاً من استعمال صراع الحضارات وتنابذ الثقافات وأمثال هذه المصطلحات السلبية التي تسيء إلى حقيقة النوع الإنساني في غمار التاريخ.

نحن نؤثر المصطلحات الإيجابية التي توحي بالتعاون والمحبّة والتساند، وبالتنويه بالقيم الإنسانية المسؤولة عن عمارة الأرض ورعاية الإنسان، وترقِّيه دائماً في معارج الرقيّ، بدلاً من الإسفاف الفكري والتردّي في غياهب التصارع والشقاق والحروب والتقتيل والتنكيل، مما هو بالصفة الحيوانية أشبه، وبوهم التأخر على رغم مظاهر الحضارة أحرى وأقمَن؟! إن تلك النزوات من إفرازات العقول المريضة.

أضواء على الاحتفال بالعيد الماسي
لمجمع اللغة العربية بالقاهرة

الدكتور محمود السيد

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

احتفل مجمع اللغة العربية في القاهرة بعيده الماسي (١٩٣٢ – ٢٠٠٧)، وذلك في مقر جامعة الدول العربية بالقاهرة في المدة من ١٧/ ٣- ١٩/ ٣/ ٢٠٠٧م، عقد خلالها ثماني جلسات إحداها افتتاحية، أُلقيت فيها كلمات الافتتاح وآخرها ختامية.

أما الجلسات الست الأخرى فقد أُلقيت فيها بحوث ومحاضرات، ونحاول فيما يأتي إلقاء بعض الأضواء على المحاضرات والبحوث التي قُدِّمت بهذه المناسبة.

وتجدر الإشارة إلى أن مجمع اللغة العربية في القاهرة صدر مرسوم ملكي بإنشائه عام ١٩٣٢، وكان الهدف من إنشائه بذل الجهود للحفاظ على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون ومستحدثات الحضارة المعاصرة، والعمل على وضع معجم تاريخي لغوي، والعناية بدراسة اللهجات العربية الحديثة في مصر وغيرها من البلاد العربية، وإصدار مجلة تنشر بحوثًا لغوية، والعناية بتحقيق بعض نفائس التراث العربي التي يراها ضرورية لأعماله ودراساته اللغوية ولوضع المعاجم.

وعقد المجمع أول جلسة له عام ١٩٣٤، ويضم أعضاء مصريين وغير مصريين عربًا ومستعربين، ويتبع وزارة التعليم العالي، ويشتمل على ثلاث وثلاثين لجنة هي «لجنة المعجم الكبير، لجنة أصول اللغة، لجنة الألفاظ والأساليب، لجنة اللهجات والبحوث اللغوية، لجنة تيسير الكتابة العربية، لجنة

الأدب، لجنة إحياء التراث العربي، لجنة المعجم الوسيط، لجنة علم النفس والتربية، لجنة الفلسفة والعلوم الاجتماعية، لجنة التاريخ، لجنة الجغرافية، لجنة المصطلحات الطبية، لجنة الكيمياء والصيدلة، لجنة القانون، لجنة علوم الأحياء والزراعة، لجنة الاقتصاد، لجنة الجيولوجيا، لجنة النفط، لجنة الفيزيقا، لجنة الهندسة، لجنة الرياضيات، لجنة المعالجة الإلكترونية، لجنة ألفاظ الحضارة والفنون، لجنة الشريعة، لجنة علم الاجتماع والإنتربولوجيا، لجنة الهيدرولوجيا، لجنة المساحة والعمارة، لجنة الترشيح للجوائز، اللجنة الثقافية، لجنة اللغة العربية والتعليم، لجنة اللغة العربية في وسائل الإعلام، لجنة الحاسوب)).

ومن الأعمال الرائدة التي أنجزها المجمع إصدار المعجم الوسيط وسبعة أجزاء من المعجم الكبير ومعجم ألفاظ القرآن الكريم، ومجموعة المصطلحات العلمية والفنية، والمعجم الوجيز... إلخ، يُضاف إلى ذلك عقد المؤتمرات والندوات على مدار خمسة وسبعين عامًا. ومن هذه الندوات: علي الجارم شاعرًا، من قضايا الشعر المعاصر، الدكتور إبراهيم أنيس والدرس اللغوي، شوقي ضيف على الإنترنت، الأرقام ومكانتها في قضية التعريب، دور الأدب في الحياة الوطنية والقومية...إلخ.

كانت المحاضرة الأولى التي أُلقيت في احتفال المجمع بعيده الماسي محاضرة عامة للأستاذ الدكتور كمال بشر نائب رئيس المجمع، وعنوانها ((مجمع اللغة العربية في خمسة وسبعين عامًا))، وقد تناول فيها أهمية اللغة العربية ومكانتها وما أصابها من ضعف بسبب سيطرة العاميات بلهجاتها على السوق اللغوية في مختلف الأقطار العربية، وعَرَضَ للجهود التي بُذلت من قبلُ في سبيل الحفاظ على العربية بدءًا من المنتدى اللغوي بدار البكري عام ١٨٩٢، ومن أعضائه الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي، ومرورًا بنادي دار العلوم عام ١٩٠٨،

والمجمع اللغوي الأهلي بدار الكتب المصرية عام ١٩١٦ برئاسة الشيخ سليم البشري وأمانة الأستاذ أحمد لطفي السيّد، وكان من أعضائه الشيخ أحمد السكندري والشيخ حمزة فتح الله والأستاذ حفني ناصف، وانتهاءً بمجمع اللغة العربية عام ١٩٣٢، وقد أبان أغراضه ووسائل تحقيقها، وعرض لأعضائه عبر مسيرة المجمع ورؤسائه وأمنائه العامّين، ووقف على أعمال مجلس المجمع ومكتبه ولجانه ومؤتمره في جلساته العلنية والمغلقة، والأنشطة الثقافية التي يقوم بها، كما وقف على إنتاجه من معجمات وكتب تأليفًا وتحقيقًا ونشرًا ومحاضرَ ومصطلحات علمية وفنية.. وتمنى في نهاية محاضرته على المسؤولين وأصحاب القرار الاستجابة لجهود المجمع، وتنفيذ قراراته وتوصياته على أن تكون لقراراته السلطة التنفيذية والصفة الإلزامية، وأن تشق قراراته طريقها إلى التطبيق.

وكانت المحاضرة الثانية بعنوان «اللغة العربية في مواجهة تحديات العصر والعلاقة بالعولمة» للمستعرب الأستاذ الدكتور فيريريكو كورينتي عضو المجمع المراسل من إسبانيا، وقد تناول فيها مصطلح العولمة، وأبان أن هذه العولمة في حياتنا المعاصرة ليست الأولى، فثمة أمثال لها عبر الزمان مع اختلاف شأنها وأثرها ومقاديرها بالطبع، فهناك دولة الإسكندر والإمبراطورية الرومانية والدولة الإسلامية الأولى والدول الغربية في العصر الحديث، إلا أن العولمة المعاصرة تشمل العالم كله في حين أن سابقاتها وقفت أمام حدود لم تتجاوزها، كما أن العولمة المعاصرة ذات أغراض اقتصادية وعمرانية تشترك فيها دول كثيرة.

وأشار المحاضر إلى هيمنة اللغة الإنكليزية في العولمة المعاصرة، وأبان أن اللغة العربية من اللغات المستعدة لمواجهة تحدي العولمة لما لها من خصائص مميزة، وأن بعض الأساتذة الأوروبيين عُني بالعربية وآدابها منذ القرن الثامن عشر الميلادي، وأشار إلى أن مشروع إصلاح الدراسات العليا في إسبانيا نصَّ على إلغاء شهادة

الدراسات العربية والإسلامية التي كانت إحدى تقاليد الجامعة الإسبانية ومفاخرها، وأن في هذا العمل خسارة كبيرة تحول دون معرفة الأجيال الجديدة لإسهام الحضارة العربية واللغة العربية في مسيرة الحضارة الإنسانية.

ودعا المحاضر إلى وجوب الحفاظ على لغات العالم الكبيرة والصغيرة، وأشار إلى ضرورة تدريب الأساتذة الأجانب المستعربين في الدول العربية قائلاً: «ما أحوجنا في أيامنا هذه إلى فتح أبواب التعارف والتفاهم والتسامح والتعايش بين الدول العربية والغربية، وإلى إغلاق أبواب التجاهل والتنافر»، ورأى أن على العلماء العرب أن يلفتوا نظر جميع أهل العلوم إلى الاعتراف بأن العربية، فضلاً عن كونها لغة دين الإسلام وإحدى أهم الحضارات الإنسانية، كانت ولم تزل لغة علمية من الدرجة الأولى، وأن على الأنظمة المسؤولة عن رعاية العربية ونشرها أن تشجع المستعربين الغربيين على الكتابة بالعربية في المجالات العلمية، بجوائز معادلة لما يُكرَّم به العلماء العرب الناجحون.

وذكر المحاضر أن العربية لن تحتفظ بمكانتها من غير استرجاع شهرتها وقوتها لدى الدوائر المثقفة الغربية، إذ لا يكفي أن يزداد عدد الناطقين بالعربية وعدد دارسيها في جميع أنحاء العالم ما لم يقترن النجاح بإعادة إنتاج المؤلَّفات العلمية المتنوعة باللغة العربية على أيدي مؤلِّفين عرب وعجم، كما جرت العادة أيام ازدهار الحضارة الإسلامية عندما كتب بالعربية العربُ والفرس والأتراك والهنود، من مسلمين ونصارى ويهود، مؤلَّفات علَّمت العالم الطِّبَّ والفلك والرياضيات والفلسفة والعلوم عمومًا، أو ترجموها إلى العربية من اليونانية والفارسية والسريانية والسنسكريتية...إلخ.

وكانت المحاضرة الثالثة بعنوان «اللغة العربية والثقافة الإنسانية المعاصرة» للأستاذ الدكتور نقولاد وبريشان عضو المجمع المراسل من رومانيا، وتناول فيها

عالمية اللغة العربية وإبداعات كبار المفكرين والفلاسفة والشعراء بالعربية في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، وأبان أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ومنحها صفة العالمية، وكان انتشار الإسلام عاملاً من أهم عوامل تطور اللغة العربية نتيجة الاحتكاك باللغات المحلية، وانتشارها في المناطق الجديدة وظهور الثقافة العربية الإسلامية.

وأشار المحاضر إلى حركة الترجمة إلى العربية في عهد الخليفة المأمون، كما أوضح دور الثقافة العربية الإسلامية في النهضة الأوربية وإغناء العلوم والمعارف الإنسانية، وذكر أمثلة من الكلمات العربية التي استعارتها إسبانيا من العرب وماتزال موجودة في اللغات الأوربية عامة، وأضحت جزءًا من القاموس الدولي، فضلاً عن أن الكتب العربية في الطب والفلك وعلوم أخرى ظلت مرجع الغرب في مختلف جامعاته حتى أواخر القرون الوسطى وطلائع النهضة الأوربية.

وعدّد المحاضر سمات اللغة العربية وخصائصها وقدرتها على مواكبة التطورات المعاصرة بفضل ما تتحلى به من سمات المرونة والاشتقاق والمجاز والنحت، وأكد المحاضر ضرورة التعريب في التعليم قائلاً: «يُعتبر تعريب التعليم قضية تتعلق بكرامة اللغة وكرامة الأمة، علمًا بأن جميع الأمم تدرس العلوم في جامعاتها بلغاتها الوطنية، حفاظًا على شخصيتها وهويتها وتاريخها وحضارتها، وبخاصة أن الأمة العربية قادت العالم علميًّا طوال ستة قرون أو ما يزيد».

وأشار المحاضر إلى أن اللغة العربية في القرن الأخير أصبحت وعاء أدب عربي عالمي الشهرة، وثقافة عربية تتواكب مع سائر ثقافات العالم الكبرى، وقد صدر في هذه اللغة أدب عربي حديث من شعر وروايات وقصص قصيرة ومسرحيات على مستوى كبريات آداب العالم، وأن الأدباء العرب الأكثر شهرة خارج حدود دولتهم هم الأدباء الذين حرصوا على استخدام الفصيحة

واحترموها ومنحوها المكانة المستحقة، من أمثال الدكتور طه حسين ونجيب محفوظ، مبيِّنًا خطر استخدام العامية في قنوات التواصل الإعلامية.

أما المحاضرة الرابعة فكانت للأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد عضو المجمع من الأردن، وعنوانها: «مستقبل اللغة العربية في عالم متغير»، وقد تناول فيها مسيرةَ اللغة العربية الطويلة، إذ استمرت ثمانية عشر قرنًا، ومايزال أهلها يفهمون تراكيبها وألفاظها كما فهمها الذين نطقوا بها من شعراء القرون الجاهلية الثلاثة، ثم ما تلاها من عصور أموية وعباسية وما بعدها. واللغة العربية شأنها شأن غيرها من اللغات التي سايرت الزمن لها ثوابت ولها متغيرات. أما ثوابتها فهي التي تمنحها حقيقتها وجوهرها، وهي التي لا تكون اللغة نفسها إلا بها، وهي التي تبقيها اللغة الواحدة، وأما متغيراتها فأمر طبيعي تفرضه طبيعة تغير الزمان واختلاف المكان، وهو يصيب مفردات اللغة كما يصيب أدبها، ويصيب الإنسان في نفسه وفي جميع نتاجه الفكري، والتغير سنة من سنن الله في خلقه على أن يُفهم على حقيقته ودون توسع ينقض أصل الأشياء ويقلب كيانها، ويزيل ثوابتها.

واقترح المحاضر أن نستعمل التطور والتجدد بدل مصطلح «التغير» الذي قد يُساء فهمه واستخدامه، ثم عرض للتجارب والمحن التي ابتُليت بها اللغة العربية عبر تاريخها، وكان من التجارب التي مرت بها مواجهتها لتوسع الدولة الإسلامية وانتشار العرب في بقاع من الأرض لم يكن لها بها عهد، وقد زادت العربية اتساعًا في ميادين المعرفة وانتشارًا في أرجاء العالم المعروف حينئذ، وسرعان ما صارت لغة العلم والثقافة والإدارة لأهلها وللعالم المعروف حينئذ.

وكانت التجربة الثانية في أواخر الحكم التركي للبلاد العربية نحو أربعة قرون، وقد استشهد المحاضر بما ورد في بيان الثورة العربية عام ١٩١٧ التي قادها الشريف حسين على الأتراك، إذ جاء فيه «وأما ما خصوا به العرب ولغتهم من الاضطهاد

فهو أعظم ما جنوه على الدين والدولة من الفساد، وحاولوا قتل العربية في جميع الولايات العثمانية بإبطالها من المدارس ومنعها من الدواوين والمحاكم، ولا يخفى أن قتل اللغة العربية قتل للإسلام نفسه».

وعرض لأقوال وردت في بعض الكتب التركية تدعو إلى إبعاد اللغة العربية وإحلال اللغة التركية مكانها، ومن هذه الكتب كتاب «قوم جديد» لعبيد الله أفندي، وكتاب «تاريخ المستقبل» لجلال نوري بك، ومن الصحف «جريدة إقدام» و«جريدة طنين»، وأورد المحاضر باقة من الردود على هذه الكتابات العنصرية.

ومن هذه الردود قصيدة لعبد الحميد الرافعي، ومما جاء فيها:

قل للأُلى جهلوا مكانتها وقد كادوا لها في السرّ والإعلانِ
عاديتُمُ ما تجهلون ولم يَعبْ قدرَ الورودِ كراهةُ الجعلانِ
والله يأبى أن تهانَ فبشِّروا من رام ذلتها بكلّ هوانِ

ولقد اجتازت العربية هذه المحنة بفضل رواد النهضة الحديثة في مختلف البلاد العربية من أمثال عبد الرحمن الكواكبي ومحمد عبده وطه حسين والمنفلوطي ومصطفى صادق الرافعي والبستانيين واليازجيين وإبراهيم المازني والعقاد وتوفيق الحكيم وشكيب أرسلان... إلخ، ومن الشعراء محمود سامي البارودي وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وعلي محمود طه ومحمود حسن إسماعيل وعشرات سواهم في مصر، والرصافي وبدوي الجبل وشفيق جبري والأخطل الصغير وفؤاد الخطيب وأبو القاسم الشابي وإبراهيم طوقان ومصطفى التل وعمر أبو ريشة وغيرهم من شعراء الأمة العربية في مختلف بقاعها.

وهؤلاء هم الذين يحفظون اللغة ويطورونها. وتدفقت المقالات والبحوث والكتب بلغة عربية فصيحة سلِسَة في ميادين المعرفة كافة، وأُنشئت المجلات وانتشرت الصحف وقامت المجامع اللغوية. وفي النصف الثاني من القرن العشرين زادت العربية ألقًا وسلاسة في منأى عن التعقيد والغموض.

أما التحديات الحاضرة والمستقبلية التي تواجهها اللغة العربية فلقد أشار المحاضر إلى بعضها متمثِّلاً في العولمة والتشكيك في اللغة العربية وقدرتها على الوفاء بمطالب العلم الحديث وبمتغيرات العصر.

ومن التحديات إشاعة مصطلحات جديدة ذات مفاهيم أو مضامين تحل محل المفاهيم والمضامين الأصلية التي تتصل بحياة الأمة وشخصيتها وحقيقة وجودها، من مثل مصطلح «منطقة الشرق الأوسط» محل «الوطن العربي» أو «البلاد العربية» ومصطلح «الشراكة الأوربية المتوسطية» ولم يذكر الشريك الآخر بصفته العربية، وكأن المقصود تغييب الصفة العربية من كل مصطلح أو عبارة، بُغية أن تغيب معها الهوية العربية من نفوس الناشئة ونفوس الأجيال القادمة ولإقحام إسرائيل في هذه الشراكة».

ومن وسائل هذه التحديات نشر أنظمة الفكر والتعليم ومصطلحاتها وتعميم أنموذج المؤسسات التعليمية كما هي في الولايات المتحدة الأمريكية، وغدت الجامعات العربية الخاصة على غرار الأنموذج الأمريكي في مناهجها ومصطلحاتها.

ومن التحديات ووسائلها تلك الاتفاقيات والمعاهدات الدولية، كوثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان واتفاقية حقوق الملكية الفكرية، وتلك الأفلام والمسلسلات المتلفزة والأغاني الأجنبية، والمحاولات التي تُبذل في الخفاء بأسلوب متدرِّج لتفريغ المناهج والكتب في مراحل التعليم العام وفي المرحلة الجامعية الأولى من النماذج التأصيلية والنصوص التأسيسية للغة العربية وثقافتها.

وأبان المحاضر أن هذه التحديات ووسائلها وما تسعى لتحقيقه هي التي دأب بعض الدارسين على تسميته بالغزو الثقافي. ويقترح أن يسمى بالغزو النفسي لأنه يغزو نفوس أصحاب الثقافة بما يبث فيها بثًّا خفيفًا متدرجًا من أساليب التهوين من شأن تلك الثقافة ولغتها.

ودعا في نهاية محاضرته إلى وجوب التحلي بالتفاؤل تجاه مستقبل اللغة العربية الفصيحة، إذ إن قوة التيار العام لنهر العربية سرعان ما يجرف هذا الفكر ويعود الماء يتدفق في مجراه نقيًّا على حدّ تعبيره.

وإذا ما انتقلنا إلى البحوث التي أُلقيت في الاحتفال بالعيد الماسي فإننا نجد بحثًا عنوانه «اللغة العربية في مواجهة تحديات العصر» للأستاذ الدكتور محمود السيّد، وقد تناول فيه سمات العصر وتحدياته، إذ إنه عصر العلم والتقانة والمعلوماتية، ونسبة مستخدمي الشابكة «الإنترنت» من العرب لا تزيد على ١.٤٪ على الصعيد العالمي، مع أن العرب يكوِّنون ٤.٧٪ من سكان العالم. ثم إن من سمات العصر أنه عصر العولمة، ومع توسع شبكة الإنترنيت ووسائل الاتصال الرقمية المختلفة أخذت العولمة مواقف جديدة جعلت الدول الغنية تحكم سيطرتها على الدول النامية، وغدا الأشخاص الأغنياء يملكون المعلومات، وغيرهم من الفقراء غير الناطقين بالإنكليزية لا يستطيعون النفاذ إلى تلك المعلومات، مع الأخذ بالحسبان أن ٨٠٪ من صفحات الموقع المتوفرة على شبكة «الوب» مكتوبة باللغة الإنكليزية.

ومن سمات العصر أنه عصر التغيرات السريعة وعصر الاجتياح المادي وانحسار القيم المعنوية وعصر النفعية والمصالح والوظيفية والتفكير المنظومي.

ووقف الباحث على واقع اللغة العربية في ضوء سمات العصر وتحدياته وأشار إلى أن الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يمر بها الوطن

العربي من جهة، وسرعة التغيرات في عصر العولمة والمعلوماتية من جهة ثانية، تظهران اللغة العربية وكأنها عاجزة عن مواكبة التطور، وأبان أن الخطر المؤثِّر في اللغة العربية في ظلال العولمة يأتي من تهميشها تدريجيًا لمصلحة الإنكليزية، مع ازدياد دور اللهجات العامية في تأثيرها في الفصيحة لتغدو لغات مستقلة بعضها عن بعض.

وأبان أن الجهد التطويري في إدخال اللغة العربية في نظم المعلومات غير كاف، ويقتصر على الاستيعاب السطحي، إذ إن ثمة شحًّا في محتواها الرقمي وعدم توفر الأدوات المعلوماتية الملائمة للبحث والتنقيب فيها. وأرباب العولمة يعملون على ابتعاث كل ما يفرّق، ووأد كل ما يوحّد ويجمع، واللغة العربية الفصيحة موحدة، على حين أن العامية عامل تفريق.

ومن هنا نرى اعتمادها «أي العامية» ووصم الفصيحة بالتخلف وعدم مواكبة روح العصر، وأنه إذا أراد أبناء العروبة المواكبة فما عليهم إلا أن يستخدموا الإنكليزية، وهذا ما جنحت إليه أغلب جامعات وطننا العربي، وما نراه ماثلاً على ألسنة المندوبين العرب في المحافل الدولية مع أن العربية معتمدة لغة رسمية في هذه المحافل.

وأوضح الباحث أن لغتنا العربية تُعاني النقص في الدراسات العلمية التي تتناول تيسير تعليمها وتعلمها، كما تُعاني النقص في حصر الرصيد اللغوي بالأساليب العلمية، والنقص في الكشف عن الفعالية النسبية لطرائق تعليمها، والنقص في استخدام التقنيات التربوية في عمليتي تعليمها وتعلمها، والنقص في البرامج الخاصة بالأطفال والمنجزة بالعربية الميسرة.

وفي القسم الثالث من البحث وقف الباحث على سبل مواجهة التحديات، فأشار إلى تعزيز الانتماء حفاظًا على الهوية والذاتية الثقافية للأمة،

وأبان أن الحفاظ على الهوية لا يعني الجمود، بل هو عملية تُتيح للمجتمع أن يتطور ويتغير دون أن يفقد هويته الأصلية، وأن يتقبل التغيير دون أن يغترب فيه، في منأى عن الدونية والانبهار والاستلاب، مع الأخذ بالحسبان أن إتقان اللغات الأجنبية أمر مهم جدًا لخدمة اللغة العربية.

ومن سبل المواجهة تنشيط اللغة العربية في المعلوماتية، والعمل على زيادة المحتوى العربي الرقمي على الشابكة «الإنترنت» من مثل المواقع التعليمية والإعلامية والثقافية والمكتبات الإلكترونية بالعربية...إلخ. إضافة إلى تعريب البرمجيات العالمية، وتشجيع البحوث المتخصصة باللغة العربية والترجمة الآلية ودعم مشروعات توحيد المصطلحات العربية المعلوماتية وتأهيل الأطر البشرية في مجال المعلوماتية...إلخ.

ومن سبل المواجهة أيضًا دعم مسيرة التعريب، لأن الفكر العربي يبقى ناقصًا وغريبًا إذا لم يُقرأ ويُكتب ويفكِّر بالعربية. ثم إن قضية التعريب ضرورة قومية وتربوية وقضية أمن ثقافي، وقضية إبداع وابتكار للانتقال من استهلاك الأشياء إلى صنعها ومنحها الاسم العربي. واللغة العربية أولاً وأخيرًا هي لغة العقيدة، لغة القرآن الكريم الذي نزل به الروح الأمين على قلب الرسول العربي الكريم ﷺ آيةً لنبوته، وتأييدًا لدعوته، ودستورًا لأمته.

ومن سبل المواجهة تنشيط الترجمة إلى العربية ومنها، وعلى اتحاد مجامع اللغة العربية والجامعات العربية ومؤسسات الترجمة ومراكزها في الوطن العربي مسؤوليات جسام تجاه لغتهم العربية الأم، ونقل أمهات الكتب الأجنبية العالمية والموسوعات ودوائر المعارف إلى العربية.

ووقف الباحث على التجربة السورية في التعريب منذ مطلع القرن الماضي، وألَقِ هذه التجربة، وأنها مثال حي على قدرة اللغة العربية على مواكبة روح العصر في مختلف ميادين الفكر والمعرفة.

ومن سبل المواجهة الحفاظ على صفاء اللغة والعمل على سيرورتها وانتشارها وتنقيتها من التلوث اللغوي الذي تواجهه، وأبان أن سيرورة اللغة العربية في جميع مناحي الحياة واجب ديني وقومي. وعلى الأمة واجب تجاه أبنائها المهاجرين لتعليمهم العربية حفاظًا على انتمائهم العربي وقيمهم العربية الأصيلة وشخصيتهم الحضارية. وعلى النظم التربوية في وطننا العربي غرس الشغف بالقراءة لدى الناشئة منذ نعومة أظفارهم.

ومن سبل المواجهة أيضًا نشر روائع الثقافة العربية وقيمها الإنسانية وسيرورة التفكير العلمي والعناية بالبحث العلمي.

ومن البحوث التي أُلقيت بهذه المناسبة بحث عنوانه «الترجمة: بعض من مناهجها وكثير من مزالقها» للأستاذ الدكتور أحمد شفيق الخطيب عضو المجمع، وقد أوضح في القسم الأول من بحثه مفهوم الترجمة لغة ومصطلحًا، وأبان الاختلافات التي تحدث في الترجمة في ضوء خصائص اللغات وسياقات المعاني، وذكر شواهد من اللغتين العربية والإنكليزية على ذلك التباين والاختلاف في المفاهيم، وأشار إلى أن متطلبات الترجمة السليمة تتعقد عندما يختلف منحى المادة بين مجالات الأدب والعلوم، والآلة ماتزال غير قادرة على تجاوز الملتبسات التي يبقى تفهمها ذهنيًّا مرتبطًا بالمعنى والسياق، وأبان الباحث أنه ليس ينكر في ترجمة أي نص أدبي مهما توخى المترجم الدقة فقدان شيء من قصد المؤلف بحيث إن المقولة الإيطالية «المترجم خائن» لها ما يبررها، فأحيانًا يكون تصرف المترجم القدير مطلوبًا في مجال اختصاصه، وقد يكون

المفهوم المترجم غامضًا في ذهن مؤلِّفه، أو قد أُسيء عرضه، فيتحتَّم على المترجم أن يبحث عن تفسير مصحح مقنع لما يقرأ، ولذا قيل «الوفاء محمود في كل شيء ما عدا الترجمة» حيث الخيانة مطلوبة أحيانًا.

ثم وقف الباحث على موضوع المصطلح العلمي المتفجر في مختلف المجالات، ليس تقانيًّا وإلكترونيًّا وهندسيًّا وحضاريًّا فقط، بل معيشيًّا واجتماعيًّا وبيئيًّا أيضًا، والترجمة المصطلحية هي السبيل إلى ذلك.

والمصطلح في حد ذاته ليس غاية، والغاية هي امتلاكنا المعارف العلمية والتقانية العقلية اللاسطحية للركب الحضاري المنطلق بزخم متزايد، والمصطلح هو بعض وسائلنا لامتلاك تلك المعارف والتقانات.

وأبان الباحث أن المشكلة في وضع المصطلحات هي في غياب المنهجية العلمية، والواقع يخالف ذلك، فالمنهجية موجودة، ولكن العلة كما شخَّصها الأمير مصطفى الشهابي قبل ما يزيد على نصف قرن تتمثل في «أن الذين يتحلون بمعرفة دقائق العلوم الحديثة، وأسرار اللغة التي يترجمون عنها والتي ينقلون إليها، هم قليلون جدًّا في بلادنا العربية»، وإن مقولة الأمير لم تتغير كثيرًا حتى الآن.

وأشار الباحث إلى أن مهنة المصطلحي لم تتحدد معالمها بعد في الوطن العربي، فليس هناك برامج متعارفة ولا طرائق تأهيل محددة ومرسومة لإعداد المتخصصين في المصطلح والشؤون المصطلحية، ومهما يختلف المنظرون في تقنيات المصطلحية ومساقاتها ومناهجها ومنهجيتها، فهنالك أساسيات لا خلاف فيها لما يمكن اعتباره بعض مؤهلات المصطلحي، وهي في جوهرها لا تختلف كثيرًا عن المتطلبات الأساسية لأعمال الترجمة الناجحة التي حصرها الجاحظ في ثلاثة شروط قبل اثني عشر قرنًا، وينبغي أن تتوفر في المترجم، وهذه الشروط الثلاثة هي:

أولاً– أن يكون بيانه في الترجمة نفسها في وزن علمه بالمعرفة نفسها، أي أن يكون إلمامه كافيًا بمادة الموضوع الذي يقوم بوضع مصطلحات مادته.

ثانيًا وثالثًا– كون المصطلحية ترجمة من مستوى معين، أي أن يكون المترجم أعلم الناس باللغة المنقول عنها «لغة الأصل» واللغة المنقول إليها «لغة الهدف»، حتى يكون فيهما سواء وغاية.

ويزيد خبراء المصطلحية على هذا الثالوث خبرة عملية بالمنهجية المصطلحية مدعمة بالتراث المصطلحي القديم والحديث، إضافةً إلى موهبة عمادها ذكاء مدرب، وخيال واسع مع دراية وبصيرة توجِّهان واضع المصطلح إلى انتقاء المرادف الأنسب من التراث أو المعاجم ذات العلاقة، أو الترجمة من الكتابات المنشورة حول الموضوع.

وأوضح الباحث أن العلة ليست في المنهجية، بل في المصطلحيين اللامنهجيين غير المؤهَّلين بالتقانات أو المعارف التقانية الأجنبية، فيلجؤون إلى النقل الحرفي أو التقديري أو الاقتباسي، ويسجلون هذا النقل بلغة مضطربة إما لاضطراب في فهم المنقول واستيعابه، أو لوهن في المتطلب الجاحظي أو لوجود العاملَين معًا.

وقدَّم الباحث عينات مصطلحية من أعمال معجمية أو ترجمات صدرت عن مؤسسات معتبرة أو من معاجم أو مشاريع معاجم، وقد أطلق على هذه العينات «مزالق الترجمة» وبدأها بمزلق الترجمة الحرفية، ثم انتقل إلى الترجمة بمرادف خاطئ أو خاطئ سياقيًّا، وهي إلى حد بعيد شبيهة بالترجمة الحرفية، ومن ثم إلى الترجمة المقلوبة من حيث خلط الصفة بالموصوف، وإلى الترجمة بشبيه سماعي، والترجمة بمعدود خاطئ، والترجمة بمفهوم مختلف، والترجمة بالنقيض، والترجمة المضللة بالجذور المشتركة أو شبه المشتركة والترجمة المضللة بالألفاظ المشتركة، وترجمة الإفاضة والانتقاص، وتحريف الاسم الأجنبي،

وترجمة ما ينبغي ألا يُترجم، وعدم ترجمة ما ينبغي ترجمته، والترجمة بجملة وبخطأ النقل، وأخيرًا الترجمة المجسّدة.

وقدّم الدكتور محمد عبد الحليم مدير مركز الدراسات الإسلامية بجامعة لندن ورقة عمل حول «ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنكليزية: مشكلات ومحاذير»، وأبان فيها أن أمام مترجم القرآن الكريم إلى الإنكليزية مشكلات عديدة وأن عمله محفوف بمحاذير كثيرة، وواجبه الأول هو محاولة إيجاد الحلول لتلك المشكلات واتقاء تلك المحاذير. ومن المشكلات ما يتعلق بدلالة الألفاظ، وعلى الأخص في مجال «وجوه القرآن»، وفي تعدد المعنى الوظيفي لكثير من الكلمات، واختلاف المعنى في عصر التنزيل عما طرأ بعد ذلك. ومن المشكلات ما يتعلق بمسائل النحو مثل مرجع الضمير، والالتفات، والتذكير والتأنيث والنيابة في الصيغ، والحذف. ومنها ما يتعلق ببنية النص القرآني وحدود الجملة والآية والجمل الاسمية والتعليقات وأين يتوقف كلام ويبدأ كلام آخر.

أما في جانب المحاذير فوقف الباحث على:

١- خطر الغفلة عن سياق الكلام.

٢- اتباع «ما وجدنا عليه آباءَنا» من المترجمين في مصطلحاتهم وعباراتهم.

٣- الانسياق إلى الاتجاه الحرفي في الترجمة ومتابعة نسق الجملة العربية ظنًّا أن في هذا التزامًا بصحة المعنى وضمانًا لعدم البعد عن الأصل.

٤- الانسياق وراء الأولين بالكتابة بلغة قديمة لا يقرؤها المتعلمون في مدارسهم وجامعاتهم، ولا يكتب بها الكُتَّاب والأدباء من حولهم.

٥- ظن المترجم أن النص بعد نقله إلى الإنكليزية سيكون دون إضافة إضاءات ضرورية في المستوى نفسه من الوضوح كما هو لدى القارئ العربي في

بيئته الإسلامية.

وبحُسْنِ التأني في حل مثل تلك المشكلات وتَوَقِّي مثل تلك المحاذير يصبح المترجم أقرب إلى الرشد، وأحرى بأن يُسهم في تصحيح الفهم وتوضيح المعنى وتحقيق السلاسة في الأسلوب، وإزالة الغرابة التي شعر بها الغربيون تجاه القرآن منذ أن عرفوه مترجمًا إلى لغاتهم.

ومن البحوث التي كان مقررًا إلقاؤها في جلسات العيد الماسي بحث للأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية في الأردن وعنوانه «قضايا العربية في العصر الحديث بين وحدة القرار المجمعي وإلزامية التنفيذ»، إلا أن ظروفًا طارئة حالت دون حضور الدكتور خليفة، ونظرًا لأهمية هذا البحث الذي تم الاطلاع عليه بعد توزيعه في العيد الماسي سأحاول تقديم فكرة عن محتواه، فقد أشار الباحث إلى أن اللغة العربية تواجه تحديات وقضايا ذاتية وخارجية، شأنها في ذلك شأن جميع اللغات الحيّة، إذ إنها لم تتوقف عن دراسة دقائق قضاياها في الكتابة والنحو والصرف واللغة وأساليبها وألفاظها ودلالاتها واصطلاحاتها، ووضع المعاجم العامة والمتخصصة...إلخ، ولم يتخلف الاجتهاد والإبداع إلا بتخلف الأمة وتمزقها وغوصها في ظلمات الجهل والحجز على حرية الفكر.

وأبان الباحث أن اللغة العربية كانت موضع الاهتمام والدراسات العلمية والفقهية وهدفًا للتطوير والتيسير منذ العقود الأولى من القرن الأول الهجري، بل ومنذ عصر الخلفاء الراشدين عندما بدأ تقعيد النحو أول مرة في تاريخ العربية، وأشار الباحث إلى موضوع تنقيط الحروف بعد ذلك. وفي العصر الحديث وفي ظلال ثورة التقانة والمعلوماتية والمعرفة ووسائل الاتصالات وفي أجواء العولمة تواجه اللغة العربية مشكلات متعددة منها:

١- الازدواجية اللغوية بين العامية والفصيحة.

٢- اللغة العربية والحاسوب وقضية تعريب الحاسوب وبناء أجهزة تقنية وفق خصائص العربية.

٣- اللغة العربية وشبكة الاتصالات «الإنترنت»، وقضية النشر الإلكتروني باللغة العربية والعمل على تعريب صفحات «الإنترنت».

٤- نقل جميع العلوم والفنون إلى اللغة العربية، وتعريب مصادر العلوم والتقنيات وما ينتشر في الدوريات العلمية المرموقة باللغات الأجنبية الرئيسة: الإنكليزية والفرنسية والألمانية والروسية واليابانية، وتنمية قدرات اللغة العربية على الوفاء بمتطلبات التعبير عن الحضارة الحديثة.

٥- جعل اللغة العربية لغة التدريس في جميع المواد العلمية والأدبية والفنية وفي التقنيات الحديثة وفي جميع مراحل التعليم العام والجامعي وفي مؤسسات البحث العلمي.

٦- اللغة العربية في مواجهة العولمة بمفاهيمها المختلفة.

٧- اللغة العربية ومستوياتها المختلفة في وسائل الإعلام، وضرورة إعداد الإعلاميين لغويًّا، باستعمال لغة عربية سليمة موحدة تنأى عن العاميات المحلية رمز الجهل والتقوقع.

٨- تعليم اللغة العربية السليمة لأبنائها، والعمل على تنمية شعورهم بحبها واحترامها والاعتزاز بها، وتقديمها إليهم في أجمل أساليبها ومناهجها.

٩- تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وإقناعهم أن تعلمهم اللغة العربية الفصيحة هو وحده الذي يحقق أهدافهم المشروعة من حيث المبدأ، إذ يستطيع المتعلم باستعمال العربية السليمة أن يتفاهم مع جميع شرائح المجتمع في جميع الأقطار العربية، في حين أن تعلم العامية المحلية يحدد جمهوره من حيث

إمكان التواصل، وفي الفهم والإفهام، في مساحة ضيقة لا تتجاوز جمهور تلك العامية، ثم إن تعليم العربية الفصيحة لغير الناطقين بها يحقق أهدافنا الفكرية والحضارية والقومية.

١٠- اللغة العربية والترجمة منها وإليها وتعزيز دور الترجمة الآلية.

وأوضح الباحث بعد الإشارة إلى التحديات التي تواجه العربية أننا لما نجد استراتيجية لغوية عربية تقوم على أسس علمية وتحتل مواقعها في مجمل العمل التنموي العربي المشترك، وتكون ملزمة التنفيذ روحًا وتشريعًا، وأن مثل هذه الاستراتيجية يمكن أن تتم في إطار تعاون صادق وحيوي بين جامعة الدول العربية واتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ومؤسسات البحث العلمي والتعليم العالي في الوطن العربي.

وأبان الباحث أنه مضى على قيام اتحاد المجامع اللغوية العربية نحو نصف قرن، وماتزال قضايانا العربية ومشكلاتها تراوح مكانها وتزداد سوءًا كلما تعرضت الأمة العربية وهويتها وعقيدتها لأنواع المحن والغزو الأجنبي والاستيطاني والاقتصادي والثقافي...إلخ.

وأشار الباحث إلى موضوع غياب الإلزام وقوة التنفيذ للقرارات المجمعية في جميع مجامع اللغة العربية وفي اتحادها أيضًا، إذ إن القرارات لا تجد طريقها إلى الاستعمال، واللغة كما هو معروف لا تحيا إلا بالاستعمال، ويصاحب ذلك كله واقع مرير بما تواجهه العربية من تهديد في مظاهر الحياة اليومية من حيث انتشار العامية والكلمات الأجنبية، واحتلال اللغة الإنجليزية مكانة في مراحل التعليم العام والجامعي وبدءًا من الطفولة المبكرة، حتى باتت لغة التعليم الرئيسة في المدارس الخاصة.

وإذا كان الباحث يدعو إلى وجوب استراتيجية لغوية عربية، فإنه يقترح أيضًا وجود هيئة لغوية عربية جامعة مستقلة يرأسها في الوقت الحاضر رئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، ويشارك فيها الأمين العام لجامعة الدول العربية ورؤساء المجامع اللغوية العلمية العربية، وممثلون من العلماء والمتخصصين عن كل قطر عربي لا يوجد فيه مجمع رسمي للغة العربية. ويكون لقرارات هذه الهيئة صفة الإلزام والتنفيذ في إطار مؤسسة القمة العربية.

وأوضح الباحث الظروف القاسية التي يمر بها اتحاد مجامع اللغة العربية، وهذا ما أساء إلى سمعة المجامع، والمجمعيين على نطاق الساحة العربية.

تلك هي إطلالة على المحاضرات والبحوث التي تضمنها العيد الماسي لمجمع اللغة العربية في القاهرة، وتجدر الإشارة إلى أن الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي من الجزائر ألقى كلمة بمناسبة العيد في إحدى الجلسات المخصصة للمحاضرات والبحوث، وقد تضمنت كلمته إشارة إلى ما قام به الاستعمار الفرنسي من أعمال في الجزائر ومن بينها محاربة اللغة العربية الفصيحة وفرض الفرنسية مكانها، وعرَّج على نضال والده محمد البشير الإبراهيمي عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة ممثِّلاً للجزائر، وكيف أن القضية الوطنية كانت شغله الشاغل وهمه الدائم، وأورد فقرة من كلام والده في الدفاع عن العربية الفصيحة وتبيان جهود مجمع اللغة العربية في المحافظة عليها.

وانتقل إلى تبيان محاسن العربية مستشهدًا بقول شوقي:

إن الذي ملأ اللغات محاسنًا جعل الجمال وسره في الضاد

ولكن الأمر كما يقول صار أمر فعالية، فماذا يفيد الجمال صاحبه إذا كان هذا الصاحب كَلاًّ على غيره ولا يقوم بأمر نفسه، ونربأ بلغتنا أن يكون شكلها جميلاً وغَناؤها ضئيلاً.

وأوضح أن العالم في هذا الزمان الذي نحياه يعيش ما سمَّاه أحد الكتاب الفرنسيين «حرب اللغات»، وفي الحرب منتصر ومهزوم، وغالب ومغلوب، فماذا سيكون مصير لغتنا في هذه الحرب الضروس التي زادتها تأججًا والتهابًا ثورة الاتصالات الحديثة.

وذكر أن دراسة صدرت في أمريكا اللاتينية تنبأت أنه لن يبقى في المدى المنظور إلا أربع لغات هي:

اللغة الصينية وسبب بقائها هو العامل البيولوجي.

اللغة الإسبانية وسبب بقائها هو العامل الديموغرافي.

اللغة الإنكليزية وسبب بقائها هو العامل التقاني «التكنولوجي».

اللغة العربية وسبب بقائها هو العامل الإيديولوجي «الديني» لأنها هي اللغة الدينية لأكثر من مليار من البشر.

ومع أن هذا التنبؤ يبعث فينا شيئًا من التفاؤل فهو يرى أن هذه اللغة تواجه تحديًا كبيرًا لا سبيل إلى التغلب عليه إلا باستجابة أكبر، وذلك بتجنيد طاقات أكثر وحشد إمكانات أوفر, وإن تجنيد الطاقات، وبذل المجهودات يتطلب إيجاد مصادر مالية جديدة، ولعل من المصادر المالية المطلوب إيجادها ما يمكن تسميته «**الوقف اللغوي**».

ودعا إلى توطيد صلة المجمع بأجهزة الإعلام والمرئي منها خاصة ، لأنه إذا بقيت المصطلحات التي يقرها المجمع بعيدة عن الناس، ولم تصل إليهم بمختلف الوسائل فأخشى أن يقال عنا ما قد قيل عن أعضاء المجمع الفرنسي «صنّاع ألفاظ، وزّانو مقاطع». وإن أهمية اللغة لا تقتصر على المجال العلمي، ولكنها كما يقول أحد الفلاسفة: إن الوحدة اللغوية تقود إلى وحدة الإرادات.

وقال: «إذا كان تعاوننا اليوم في القضايا السياسية والاقتصادية لا يسر الناظرين، حيث تقطعت بنا الأسباب، وصار بأسنا بيننا، ووالَيْنا أعداءنا، وأَشْمَتْنا بنا خصومَنا، فإن الأمل معقود على هذه اللغة في الإبقاء على ما بين العرب من وحدة المشاعر، ووحدة الآلام، ووحدة الآمال، وعسى الله أن يعيد إلى هذه الأمة سيرتها الأولى بفضل هذه اللغة».

وقد صدر في نهاية الاحتفال بالعيد الماسي إعلان مجمع اللغة العربية بهذه المناسبة، ولعلّ من الفائدة أن نذكر الإعلان كما ورد في نصه على النحو الآتي:

إعلان مجمع اللغة العربية

في مناسبة عيده الماسي

(١٧ مارس– ١٩ مارس ٢٠٠٧م)

في مشهد علمي ولغوي وثقافي جليل، ضم نخبة علماء العربية ومفكريها وأساتذتها ومبدعيها، من المصريين والعرب والمستعربين، ومن أعضاء مجمع اللغة العربية في مصر وأعضاء مجامع اللغة العربية العاملين والمراسلين، ومن الخبراء المجمعيين العاكفين على قضايا اللغة والعلم، ومن ممثلي الجامعات والمؤسسات والهيئات المتصلة بأمور اللغة العربية، والعاملة في مجالاتها المختلفة، ومن المشاركين في الجمعيات اللغوية التي تؤكد اهتمام المجتمع المدني ومبادراته في هذا المشهد الجليل، جاء احتفال مجمع اللغة العربية في مصر بعيده الماسي، وبلوغه الخامسة والسبعين من عمره الحافل بالعطاء والإنجاز.

وجاءت هذه المشاركة المصرية والعربية والدولية تقديرًا للدور الذي قام به هذا المجمع في خدمة قضايا اللغة العربية، والعمل على صيانتها والمحافظة عليها، وتيسيرها وتطويرها، وجعلها مواكبة لروح العصر، قادرة على الوفاء باحتياجاته ومطالبه، متسعة لمجالات المعرفة الشاملة والمتسارعة بلا حدود، باعتبار هذه اللغة

وعاء لتراثنا وثقافتنا وذخيرة لمكتنزاتنا وتجليات إبداعنا، وآلةً لإنتاجنا المعرفي قديمه وحديثه، ومنطلقًا لطموحاتنا ومواجهتنا للتحديات التي يفرضها علينا واقع عربي وعالمي جديد، لابد فيه من تأكيد الهوية وترسيخ القدم والأخذ بأسباب التقدم ووسائله، والإسهام فيه – كما أسهمنا عبر التاريخ– عندما كانت العربية لغة العولمة، وجامعة الثقافات، ولسان الشعوب، والحضارة العربية تنتظم العالم كله من مشرقه إلى مغربه، سلامًا وتنويرًا وهداية، وصياغة للعقل والوجدان، ونشرًا لقيم الحياة والعمران.

إن مجمع اللغة العربية، وهو يعي دوره كأعظم ما يكون الوعي، ويقدر مسؤوليته كأكبر ما يكون التقدير، يتطلع اليوم إلى صياغة جديدة لقانون عمله ووجوده، واعترافًا حاسمًا من الدولة ومؤسساتها بفاعلية دوره وأبعاد مسؤوليته باعتباره مرجعية لغوية في كل ما يتصل بقضايا اللغة العربية في التعليم والإعلام والثقافة، لتصبح قراراته ملزمة وحاكمة، من منطلق هذه السلطة اللغوية التي يضمنها ويحققها له قانون جديد يجيء بمثابة استعادة وتأكيد لمرسوم إنشاء هذا المجمع، عندما كان مجمعًا ملكيًّا للغة العربية، والصادر في الثالث عشر من ديسمبر عام ١٩٣٢م، والذي كان ينص في مادته السابعة عشرة على أن تتخذ وزارة المعارف العمومية كل الوسائل التي تكفل اتباع قرارات المجمع في أمر اللغة العربية وألفاظها وتراكيبها، وذلك بإذاعتها إذاعة واسعة، وباستعمالها بوجه خاص في مصالح الحكومة وفي التعليم والكتب المدرسية المقررة.

هكذا جاء مرسوم إنشاء المجمع، مرتبطًا بمسؤولياته وواجباته التنفيذية، وملزمًا لوزارة المعارف العمومية – التي كان يتبعها المجمع عند إنشائه – بتنفيذ قراراته في أمور اللغة العربية، وهو الأمر الذي يرى المجمع الآن ضرورة استعادته

وتأكيده، بأن يُعاد النظر في الصيغة الحالية لقانونه ليستعيد سلطته التنفيذية ومرجعيته فيما يتصل بأمور اللغة وقضاياها.

لقد صمت المجمع طويلاً أمام هجمات عديدة وانتقادات كثيرة تهدف إلى الانتقاص من قدره وهيبته، كثير منها كان يصدر عن غرض أو هوًى، والقليل منها كان موضوعيًّا يَتَغَيَّا الحقيقة، ويسعى إلى جلاء الموقف، ظنًّا من أصحاب هذا النقد وهذا الهجوم أن المجمع يتقاعس عن المشاركة في السجال اللغوي، وعن أن يكون له دور بارز ورأي مسموع في كل ما يجري ويحدث من حولنا، والظواهر السلبية تتفاقم وتتعاظم: ضعفًا في مناهج تعليم اللغة العربية وانهيارًا في مستوى المتعلمين في المدارس والجامعات، وشيوعًا للأخطاء الفادحة على الألسنة والأقلام في وسائل الإعلام وغيرها، وانتشارًا للأسماء الأجنبية التي أسرف الناس في إطلاقها على كل ما حولنا ونعيش فيه، دون أن يجدوا من يردهم بالقانون وبالوعي عن هذه الممارسات الخاطئة التي من شأنها القضاء على الهوية، وتشويه صورة الوطن، في الوقت الذي أُتيح فيه لعدد من المجامع اللغوية العربية في عدد من البلاد العربية سلطة القرار وفاعلية تنفيذه، وسلطة مواجهة كل ما يسيء إلى الناس في لغتهم وفي واقع حياتهم المتصل بهذه اللغة.

إن مجمع اللغة العربية وهو يقدم الشكر الجزيل للرئيس محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية على تفضله برعاية احتفالنا بالعيد الماسي، ولجامعة الدول العربية التي احتضنت هذا الاحتفال، وكانت بحق بيتًا للعرب في أمور لغتهم وثقافتهم وحياتهم، يطلب من الدولة ومن مجلسها التشريعي: الشعب والشورى، الموافقة على تعديل قانون المجمع، بحيث تتضمن صيغته الجديدة المقترحة استعادة المجمع لدوره الغائب الذي نص عليه مرسوم إنشائه، وسلطته

اللغوية التي يجب أن تكون له في كل ما يتصل باللغة العربية وقضاياها، استكمالاً لما في المجتمع من سلطات تنفيذية وتشريعية وقضائية.

إن حاضر المجمع ومستقبله وازدهاره مرهون بتحقيق هذا المطلب، والاستجابة السريعة له، ونحن نطرحه ونطالب به في مناسبة العيد الماسي، وإلا فإن الحال سيظل على ما هو عليه. السلبيات في واقعنا اللغوي تتعاظم، والمجمع مكتوف اليدين، دون أن تكون قراراته ملزمة ولها سلطة القانون.

والأمل معقود، على أن تكون مسيرة المجمع في سنواته القادمة أكثر اكتمالاً وقدرة وعزيمة، ووفاء بما هو مطلوب منه من عمل وإنجاز، بفضل مؤازرة الدولة ودعمها، والتفاف هذا الحشد العلمي من حوله، وتعظيم جهده في إطار تكامله مع الجهد المجمعي العربي المشترك، المتمثِّل في اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، وفي ذخيرة الأمة من العلماء والمفكرين والمبدعين والباحثين.

والشكر الموفور لكم جميعًا.

من المكتبة العربية:

عِلم التَّعْمية واستخراجِ المُعَمَّى عند العرب

Origins of Arab Cryptography and Cryptanalysis

عرض: الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري
عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

تمهيد:

في الماضي البعيد كانت التعمية – أي الإخفاء والتلبيس – تُستعمل للحفاظ على سِريّة الرسائل، الخاصة بالحكّام غالبًا. وفي عام ١٩١٨ ظهرت واحدة من أشد مقالات تحليل التعمية أثرًا في القرن العشرين. وفي العام المذكور سُجِّل في كليفورنيا اختراعٌ لآلةٍ قُدِّر لها أن تبقى أنجح آلة في التعمية العسكرية طَوال ٥٠ سنة تقريبًا. إلا أن الأمور بدأت تتغير بعد الحرب العالمية الأولى (أي بعد سنة ١٩١٨) فأحرزت الجهات العسكرية الأمريكية، التي كانت تعمل بسِريّةٍ تامة، تقدمًا جوهريًّا في التعمية، وظهرت في ثلاثينيّات وأربعينيّات القرن العشرين بضع مقالات أساسية في المنشورات **العلنية**. ولكن بعد نهاية الحرب العالمية الثانية (أي بعد سنة ١٩٤٥) اختفت المؤلَّفات التعموية العلنية، باستثناء عملٍ مرموقٍ واحد، نشر عام ١٩٤٩.

وبقيت المؤلَّفات التعموية قليلة في المدة ١٩٤٩–١٩٦٧. وفي عام ١٩٦٧ ظهر كتاب D.Kahn الذي لم يتضمن أفكارًا تقنية جديدة، لكنه عرض تاريخًا كاملاً، إلى حدٍّ بعيد، لما حصل في الماضي. ولاقى الكتاب رواجًا واسعًا، وجعل عشرات آلاف الناس يدركون أهمية التعمية. ثم بدأت تظهر نُبَذٌ من مقالات تعموية جديدة.

وفي عصر الحاسوب والمعلوماتية وثورة الاتصالات، اكتسب علم التعمية أهمية جديدة، واتسعت دائرة استعمالاته لتشمل الاتصالات المدنيّة والعسكرية والشابكة (الإنترنت) والمراسلات الأمنية والتجارية، إلخ...

ونظرًا إلى أهمية هذا العلم في الوقت الحاضر، أصدرت «الجمعية العلمية السورية

للمعلوماتية)) سنة ٢٠٠٦ سِفرًا ضخمًا يقع في ٨٩٤ صفحة من القَطع الكبير، عنوانه ((التعمية التطبيقية)) وهو ترجمة أمينة متقنة لكتابٍ من تأليف Bruce Schneier أخرجه سنة ١٩٩٦ الناشر John Wiley & Sons.

مؤلِّف هذا الكتاب خبير دولي ومستشار مشهور في التعمية. وتشير قائمة المراجع في آخره (وعددها ١٦٥٣ مرجعًا!) إلى الاتساع الكبير لدائرة الباحثين المهتمين بالتعمية من جهة؛ وإلى حجم الجهد الذي بذله المؤلِّف في استخلاص مادة الكتاب من جهة ثانية.

ومن عجائب التقادير أن يتأخر اكتشافُ الأصل العربي لهذا العلم ومخطوطاتِه، ودراستُها حتى أواخر القرن العشرين. وقد نشرَ مجمع اللغة العربية بدمشق الجزء الأول من الكتاب المذكور في عنوان هذا المقال، سنة ١٩٨٧، ونشر الجزء الثاني سنة ١٩٩٧.

بعد ذلك أخذ ((مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية)) في الرياض على عاتقه ترجمة هذا الكتاب العربي المهم جدًّا إلى اللغة الإنكليزية. وبدأت الترجمة سنة ٢٠٠٣، وانتهت سنة ٢٠٠٧، وصدر الكتاب بالإنكليزية تِباعًا في ستّة أجزاء. وفيما يلي عرضٌ للمؤلَّف المذكور، يتضمن:

- المقدمة.
- الدوافع إلى التعمية.
- العوامل التي أسهمت في تطوير علم التعمية واستخراج المعمَّى.
- طرق التعمية الأساسية:–تعمية المعاني بالتورية –التعمية بمعالجة الحروف
- بعض طرق حلِّ التعمية.
- من أعلام التعمية العرب.
- كلمة عن رسالة الكِنْدي (عاش في القرن الثالث الهجري).
- كلمة عن رسالة ابن عدلان (عاش في القرن السابع الهجري).
- كلمة عن رسالة ابن الدُّرَيْهِم (عاش في القرن الثامن الهجري).

- بقية الرسائل المخطوطة المحقَّقة:
  - ثلاث رسائل في تعمية المنثور.
  - رسالة في تعمية المنثور والمنظوم.
  - أربع رسائل في تعمية المنظوم.

المقدمة:

من المعلوم أن العرب اشتغلوا بالعلوم منذ نشأة الحضارة العربية الإسلامية. فترجموا عن الرومية والفارسية والهندية بعضَ أصول العلوم، ثم أغنَوها وطوَّروها، كالرياضيات والفيزياء والفلسفة... والمكتبة العربية **اليوم** غنية بالكتب التي تتحدث عن تاريخ العلوم عند العرب.

ولكنْ ثمة علمٌ، هو **علم التعمية**، لم يَرِد له ذكرٌ في هذه الكتب، مع أنه علمٌ عربي المولد، يعود إلى العرب الفضل في ابتكاره ووضع أسسه، وإرساء قواعده وتطويره حتى بلغ مرحلة ناضجة، وغدا ما وضعوه فيه مرجعًا قبس منه المشتغلون بالتعمية من بعدُ. فما هذا العِلم؟

التعمية لغةً: الإخفاء والتلبيس، وهي في الاصطلاح: تحويل نَصٍّ واضح إلى آخرَ غيرِ مفهوم، باستعمال طريقة محددة، يستطيع مَن يعرفُها أن يفهم النص، وذلك **باستخراج المعمّى**، أي بتحويل النص المعمى إلى نصٍّ واضح.

وقد استعمل العرب كلمة (الترجمة) الفارسية الأصل للدلالة على التعمية نفسها، أو على بعض ضروبها، أو على استخراج المعمَّى، وهي بالمعنيين الأولَيْن فاشية الاستعمال لدى كثير من أصحاب رسائل التعمية. أما المعنى الثالث فقد انفرد بذكره القلقشندي، وعبَّر عنه آخرون بـ(حلِّ الترجمة).

واستعملوا أيضًا كلمة (المترجَم) بمعنى (المعمَّى) و(المترجِم) بمعنى المعمِّي.

إن علم التعمية واستخراجِ المعمَّى واحدٌ من علوم غير قليلة تدين للعرب ولادةً ونشأةً وتطورًا. فالعرب أولُ من كتب في طرائق التعمية الرئيسية التي ما انفك العالَم

يستعمل بعضَها حتى يومنا هذا. وهم أول من وضع المنهجيات الأساسية في علم استخراج المعمَّى؛ ودَوَّنوا فيهما مصنفات مستقلة في غاية الأهميةِ منذ القرن الثالث الهجري، وجلُّها باقٍ في خزائن مكتبات العالَم ينتظر من ينفض عنه غبار القرون... فالعرب سبقوا الغربيين في هذا المضمار نحوًا من **ستة قرون**، ومهَّدوا لهم، وتركوا بصمات واضحة في آثارهم تشهد بفضل العرب وريادتهم.

يقول المؤرِّخ الأمريكي المعروف David Kahn الذي أَرَّخ لعلم التعمية، في الصفحة ٩٣ من كتابه The Code Breaker [الذي يقع في ١١٦٤ صفحة، ونُشر سنة ١٩٦٧ وأشرنا إليه في التمهيد]، يقول بعد أن استعرض كل الحضارات حتى القرن السابع الميلادي، ما يلي:

«لم نجد في أيٍّ من الكتابات التي نقَّبنا عنها أيَّ أثرٍ واضحٍ لعلم استخراج المعمى حتى الآن.

وعلى الرغم من وجود بعض الحالات المعزولة العرضية مثل: الرجال الإيرلنديين الأربعة، أو دانييل، أو أيّ مصريين يمكن أن يكونوا قد استخرجوا بعض كتابات المقابر الهيروغليفية، فإنه لا يوجد شيء في علم استخراج المعمَّى. ولذا فإن علم التعمية الذي يشمل علمَيْ التعمية واستخراج المعمَّى لم يولد حتى هذا التاريخ [القرن السابع] في جميع الحضارات التي استعرضناها، ومنها الحضارة الغربية.

وُلد علم التعمية بشقَّيه بين العرب، فقد كانوا أول من اكتشف طرق استخراج المعمى وكتَبَها ودوَّنها. إن هذه الأمة التي انبثقت من الجزيرة العربية في الأعوام الستمئة [القرن السابع الميلادي] والتي أشعَّت فوق مساحات شاسعة من العالم المعروف،أخرجت بسرعة، واحدةً من أرقى الحضارات التي عرفها التاريخ حتى ذلك الوقت. لقد ازدهر العلم، فأصبحت علوم الطب والرياضيات أفضل ما في العالم.

ومن الرياضيات جاءت كلمة التعمية [في اللغات اللاتينية عامة، وهي كلمة

cipher][1]، كما ازدهر الفن التطبيقي، وتطورت علوم الإدارة. ولما كانت ديانة هذه الحضارة قد حَرَّمت الرسم والنحت [للأحياء]، حَضَّت بالمقابل على التعمق في تفسير القرآن الكريم، وهذا مما أدى إلى أن تَنْصَبَّ الطاقات الخلاّقة الكثيرة على متابعة الدراسات اللغوية، مثل كتاباتهم الأدبية في ألف ليلة وليلة، وفي الألغاز والأحاجي والرموز والتوريات والجناس، وأمثالها من الرياضيات الذهنية اللغوية. هذا وقد أصبح «النحو» علمًا أساسيًّا، فأدّى كل هذا إلى أن يتضمن الكتابة السرِّية [علوم التعمية].

وإذا علِمنا أن مَن جانَب الإنصافَ من علماء الغرب يعيد تاريخ الكتابة في التعمية إلى **القرن الخامسَ عشر الميلادي** [مع أن أحمد بن علي بن وحشية (الذي عاش في **القرن التاسع وبداية العاشر الميلادي**) له كتاب «شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام»، وقد طُبع في لندن مع ترجمته الإنكليزية سنة ١٨٠٦ بعناية جورج هامر[2]].

وإذا علمنا أيضًا أن فيلسوف العرب يعقوب بن إسحاق الكِنْدي (الذي عاش في **القرن التاسع الميلادي**) كتب أول مخطوطة في استخراج المعمَّى، وهي أقدم ما دُوِّن في جميع الحضارات، نكون قد رجعنا بتاريخ التعمية ستة قرون، وأعدنا الحق إلى نصابه والفضل إلى ذويه، وهم العرب.

ومن دواعي الأسف أن علمَ التعمية واستخراجِ المعمى كان من أقل جوانب التراث حظوةً باهتمام الباحثين والدارسين: فلم يحقق أحدٌ شيئًا منه، ولم ينهض أي

(1) أصلُها الكلمةُ العربية (صِفْر)، وقد عرَّب المحْدَثون cipher بـ (شفرة) واشتقوا منها (التشفير) الذي شاع استعماله بدلاً من (التعمية)!

(2) بعض العلماء العرب الزبيدي في (طبقات النحويين) وابنُ نباته في (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون) وغيرهما، يَعُدُّون الخليل بن أحمد الفراهيدي، (١٠٠–١٧٠هـ/ ٧١٨– ٧٨٦م) أول مَن وضع علم المعمَّى.

باحث بدراسته وإماطة اللثام عنه، وهذا ما أخّر اكتشافه إلى هذا الوقت.

ويمكن القول إن أول بحث علمي معاصر في تراث هذا العلم هو الدراسةُ والتحقيق لرسائل الكندي وابن عدلان وابن الدُّرَيْهِم. وقد قام بهذه الدراسة د. محمد مراياتي ومحمد حسّان الطيان ويحيى ميرعَلَم، ونشرها مجمع اللغة العربية بدمشق ضمن مطبوعاته، في كتاب صَدَرَ جزؤه الأول في تموز (يوليو) ١٩٨٧ وعنوانه: علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، ويقع في ٤٣٧ صفحة.

وصدر جزؤه الثاني سنة ١٩٩٧ ويقع في ٤٦٢ صفحة (وموضوعه: «التشفير وكَسْرُ الشفرة: دراسة وتحقيق لثماني رسائل مخطوطة»).

- **ما الدوافع إلى التعمية؟**

طُبع الإنسان على الرغبة في إخفاء مضمون بعض رسائله عن الآخرين، ليظل سِرًّا بينه وبين المرسَل إليه. واتَّبعَ لتحقيق ذلك، منذ القِدم، طرائق شتى. ويذكر التاريخ أن الحضارة المصرية القديمة، قبل الميلاد بنحو عشرين قرنًا، عرفت بعض سبل إخفاء المعلومات، وتداولتْها الحضارات الأخرى المجاورة؛ وكانت تدور حول السحر والدِّين والفلسفة وما نسمّيه الآن «الكيمياء».

ولجأ العرب في جاهليتهم إلى الرمز والألغاز والتورية والملاحن[٣]، والمعاريض[٤] وغيرها، لإخفاء مَراميهم، فلا يَفهم عنهم إلا الفَطِن النبيه.

فلما نشأت الدولة العربية الإسلامية وامتدت أطرافها، وكثرت صِلاتها بالدول المجاورة، برزت حاجةٌ ماسّة إلى ابتكار طرائق لإخفاء الأغراض والمقاصد.

---

(3) يُجمع اللَّحْن على ألحان ولُحُون وملاحن. ولهذه الكلمة عدة معانٍ، وفي المعجم الوسيط: المِلاحِن: مسائل كالألغاز يُحتاج في حلِّها إلى فِطنة.

(4) جاء في معجم «متن اللغة»: المعراض من الكلام: فحواه، ج معارض ومعاريض، وهو الكلام يشبه بعضه بعضًا في المعاني، كالتورية بالشيء عن الشيء. وفي المعاريض من الكلام سعة عن الكذب.

وفيما يلي أهم الدوافع التي كانت وراء تقدم علم التعمية عند العرب:

أولاً: قيام العرب بترجمة قدر كبير من علوم الحضارات السابقة والمعاصرة لهم. فقد اضطروا أثناء عملهم هذا إلى استخراج المعمى من تلك العلوم، وخصوصًا في مواضيع الكيمياء والسحر والديانات وعلم الباطن.

ثانيًا: حاجة الدولة العربية إلى إدارة فعالة، وتطورُ الكتابة والدواوين والتَّرَسُّل (إنشاء الرسائل)، وتَعَرُّض الدولة العربية لهجمات أجنبية مغولية وصليبية.

ثالثًا: انتشار الكتابة والقراءة في العالم العربي والإسلامي. ذلك أن كثيرًا من المؤرخين لعلم التعمية يرون أن عدم انتشار الكتابة والقراءة على نطاق واسع في حضارات المصريين القدماء والصينيين والهنود والبابليين وغيرهم، كان أحد العوامل المهمة التي لم تتطلب إخفاء مضمون الرسائل، ومن ثَم لم تستدع قيام علوم التعمية وحَلِّ المعمى لديهم.

- **ما العوامل التي أسهمت في تطوير علم التعمية واستخراجِ المعمى؟**

ثمة عاملان أساسيان:

أولاً: اعتناء العرب باللغة وعلومها عناية بالغة، فتوصّلوا إلى كثير من النتائج العلمية المهمة، في المجالات التي **تسمى اليوم باللسانيات**. فقد أجْرَوا دراساتٍ كميةً وإحصائيةً على الحروف ومخارجها وصفاتها، وتواترها وتنافرها وتمازجها، وتعمقوا في دراسة الصرف وأوزانه، والنحو وقوانينه، والدلالة وصِلَتِها بغيرها... وكانوا – فضلاً على ذلك – أول من وضع المعاجم وعلومَها.

إن تقدم العرب في **علوم اللسان** ساعد كثيرًا على تطور علم التعمية واستخراجِ المعمى.

ثانيًا: تَقدُّم العرب في علوم الرياضيات، وتحقيقُهم كثيرًا من الكشوف في هذه المجالات.

لقد كانت نتيجة ذلك أن صارت بين أيدي العرب الأدوات المساعدة الضرورية لتقدم علم التعمية واستخراجِ المعمى. فَهُم أول من ابتكر علم الجبر

والمقابلة، وتقدموا كثيرًا في علوم الحساب والهندسة وغيرها.

- **طرق التعمية الأساسية.**

يمكن إرجاع مختلِف الطرق إلى إحدى طريقتين:

أ – تعمية المعاني بالتورية: وهي لا تتبع قواعد محددة، بل تعتمد على فطنة المتراسلين وخبرتهم وثقافتهم. وهي إلى العمل الأدبي أو البديعي أقرب منها إلى التعمية بالمفهوم العلمي. [وكانت تسمى قديمًا **اللحن**، وهو أن تريد شيئًا فَتُوَرِّي عنه بقول آخر. ولعله – بهذا المفهوم – يكوِّن المعْلَم الأول للتعمية. وقد صنّف ابن دريد (ت ٣٢١هـ) كتابًا سمّاه الملاحِن].

ومن أعلام فنّ **المعمى البديعي**:

١– أحمد بن عبد النور المالقي (٦٣٠– ٧٠٢هـ؛ ١٢٢٣– ١٣٠٢) صاحب كتاب «رصف المباني في شرح حروف المعاني».

٢– محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (١١٤٥– ١٢٠٥هـ؛ ١٧٣٢– ١٧٩١) صاحب معجم «تاج العروس». له رسائل في أصول المعمى.

٣– طاهر بن صالح الجزائري (١٢٦٨– ١٣٣٨هـ؛ ١٨٥٢– ١٩٢٠) له كتاب «تسهيل المجاز إلى فنِّ المعمَّى والألغاز».

ب – التعمية بمعالجة الحروف: وتقوم على اتباع طرق تلزمُ قواعدَ محددةً تخصّ كلاً منها. ويمكن تقسيمها إلى أربع طرق رئيسية هي:

– **التعمية بالقلب** transposition: وتكون بتغيير مواقع حروف الرسالة وَفْقَ قاعدة معينة. ويمكن أن يمثَّل عليها بقلب حروف كل كلمة في الرسالة. فنُعميّ «سافر خالد أمس» كما يلي: «رفاس دلاخ سمأ».

– **التعمية بالإعاضة أو التبديل** substitution: وذلك بأن يُبْدل بكل حرف حرفٌ أو رمزٌ آخرُ وفق قاعدة محددة، كأنْ يُستبدل بكل حرف في الرسالة الحرفُ الذي يليه في الترتيب الأبجدي (أبجد هوز...). فتُستبدل الباء بكل ألف، والجيم

بكل باء، والدال بكل جيم... وهكذا إلى أن تنقضي حروف الرسالة. فنعمّي «سافر خالد» كما يلي: «عبصش ذبمه».

– **التعمية بزيادة حروف أو كلمات أغفال**[٥] nulls**، أو بحذف حروف.**

مثال ذلك أن تزيد حرفَ القاف مثلاً بعد كل ميم، وحرف الشين بعد كل لام ... إلخ، فنعمّي «محمد والد علي» كما يلي: «مقحمقد والشد علشي».

– **التعمية المركَّبة:** وتكون باستعمال طريقتين أو أكثر من الطرق الثلاث السابقة في آنٍ واحد، فإذا استعملنا الطريقتين الأولى والثانية في تعمية الجملة «محمد والد علي» كانت الترجمةُ «هنمطن همبز كمف».

- **بعض طرق حَلِّ التعمية:**

ثمة أربعة مبادئ أساسية في حلّ التعمية أو استخراج المعمَّى، درج العرب على استعمالها، وبرعوا فيها براعة مدهشة في وقت مبكِّر. وهذه الطرق هي:

– استعمال عددِ الحروف، المستعملة لتحديد اللغة المعمَّاة.

– استعمال تواتر ورود الحروف في النص.

– استعمال تواتر ورودِ ثنائيات الحروف وثلاثيّاتها وغيرِها، أو ما سمَّوْه بائتلاف الحروف وتنافرِها.

– استعمال الفواتح التقليدية المحتَمَلَة للرسائل، وهو ما سُمّي حديثًا بالكلمة المحتَمَلَة الورود.

- **من أعلام التعمية العرب:**

– الخليل بن أحمد الفراهيدي، عاش في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي).

– جابر بن حيّان، عاش في القرن الثاني الهجري.

– يعقوب بن إسحاق الكندي، عاش في القرن الثالث الهجري.

---

(5) جمع غُفْل، وهي حروف أو كلمات زائدة تُقحم في حروف التعمية طلبًا للمبالغة فيها، وهذا ما يجعل استخراج المعمَّى عسيرًا. وهو مصطلح سبق الكِنْديُّ إلى إدخاله.

– أحمد بن علي بن وحشية، عاش في القرن الثالث الهجري.
– محمد بن أحمد بن محمد بن طباطبا، عاش في القرن الرابع الهجري.
– أحمد بن عبد العزيز الشنتمري، عاش في القرن السادس الهجري.
– إبراهيم بن محمد بن دنيْنير، عاش في القرن السابع الهجري.
– علي بن عدلان (المترجِم)، عاش في القرن السابع الهجري.
– علي بن محمد بن الدُّرَيْهم، عاش في القرن الثامن الهجري.
– أحمد بن علي القلقشندي، عاش في القرن التاسع الهجري.

- **كلمة عن رسالة الكندي في «استخراج المعمَّى» [ت ٢٦٠هـ، ٨٧٣م]**

هذه الرسالة أقدم ما وقع في أيدي الباحثين الثلاثة (د. مراياتي وزميليه) من آثارٍ في علم التعمية، وعلمِ استخراج المعمَّى – الذي يسمى في عصرنا خطأً «كسْرَ الشفرة» – إذ يعود تأليفها إلى أوائل القرن الثالث الهجري. وهي إلى هذا قد استكملت أسباب التأليف العلمي المنهجي في هذا الفن عمقًا وشمولاً، فأبرزتْه علمًا قائمًا بذاته، له أصوله وطرائقه المختلفة، التي يحتاج إلى التمرُّس بها كل من يُعنى بفكِّ المترجَم واستخراج المعمى.

وقد غدت هذه الرسالة المرجعَ الأول لأصحاب هذا العلم خلال حقبة من الزمن امتدت حتى منتصف القرن الثامن الهجري. فهذا ابن دُنَيْنير المتوفى سنة ٦٢٦هـ يعوِّل عليها في مؤلَّفه «مقاصدُ الفصول المترجِمة عن حلِّ الترجَمة». وكذلك ابنُ الدُّرَيْهم المتوفى سنة ٧٦٢هـ يفيد من تقسيماتها في كثير مما فَرَّعه من طرائق التعمية في رسالته «مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز».

ولأمرٍ ما، أتى عليها بعد ذلك حينٌ من الدهر لم تعد شيئًا مذكورًا، فباتت خبيئةً مجهولة، لا تَطُولها الأيدي ولا تذكرها المراجع؛ حتى **إن كبير مؤرِّخي التعمية** David Kahn **الذي نسَب علم التعمية إلى العرب، لم يعرفها ولم يُشِر إليها من قريبٍ أو بعيد**، بل لم يتعد اطلاعُه ما نقله القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١هـ عن ابن الدريهم في

«صُبح الأعشى»؛ إلى أن تسنَّى للباحثين الثلاثة الاطلاعُ عليها سنة ١٩٨١ في المكتبة السليمانية بإستانبول. فنهضوا بتحقيقها مع ما اجتمع لديهم من رسائل في هذا الفن، وكانت عاملاً أساسيًّا في تحقيق تاريخ علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، وتصحيح ما شابَ هذا التاريخَ من أغاليط لدى الكتّاب الغربيين.

أقسام الرسالة:

تشغل مخطوطة هذه الرسالة ١٢ صفحة، في كلٍّ منها ٣٢ سطرًا، وفي كل سطر نحو ١٧ كلمة.

استهل الكنديُّ رسالته واصفًا عمله بأنه «كتاب مما توجد به الحيلةُ إلى استخراج ما رُسم في الكتب المعمَّاة، واختصار ذلك في وجيزٍ من القول». وقد أوفى على غايته في مختصره هذا، فأتى على ذكر كل ما يتعلق بِعلمَيْ التعمية واستخراجِ المعمى، على نحوٍ يحيط بالموضوع من أطرافه، وينفذ إلى خفاياه وأسراره. ويمكن تقسيم الرسالة إلى خمسة فصول:

١- سبل استخراج المعمى.
٢- أنواع التعمية العظام.
٣- مناهج استخراج بعض أنواع التعمية.
٤- دوران الحروف ومراتبها في اللغة العربية.
٥- اقتران الحروف وامتناعه في اللغة العربية.

وقد أوضح محققو الرسالة أصالة ما جاء به الكندي في ضوء ما جَدَّ في علم التعمية واستخراج المعمَّى.

- **كلمة عن رسالة عليِّ بنِ عدلانَ النَّحْويّ:**

«المؤلَّف للملك الأشرف» ٥٨٣- ٦٦٦هـ، ١١٨٧- ١٢٦٨م، لابن عدلان تجربة عملية في استخراج المعمى أو ما أسماه (حَلَّ المترجَم). فهو جليس ملوك وأمراء، وله نتاج علمي في هذا الفن: فهو صاحب كتابين: (المعْلِم) و(المؤلَّف

للملك الأشرف).

هذه الرسالة يمكن وصفها بأنها «دليل» manual أو hand book.

وقد جاء وضعُها تحقيقًا لرغبة الملك الأشرف، ملك دمشق آنذاك.

قسم ابن عدلان رسالته إلى: فاتحة، وعشرين قاعدة، وخاتمة.

تحوي الفاتحة ثلاثة مواضيع: عُدَّةُ المترجِم؛ ذِكر أمثلة على الترجمة بالتبديل البسيط؛ دراسةٌ في اقتران الحروف لبناء الكلمة العربية.

– أما القواعد فتشتمل على تسعة مواضيع:

١– الطريقة التحليلية لحلّ الترجمة (القواعد: ١، ٢، ٣).

٢– استخراج الفصل (القاعدة: ٤).

٣– استخراج «ال» وما حولها من حروف (القواعد: ٥، ٦، ٧).

٤– الكلمة المحْتَمَلَة (القاعدة: ٨).

٥– استعمال حروف أوائل الكلمات وأواخرها (القاعدتان: ٩ و١٠).

٦– استعمال المضاعف من الحروف أو من ثنائيات الحروف (القواعد: ١١، ١٣، ١٤، ١٥).

٧– حَلُّ المدْمَج (القاعدة: ١٢).

٨– حلُّ المعمَّى من الشِّعْر (القاعدتان ١٦، ١٧).

٩– خلاصة وفوائد (القواعد: ١٨، ١٩، ٢٠).

وأما الخاتمة فتدور حول موضوع واحد هو: الدُّرْبَةُ والتَمرُّن من خلال مثالٍ عملي.

- **كلمة عن رسالة ابن الدُّرَيْهم:**

«مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز» ٧١٢– ٦٧٢هـ؛ ١٣١٢– ١٣٦١م.

تعدُّ هذه الرسالة من أوسع ما عثر عليه الباحثون المحققون (د. مراياتي وزميلاه) من مخطوطات، وأكثرِها تفصيلاً للمعروف من هذا العلم في تلك الحقبة. وهي تدلُّ أيضًا على ممارسة ابن الدريهم ومعاناته لهذا العلم عمليًّا، خاصةً أنه عَمِل في خدمة

بعض الملوك مثل السلطان الملك الناصر الذي بعثه رسولاً إلى ملِك الحبشة.

– ذكر ابن الدريهم في مقدمة رسالته هذه بعض ما ألَّفه في التعمية. فقد صنّف أولاً كتابَهُ «إيضاح المبهَم في حلِّ المترجَم»؛ ثم اختصره، فغبر عليه حينٌ من الدهر ذهب به. ثم نظم قدرًا كافيًا مما علِقَ ذهنَه من قواعد هذا الفن وضوابطه امتثالاً لرغبةِ وجيهٍ «يجب امتثال قَصْدِه، ولا سبيل إلى ردِّه». ثم جعل هذه الرسالة حاشية عليه.

اشتملت رسالة ابن الدريهم على خمسة أمور – سمّاها الباحثون فصولاً – جاءت بعد المقدمة تباعًا، وهي:

١– ما لابد منه لمن يعاني علمَ حلِّ الترجمة.

٢– ضروب التعمية.

٣– مقدمة صرفية.

٤– منهجية حلِّ الترجمة.

٥– مثالان عمليان في حلِّ الترجمة.

لخَّص ابن الدريهم في الفصل الأول ما يحتاج إليه المترجِم من معرفة:

١– اللغة التي يروم حلَّ قلمها أو ما يترجَم بلسانها. (القلم: الخط).

٢– قواعد اللغة.

٣– ما هو من الحروف أكثر وقعًا ودورانًا.

٤– ما هو مُقَطَّع الحروف أو موصولها.

٥– عدد حروف كل لغة.

٦– الألفبائيات والأبجديات.

٧– ضروب التعمية.

إن الوقوف على عدد حروف اللغات جِدُّ مُهمٍّ في حلِّ الترجمة. وسعةُ اطلاع ابن الدريهم على كثير من لغات عصره (١٥ لغة) أمكنتْه من معرفة أقصر الأقلام وأطولِها، ومبلغِ حروف كل منها.

أما الفصل الثاني فأورد فيه ابن الدريهم من ضروب التعمية ثمانيةَ أبواب:

١- باب المقلوب.

٢- باب الإبدال.

٣- باب زيادة عدد الحروف أو نقصانها.

٤- باب استخدام الأدوات cipher devices.

٥- باب إبدال أعداد الجُمَّل بالحروف.

٦- باب تعمية الحروف بالكلمات.

٧- باب جعل الحروف على أسماء الأجناس (ذو رباط وشرح).

٨- باب استعمال أشكال مخترعة لرسم الحروف.

- **بقية الرسائل المحقَّقة**.

إضافة إلى الرسائل الثلاث التي درسها المحققون الثلاثة وأوردوها في الجزء الأول من كتابهم، درسوا وعرضوا في الجزء الثاني ثماني رسائل مخطوطة، ثلاث منها في تعمية **المنثور**، وواحدة في تعمية **المنثور والمنظوم**، وأربع في تعمية **المنظوم**.

أولاً – تعمية المنثور:

عثر الباحثون على مقالتين **مجهولتي المؤلِّف**. عنوان الأولى: «في جُمل القول على حلِّ التراجم المسهِّلة المستحسَنة إلى الخروج». وعنوان الثانية: «في استنباط التراجم العويصة الغامضة المسدَّدة». المقالتان مهمتان جدًّا وفي غاية الإيجاز. وهذا ما عبَّر عنه المؤلِّف في عنوان الأولى. والراجح أن المقالتين كُتبتا في القرنين الرابع والخامس الهجريين. فقد أشار ابن دُنَيْنِيْر (٥٨٣- ٦٢٧هـ) إليهما في كتابه «مقاصد الفصول المترجِمة عن حلِّ الترجَمة». وأشار إلى مؤلفهما بالتركيب الإضافي المألوف آنذاك، وهو (صاحب المقالتين). ويبدو أن ابن دُنَينير استعمل هذا التركيب لأن صاحب المقالتين كان مجهولاً منذ ذلك الوقت.

- **كلمة عن الرسائل الثلاث:**

❖ جاءت المقالة الأولى في فقرات خمس:

١– ما يحتاج إليه المستخرِج.

٢– طرق الاستخراج غير المعتمدة على التحليل الإحصائي.

٣– طرق الاستخراج المعتمدة على إحصاء الأشكال.

٤– مثال على استخراج نصٍّ معمًّى.

٥– خاتمة وفوائد.

❖ وجاءت المقالة الثانية في خمس فقرات أيضًا:

١– طرق استخراج التراجم العويصة.

٢– استخراج الترجمة بالتبديل البسيط وللأَلِف شكلان.

٣– استخراج الترجمة ذات الأشكال القريبة التواتر.

٤– التراجم التي لا تجيب.

٥– الملحق.

❖ أما كتاب «**البرهان في وجوه البيان**» لإسحاق بن وهب الكاتب، (قرابة القرن الرابع الهجري)، فقسمه المحققون إلى مقدمة وخمسة فصول هي:

١– الحروف وصورها.

٢– الترجمة والتعمية وطرقهما.

٣– مبادئ استخراج الترجمة والتعمية.

٤– نبذة من استخراج المعمَّى من الشِّعر.

٥– طريقة للتعمية.

ثانيًا: تعمية المنثور والمنظوم:

درس الباحثون كتاب ابن دُنَيْنير (٥٨٣– ٦٢٧هـ): «مقاصد الفصول المترجِمة عن حلِّ الترجمة»، وهو كتاب أوفى على الغاية غنىً في المعلومات، وإحكامًا للطرائق والمنهجيات، وتنظيمًا لقضايا عِلمَيْ الترجمة وحلِّها. وقد عوَّل المؤلِّف كثيرًا على رسالة الكندي، ونقل عن صاحب المقالتين (المجهولِ كما ذكرنا) وأفاد من

كتاب ابن طباطبا الموسوم بـ (رسالة في استخراج المعمى). ويقع كتاب ابن دنينير في قسمين كبيرين، يضم الأول أربعة أبواب هي:

١- سبل استخراج المعمَّى وعُدَّته.

٢- أقسام التعمية وضروبها.

٣- مناهج استخراج المعمّى.

٤- استخراج التعمية.

ويضم الثاني خمسة أبواب هي:

١- عُدَّة استخراج المعمَّى من الشعر.

٢- علم العروض.

٣- علم القوافي.

٤- علم البصر في الكتابة.

٥- متفرقات ينبغي التنبه عليها.

ثالثًا: تعمية المنظوم:

١- رسالة أبي الحسن بن طباطبا (- ٣٢٢هـ).

قال عنه صاحب معجم الأدباء: «إنه شيخ من شيوخ الأدب، وشاعر مُفْلِق، وعالم محقق، شائع الشعر، نبيه الذكر، عُرف بالذكاء والفطنة وصفاء القريحة وصحَّة الذهن وجودة المقاصد». لذا صار مرجعًا، فكثُر الاقتباس منه والإحالة عليه.

لقد سبق الباحثين إلى تحقيق هذه الرسالة الدكتور محمد بن عبد الرحمن الهدلق ونَشَرها سنة ١٩٨٨ في مجلة معهد المخطوطات العربية. ورأى الباحثون ضرورة نشْرِها في كتابهم مع بقية الرسائل.

قسم الباحثون هذه الرسالة إلى خمسة فصول:

١- ما يُستعان به لاستخراج المعمى من النثر والشعر.

٢- استخراج المعمّى من الشعر المنظوم.

٣- من طرق التعمية بالتبديل البسيط.

٤- مثال على تعمية الشعر.

٥- مثال على إدارة الترجمة في الشعر.

ب–رسالة في استخراج المعمى من الشعر، مجرَّدة من كتاب(أدب الشعراء):

المؤلِّف **مجهول الاسم**، ويبدو أنها جاءت بعد رسالة ابن طباطبا، وسبقت رسالة ابن الدنينير لأنها أفادت من الأولى، وكانت من موارد الثانية.

قسم الباحثون هذه الرسالة إلى تسعة فصول هي:

١- تعريفات (معنى قولهم فلان يستخرج المعمى من الشعر).

٢- شروط الاستخراج وأدواته (طريقة إخراجه).

٣- علم العروض.

٤- علم القوافي.

٥- التبصّر في الكتابة.

٦- عود إلى أهمية الوزن.

٧- مُعوّقات الاستخراج.

٨- أمثلة.

٩- ملاحق.

ج– من كتاب الجُرهُمي.

هو محمد بن الحسن أبو الحسن الجرهمي، **مجهول المولد والوفاة.**

يعرض المؤلف استخراج المعمى من الشعر، اعتمادًا على المعرفة بالقوافي والحروف التي تتألف منها. وهو يفرّق بين مصطلحات ثلاثة:

فالحروف التي تأتي ردفًا هي حروف المدّ الثلاثة.

والحروف التي تأتي رَوِيًّا هي كل الحروف.

والحروف التي تأتي وصلاً هي حروف المد الثلاثة إضافة إلى الهاء.

ويورد أمثلة لشرح أفكاره.

د– من رسالة أبي الحسن محمد بن الحسن الجُرهُمي:

تناول المؤلف في هذه الرسالة تعمية النثر، غير أن الأمثلة التي أوردها كانت من الشعر. وظاهر من العنوان (من رسالة أبي الحسن...) ومن مستهل الحديث أن النص مقتطع أو جزء من رسالة أكبر منه. ويتضمن النص الذي نظر فيه المحقِّقون موضوعات مهمةً يمكن إيجازها فيما يأتي:

١– أن يقصد المعمّي إلى تكثير ما يقلّ وجوده من الحروف في اللغة، وتقليل ما يكثر وجوده في نصّه المعمّى.

٢– تقسيم الحروف إلى خمس طبقات تبعًا لترددها في محاورات الناس.

٣– الاستعانة في الاستخراج بما يرد أوائل الكلمات وأواخرها.

٤– الاستعانة على استنباط الحروف بالمعرفة باستخراج المزدوجات والثلاثيات (معرفة تباديل الحروف في الثنائي والثلاثي والرباعي).

٥– كيفية استخراج المزدوجات والثنائيات.

٦– طول النص وأثره في استخراج المعمى، لأن قِصر النص يجعل استخراجه مستحيلاً.

(أنباء مجمعية وثقافية)

[١]

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في مطلع عام ٢٠٠٨م (ذو الحجة ١٤٢٨هـ (

أ – الأعضاء

	تاريخ دخول المجمع		تاريخ دخول المجمع
الدكتور شاكر الفحام	١٩٧١	الأستاذ جورج صدقني	١٩٩١
«رئيس المجمع»		الأستاذ سليمان العيسى	١٩٩١
الدكتور محمد هيثم الخياط	١٩٧٦	الدكتورة ليلى الصباغ	٢٠٠٠
الدكتور عبد الكريم اليافي	١٩٧٦	الدكتور محمد الدالي	٢٠٠٠
الدكتور محمد إحسان النص	١٩٧٩	الدكتور محمد مكي الحسني	٢٠٠١
الدكتور محمد مروان المحاسني	١٩٧٩	الدكتور محمود السيد	٢٠٠١
«نائب رئيس المجمع»		الأستاذ شحادة الخوري	٢٠٠٢
الدكتور عبد الله واثق شهيد	١٩٨٨	الدكتور موفق دعبول	٢٠٠٢
«أمين المجمع»		الدكتور محمد عزيز شكري	٢٠٠٣
الدكتور محمد زهير البابا	١٩٨٨	الدكتور مازن المبارك	٢٠٠٦

* * *

ب– الأعضاء المراسلون في البلدان العربية(*)

	تاريخ دخول المجمع
المملكة الأردنية الهاشمية	
الدكتور ناصر الدين الأسد	١٩٦٩
الدكتور سامي خلف حمارنة	١٩٧٧
الدكتور عبد الكريم خليفة	١٩٨٦
الدكتور محمود السمرة	١٩٨٦
الدكتور نشأت حمارنة	٢٠٠٢
الدكتور عدنان بخيت	٢٠٠٢
الدكتور علي محافظة	٢٠٠٢
الجمهورية التونسية	
الأستاذ محمد المزالي	١٩٧٨
الدكتور محمد الحبيب بلخوجة	١٩٨٦
الدكتور محمد السويسي	١٩٨٦
الدكتور رشاد حمزاوي	١٩٨٦
الأستاذ أبو القاسم محمد كرو	١٩٩٣
الدكتور إبراهيم شبوح	١٩٩٣
الدكتور إبراهيم بن مراد	١٩٩٣
الدكتور سليم عمار	١٩٩٣
الدكتور عبد الوهاب بوحديبة	٢٠٠٠
الدكتور صالح الجابري	٢٠٠٠
الدكتور عبد السلام المسدّي	٢٠٠٢
الدكتور عبد اللطيف عبيد	٢٠٠٢

	تاريخ دخول المجمع
الجمهورية الجزائرية	
الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي	١٩٧٢
الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح	١٩٧٧
الدكتور أبو القاسم سعد الله	١٩٩٢
الدكتور عبد الملك مرتاض	٢٠٠٢
الدكتور العربي ولد خليفة	٢٠٠٢
الدكتور صالح بلعيد	٢٠٠٧
المملكة العربية السعودية	
الأستاذ حسن عبد الله القرشي	١٩٩٢
الأستاذ عبد الله بن خميس	١٩٩٢
الدكتور أحمد محمد الضبيب	٢٠٠٠
الدكتور عبد الله صالح العثيمين	٢٠٠٠
الدكتور عبد الله الغذامي	٢٠٠٠
الدكتور عوض القوزي	٢٠٠٠
الدكتور عبد الله بن الرحيم عسيلان	٢٠٠٧
جمهورية السودان	
الأستاذ سر الختم الخليفة	١٩٩٣
الأستاذ حسن فاتح قريب الله	١٩٩٣
الأستاذ علي أحمد بابكر	٢٠٠٧
(رئيس المجمع)	

(*) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني.

	تاريخ دخول المجمع
الجمهورية العربية السورية	
الدكتور صلاح الدين المنجد	١٩٩٢
الدكتور عبد الله عبد الدايم	١٩٩٢
الدكتور عبد الكريم الأشتر	١٩٩٢
الدكتور عمر الدقاق	١٩٩٢
الدكتور أحمد دهمان	٢٠٠٠
الدكتور عبد السلام الترمانيني	٢٠٠٠
الدكتور عدنان تكريتي	٢٠٠٠
الدكتور عدنان حموي	٢٠٠٠
الدكتور عدنان درويش	٢٠٠٠
الدكتور عمر موسى باشا	٢٠٠٠
قداسة البطريرك مار اغناطيوس زكا الأول عيواص	٢٠٠٠
الدكتور محمد مراياتي	٢٠٠٠
الدكتور محمود فاخوري	٢٠٠٠
الأستاذ مدحة عكاش	٢٠٠٠
الدكتور رضوان الداية	٢٠٠٢
الدكتور صلاح كزارة	٢٠٠٢
الدكتور عبد الإله نبهان	٢٠٠٢
الدكتور عبد الكريم رافق	٢٠٠٢
الدكتور علي أبو زيد	٢٠٠٢
الدكتور علي عقلة عرسان	٢٠٠٢
الدكتورة فاتن محجازي	٢٠٠٢
الدكتور محمد حسان الطيان	٢٠٠٢
الدكتور محمود الربداوي	٢٠٠٢
الأستاذ مروان البواب	٢٠٠٢
الدكتور يحيى مير علم	٢٠٠٢

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور أحمد الحاج سعيد	٢٠٠٧
الدكتور برهان العابد	٢٠٠٧
الدكتور صادق فرعون	٢٠٠٧
الدكتور عبد الحليم منصور	٢٠٠٧
الدكتور عماد صابوني	٢٠٠٧
الجمهورية العراقية	
الدكتور عبد اللطيف البدري	١٩٧٣
الدكتور جميل الملائكة	١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز الدوري	١٩٧٣
الدكتور محمود الجليلي	١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز البسام	١٩٧٣
الدكتور يوسف عز الدين	١٩٧٣
الدكتور حسين علي محفوظ	١٩٩٣
الدكتور ناجح الراوي	٢٠٠٠
الدكتور أحمد مطلوب	٢٠٠٠
الدكتور محمود حياوي حماش	٢٠٠٢
الدكتور هلال ناجي	٢٠٠٢
الدكتور بشار عواد معروف	٢٠٠٢
الدكتور داخل حسن جريو (رئيس المجمع)	٢٠٠٧
الدكتور علي القاسمي	٢٠٠٧
الدكتور صلاح مهدي الفرطوسي	٢٠٠٧
فلسطين	
الدكتور أحمد حسن حامد (رئيس المجمع)	٢٠٠٧

	تاريخ دخول المجمع
الكويت	
الدكتور عبد الله غنيم	١٩٩٣
الدكتور خالد عبد الكريم جمعة	١٩٩٣
الدكتور علي الشملان	٢٠٠٠
الدكتور سليمان العسكري	٢٠٠٠
الدكتور سليمان الشطي	٢٠٠٠
الأستاذ عبد العزيز البابطين	٢٠٠٢
الجمهورية اللبنانية	
الدكتور فريد سامي الحداد	١٩٧٢
الدكتور محمد يوسف نجم	١٩٩٣
الدكتور عز الدين البدوي النجار	٢٠٠٠
الدكتور أحمد شفيق الخطيب	٢٠٠٢
الدكتور جورج عبد المسيح	٢٠٠٢
الجماهيرية الليبية	
الدكتور علي فهمي خشيم	١٩٩٣
الدكتور محمد أحمد الشريف	١٩٩٣
جمهورية مصر العربية	
الدكتور رشدي الراشد	١٩٨٦
الأستاذ وديع فلسطين	١٩٨٦
الدكتور كمال بشر	١٩٩٢
الدكتور محمود علي مكي	١٩٩٣
الدكتور أمين علي السيد	١٩٩٣
الأستاذ مصطفى حجازي	١٩٩٣
الأستاذ محمود فهمي حجازي	١٩٩٣

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور جابر عصفور	٢٠٠٠
الدكتور حسين نصار	٢٠٠٢
الدكتور عبد الحافظ حلمي	٢٠٠٠
الدكتور عز الدين إسماعيل	٢٠٠٠
الدكتور محمود حافظ	٢٠٠٠
الدكتور فاروق شوشة	٢٠٠٢
الدكتورة وفاء كامل فايد	٢٠٠٢
الدكتور نبيل علي	٢٠٠٧
المملكة المغربية	
الأستاذ أحمد الأخضر غزال	١٩٧٨
الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله	١٩٨٦
الدكتور عبد الهادي التازي	١٩٨٦
الدكتور محمد بن شريفة	١٩٨٦
الدكتور عباس الجراري	١٩٩٣
الأستاذ عبد الوهاب بن منصور	١٩٩٣
الأستاذ محمد المكي الناصري	١٩٩٣
الدكتور عبد اللطيف بربيش	٢٠٠٠
الأستاذ عبد القادر زمامة	٢٠٠٢
الدكتور الشاهد البوشيخي	٢٠٠٢
الجمهورية العربية اليمنية	
الأستاذ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع	١٩٨٥
الدكتور عبد العزيز مقالح	٢٠٠٠

ج- الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

	تاريخ دخول المجمع
الاتحاد السوفييتي «سابقاً»	
الدكتور غريغوري شرباتوف	١٩٨٦
أزبكستان	
الدكتور نعمة الله إبراهيموف	١٩٩٣
إسبانية	
الدكتور خيسوس ريو ساليدو	١٩٩٢
ألمانية	
الدكتور رودلف زلهايم	١٩٩٢
الدكتور فولف ديتريش فيشر	٢٠٠٢
إيران	
الدكتور فيروز حريرجي	١٩٨٦
الدكتور محمد باقر حجتي	١٩٨٦
الدكتور مهدي محقق	١٩٨٦
الدكتور محمد علي آذر شب	٢٠٠٢
الدكتور محمد علي التسخيري	٢٠٠٢
الدكتور محمد مهدي الآصفي	٢٠٠٢
الدكتور هادي معرفت	٢٠٠٢
باكستان	
الأستاذ محمود أحمد غازي الفاروقي	١٩٨٦
الدكتور أحمد خان	١٩٩٣

	تاريخ دخول المجمع
البوسنة والهرسك	
الدكتور أسعد دراكوفيتش	٢٠٠٢
الدكتور فتحي مهدي	٢٠٠٢
الدكتور محمد أرناؤوط	٢٠٠٢
تركية	
الدكتور فؤاد سزكين	١٩٧٧
الدكتور إحسان أكمل الدين أوغلو	١٩٨٦
رومانية	
الدكتور نقولا دويرشيان	٢٠٠٢
الصين	
الأستاذ عبد الرحمن ناجونغ	١٩٨٥
الدكتورة أمل قوه شوه هوه	٢٠٠٧
فرنسة	
الأستاذ أندره ميكيل	١٩٨٦
الأستاذ جاك لانغاد	١٩٩٣
الأستاذ جورج بوهاس	١٩٩٣
الأستاذ جيرار تروبو	١٩٩٣
الهند	
الدكتور مختار الدين أحمد	١٩٨٥
الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي	٢٠٠٢

[٢]

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

أ– رؤساء المجمع الراحلون

رئيس المجمع	مدة تولّيه رئاسة المجمع
الأستاذ محمد كرد علي	(١٩١٩ – ١٩٥٣)
الأستاذ خليل مردم بك	(١٩٥٣ – ١٩٥٩)
الأمير مصطفى الشهابي	(١٩٥٩ – ١٩٦٨)
الأستاذ الدكتور حسني سبح	(١٩٦٨ – ١٩٨٦)

* * *

ب– أعضاء مجمع اللغة العربية الراحلون

١– الأعضاء

	تاريخ الوفاة
الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
الأستاذ إلياس قدسي	١٩٢٦
الأستاذ سليم البخاري	١٩٢٨
الأستاذ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
الأستاذ سليم عنحوري	١٩٣٣
الأستاذ متري قندلفت	١٩٣٣
الشيخ سعيد الكرمي	١٩٣٥
الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٥
الأستاذ معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
الأستاذ محسن الأمين	١٩٥٢
الأستاذ محمد كرد علي «رئيس المجمع»	١٩٥٣
الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥
الأستاذ محمد البزم	١٩٥٥
الشيخ عبد القادر المغربي «نائب رئيس المجمع»	١٩٥٦
الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	١٩٥٦
الأستاذ خليل مردم بك «رئيس المجمع»	١٩٥٩
الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
الأستاذ عز الدين التنوخي «نائب رئيس المجمع»	١٩٦٦
الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي «رئيس المجمع»	١٩٦٨
الأمير جعفر الحسني «أمين المجمع»	١٩٧٠
الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢
الأستاذ عارف النكدي	١٩٧٥
الأستاذ محمد بهجة البيطار	١٩٧٦
الدكتور جميل صليبا	١٩٧٦

	تاريخ الوفاة		تاريخ الوفاة
الدكتور أسعد الحكيم	١٩٧٩	الأستاذ أحمد راتب النفاخ	١٩٩٢
الأستاذ شفيق جبري	١٩٨٠	الأستاذ المهندس وجيه السمان	١٩٩٢
الدكتور ميشيل الخوري	١٩٨٠	الدكتور عدنان الخطيب	
الأستاذ محمد المبارك	١٩٨١	«أمين المجمع»	١٩٩٥
الدكتور حكمة هاشم	١٩٨٢	الدكتور مسعود بوبو	١٩٩٩
الأستاذ عبد الكريم زهور عدي	١٩٨٥	الدكتور محمد بديع الكسم	٢٠٠٠
الدكتور شكري فيصل		الدكتور أمجد الطرابلسي	٢٠٠١
«أمين المجمع»	١٩٨٥	الدكتور مختار هاشم	٢٠٠٢
الدكتور محمد كامل عياد	١٩٨٦	الدكتور عبد الوهاب حومد	٢٠٠٢
الدكتور حسني سبح		الدكتور عادل العوا	٢٠٠٢
«رئيس المجمع»	١٩٨٦	الأستاذ محمد عاصم بيطار	٢٠٠٥
الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٨٨	الدكتور عبد الحليم سويدان	٢٠٠٦
		الدكتور محمد عبد الرزاق قدورة	٢٠٠٧

* * *

٢- الأعضاء المراسلون الراحلون من الأقطار العربية(*)

تاريخ الوفاة

المملكة الأردنية الهاشمية

الأستاذ محمد الشريقي	١٩٧٠
الدكتور محمود إبراهيم	١٩٩٩

الجمهورية التونسية

الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب	١٩٦٨
الأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور	١٩٧٠
الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور	١٩٧٣
الأستاذ عثمان الكعاك	١٩٧٦
الدكتور سعد غراب	١٩٩٥

الجمهورية الجزائرية

الشيخ محمد بن أبي شنب	١٩٢٩
الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي	١٩٦٥
محمد العيد محمد علي خليفة	١٩٧٩
الأستاذ مولود قاسم	١٩٩٢
الأستاذ صالح الخرفي	١٩٩٨

المملكة العربية السعودية

الأستاذ خير الدين الزركلي	١٩٧٦
الأستاذ عبد العزيز الرفاعي	١٩٩٣
الأستاذ حمد الجاسر	٢٠٠٠

تاريخ الوفاة

جمهورية السودان

الشيخ محمد نور الحسن	
الدكتور محيي الدين صابر	٢٠٠٣
الدكتور عبد الله الطيب	٢٠٠٣

الجمهورية العربية السورية

الدكتور صالح قنباز	١٩٢٥
الأب جرجس شلحت	١٩٢٨
الأب جرجس منش	١٩٣٣
الأستاذ جميل العظم	١٩٣٣
الشيخ كامل الغزي	١٩٣٣
الأستاذ جبرائيل رباط	١٩٣٥
الأستاذ ميخائيل الصقال	١٩٣٨
الأستاذ قسطاكي الحمصي	١٩٤١
الشيخ سلمان الأحمد	١٩٤٢
الشيخ بدر الدين النعساني	١٩٤٣
الأستاذ ادوارد مرقص	١٩٤٨
الأستاذ راغب الطباخ	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الجابري	١٩٥١
الشيخ محمد زين العابدين	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الكيالي	١٩٥٦

(*) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني.

	تاريخ الوفاة
الشيخ محمد سعيد العرفي	١٩٥٦
البطريرك مار اغناطيوس افرام	١٩٥٧
المطران ميخائيل بخاش	١٩٥٨
الأستاذ نظير زيتون	١٩٦٧
الدكتور عبد الرحمن الكيالي	١٩٦٩
الأستاذ محمد سليمان الأحمد «بدوي الجبل»	١٩٨١
الأستاذ عمر أبو ريشة	١٩٩٠
الدكتور شاكر مصطفى	١٩٩٧
الدكتور قسطنطين زريق	٢٠٠٠
الدكتور خالد الماغوط	٢٠٠٠
الأستاذ عبد المعين الملوحي	٢٠٠٦
الدكتور عبد السلام العجيلي	٢٠٠٦

الجمهورية العراقية

الأستاذ محمود شكري الآلوسي	١٩٢٤
الأستاذ جميل صدقي الزهاوي	١٩٣٦
الأستاذ معروف الرصافي	١٩٤٥
الأستاذ طه الراوي	١٩٤٦
الأب انستاس ماري الكرملي	١٩٤٧
الدكتور داود الجلبي الموصلي	١٩٦٠
الأستاذ طه الهاشمي	١٩٦١
الأستاذ محمد رضا الشبيبي	١٩٦٥
الأستاذ ساطع الحصري	١٩٦٩
الأستاذ منير القاضي	١٩٦٩
الدكتور مصطفى جواد	١٩٦٩

	تاريخ الوفاة
الأستاذ عباس العزاوي	١٩٧١
الأستاذ كاظم الدجيلي	١٩٧٢
الأستاذ كمال إبراهيم	١٩٧٣
الدكتور ناجي معروف	١٩٧٧
البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث	١٩٨٠
الدكتور عبد الرزاق محيي الدين	١٩٨٣
الدكتور إبراهيم شوكة	١٩٨٣
الدكتور فاضل الطائي	١٩٨٣
الدكتور سليم النعيمي	١٩٨٤
الأستاذ طه باقر	١٩٨٤
الدكتور صالح مهدي حنتوش	١٩٨٤
الأستاذ أحمد حامد الصراف	١٩٨٥
الدكتور أحمد عبد الستار الجواري	١٩٨٨
الدكتور جميل سعيد	١٩٩٠
الأستاذ كوركيس عواد	١٩٩٢
الشيخ محمد بهجة الأثري	١٩٩٦
الأستاذ محمود شيت خطاب	١٩٩٨
الدكتور فيصل دبدوب	١٩٩٨
الدكتور إبراهيم السامرائي	٢٠٠١
الدكتور محمد تقي الحكيم	٢٠٠٢
الدكتور صالح أحمد العلي	.....

	تاريخ الوفاة
جمهورية مصر العربية	
الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	١٩٢٤
الأستاذ رفيق العظم	١٩٢٥
الأستاذ يعقوب صروف	١٩٢٧
الأستاذ أحمد تيمور	١٩٣٠
الأستاذ أحمد كمال	١٩٣٢
الأستاذ حافظ إبراهيم	١٩٣٢
الأستاذ أحمد شوقي	١٩٣٢
الأستاذ داود بركات	١٩٣٣
الأستاذ أحمد زكي باشا	١٩٣٤
الأستاذ محمد رشيد رضا	١٩٣٥
الأستاذ أسعد خليل داغر	١٩٣٥
الأستاذ مصطفى صادق الرافعي	١٩٣٧
الأستاذ أحمد الاسكندري	١٩٣٨
الدكتور أمين المعلوف	١٩٤٣
الشيخ عبد العزيز البشري	١٩٤٣
الأمير عمر طوسون	١٩٤٤
الدكتور أحمد عيسى	١٩٤٦
الشيخ مصطفى عبد الرازق	١٩٤٧
الأستاذ أنطون الجميل	١٩٤٨
الأستاذ خليل مطران	١٩٤٩
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	١٩٤٩
الأستاذ محمد لطفي جمعة	١٩٥٣
الدكتور أحمد أمين	١٩٥٤
الشيخ محمد الخضر حسين	١٩٥٨
الدكتور عبد الوهاب عزام	١٩٥٩
الدكتور منصور فهمي	١٩٥٩
الأستاذ أحمد لطفي السيد	١٩٦٣
الأستاذ عباس محمود العقاد	١٩٦٤
الأستاذ خليل ثابت	١٩٦٤
الأمير يوسف كمال	١٩٦٦
الأستاذ أحمد حسن الزيات	١٩٦٨
الدكتور طه حسين	١٩٧٣
الدكتور أحمد زكي	١٩٧٥
الأستاذ حسن كامل الصيرفي	١٩٨٤
الأستاذ محمد عبد الغني حسن	١٩٨٥
الأستاذ محمود محمد شاكر	١٩٩٧
الأستاذ إبراهيم الترزي	٢٠٠٢
الدكتور عبد القادر القط	٢٠٠٣
الدكتور أحمد مختار عمر	٢٠٠٣
الدكتور شوقي ضيف	٢٠٠٦
المملكة المغربية	
الأستاذ محمد الحجوي	١٩٥٦
الأستاذ عبد الحي الكتاني	١٩٦٢
الأستاذ علال الفاسي	١٩٧٣
الأستاذ عبد الله كنون	١٩٨٩
الأستاذ محمد الفاسي	١٩٩١
الأستاذ عبد الرحمن الفاسي	٢٠٠١

الأستاذ عبد الحميد العبادي ١٩٥٦

٣– الأعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الأخرى

	تاريخ الوفاة
الاتحاد السوفييتي	
«سابقاً»	
الأستاذ كراتشكوفسكي (أغناطيوس)	١٩٥١
الأستاذ برتل (ايفكني ادوارد دو فيتش)	١٩٥٧
إسبانية	
الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)	١٩٤٤
الأستاذ اميليو غارسيا غومز	١٩٩٥
ألمانية	
الأستاذ هارتمان (مارتين)	١٩٢٨
الأستاذ ساخاو (ادوارد)	١٩٣٠
الأستاذ هوروفيتز (يوسف)	١٩٣١
الأستاذ هوميل (فبريتز)	١٩٣٦
الأستاذ ميتفوخ (أوجين)	١٩٤٢
الأستاذ هرزفلد (أرنست)	١٩٤٨
الأستاذ فيشر (أوغست)	١٩٤٩
الأستاذ بروكلمان (كارل)	١٩٥٦
الأستاذ هارتمان (ريتشارد)	١٩٦٥
الدكتور ريتر (هلموت)	١٩٧١

	تاريخ الوفاة
إيران	
الشيخ أبو عبد الله الزنجاني	١٩٤٧
الأستاذ عباس إقبال	١٩٥٥
الدكتور علي أصغر حكمة	١٩٨١
الدكتور محمد جواد مشكور	١٩٩٥
إيطالية	
الأستاذ غريفيني (اوجينيو)	١٩٢٥
الأستاذ كايتاني (ليون)	١٩٢٦
الأستاذ غويدي (اغنازيو)	١٩٣٥
الأستاذ نلّينو (كارلو)	١٩٣٨
الأستاذ غبرييلّي (فرنسيسكو)	١٩٩٦
باكستان	
الأستاذ محمد يوسف البنوري	١٩٧٧
الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي	١٩٧٨
الأستاذ محمد صغير حسن المعصومي	١٩٩٦
البرازيل	
الدكتور سعيد أبو جمرة	١٩٥٤
الأستاذ رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي)	١٩٨٤
البرتغال	

	تاريخ الوفاة
بريطانية	
الأستاذ ادوارد (براون)	١٩٢٦
الأستاذ بفن (انطوني)	١٩٣٣
الأستاذ مرغليوث (د.س.)	١٩٤٠
الأستاذ كرينكو (فريتز)	١٩٥٣
الأستاذ غليوم (الفريد)	١٩٦٥
الأستاذ اربري (أ.ج.)	١٩٦٩
الأستاذ جيب (هاملتون أ.ر.)	١٩٧١
بولونية	
الأستاذ (كوفالسكي)	١٩٤٨
تركية	
الأستاذ أحمد اتش	
الأستاذ زكي مغامز	١٩٣٢
تشكوسلوفاكية	
الأستاذ موزل (ألوا)	١٩٤٤
الدانمرك	
الأستاذ بوهل (فرانز)	١٩٣٢
الأستاذ استروب (يحيى)	١٩٣٨
الأستاذ بدرسن (جون)	١٩٧٤
السويد	
الأستاذ سيترستين (ك.ف.)	١٩٥٣
الأستاذ لويس (دافيد)	١٩٤٢
	تاريخ الوفاة
سويسرة	
الأستاذ مونتة (ادوارد)	١٩٢٧
الأستاذ هيس (ح.ح)	١٩٤٩
فرنسة	
الأستاذ باسيه (رينه)	١٩٢٤
الأستاذ مالانجو	١٩٢٦
الأستاذ هوار (كليمان)	١٩٢٧
الأستاذ غي (ارثور)	١٩٢٨
الأستاذ ميشو (بلير)	١٩٢٩
الأستاذ بوفا (لوسيان)	١٩٤٢
الأستاذ فران (جبريل)	١٩٥٣
الأستاذ مارسيه (وليم)	١٩٥٦
الأستاذ دوسو (رينه)	١٩٥٨
الأستاذ ماسينيون (لويس)	١٩٦٢
الأستاذ ماسيه (هنري)	١٩٧٠
الدكتور بلاشير (ريجيس)	١٩٧٣
الأستاذ كولان (جورج)	
الأستاذ لاوست (هنري)	١٩٨٣
الأستاذ نيكيتا إيلييسف	١٩٩٧
فنلندة	
الأستاذ كرسيكو (يوحنا اهتنن)	

الأستاذ ديدرينغ سفن	١٩٨٦

	تاريخ الوفاة
المجر	
الأستاذ غولدزيهر (اغناطيوس)	١٩٢١
الأستاذ ماهلر (ادوارد)	
الأستاذ عبد الكريم جرمانوس	١٩٧٩
النروج	
الأستاذ موبرج	
النمسا	
الدكتور اشتولز (كارل)	
الأستاذ جير (رودلف)	١٩٢٩
الدكتور موجيك (هانز)	١٩٦١
الهند	
الحكيم محمد أجمل خان	١٩٢٧
الأستاذ آصف علي أصغر فيضي	١٩٨١

	تاريخ الوفاة
الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي	١٩٩٩
الدكتور عبد الحليم الندوي	٢٠٠٥
هولاندة	
الأستاذ هورغرونج (سنوك)	١٩٣٦
الأستاذ هوتسما (مارتينوس تيودوروس)	١٩٤٣
الأستاذ اراندونك (ك. فان)	١٩٤٧
الأستاذ شخت (يوسف)	١٩٧٠
الولايات المتحدة الأمريكية	
الدكتور مكدونالد (ب)	١٩٤٣
الأستاذ هرزفلد (ارنست)	١٩٤٨
الأستاذ سارطون (جورج)	١٩٥٦
الدكتور ضودج (بيارد)	١٩٧١

* * *

زيارة السيدة أسماء الأسد
عقيلة السيد رئيس الجمهورية
وسمو الشيخة موزة بنت ناصر المسند
حرم صاحب السمو أمير دولة قطر
للمجمع في ٢٥ / آذار / ٢٠٠٧م

في الخامس والعشرين من آذار زَهَا المجمع باستقبال السيدة أسماء الأسد، عقيلة السيد رئيس الجمهورية الدكتور بشار الأسد، وسمو الشيخة موزة بنت ناصر المسند، حرم صاحب السمو أمير دولة قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، والوفد المرافق لسموها المؤلف من: نائب رئيس مؤسسة قطر الدكتور عبد الله بن علي آل ثاني، ومدير جامعة قطر الدكتورة شيخة بنت عبد الله المسند، ومديرة هيئة التعليم الأستاذة صباح إسماعيل الهيدوس. ورافق الوفد سعادة الأستاذ ماجد غانم العلي سفير دولة قطر بدمشق.

استقبل الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع والدكتور محمد مروان المحاسني نائب رئيس المجمع والدكتور عبد الله واثق شهيد أمين المجمع السيدة أسماء الأسد وسمو الشيخة موزة والوفد المرافق لها أمام المدخل الجنوبي للمجمع المطلّ على «تورا » أحد فروع بردى، وتوجهوا بصحبتهم إلى قاعة المحاضرات الكبرى في المجمع حيث اصطف السادة أعضاء المجمع وكبار العاملين فيه وأعضاء الهيئة الفنية مرحبين بالضيفتين الكريمتين ومرافقيهما.

وابتدر السيد رئيس المجمع هذا اللقاء مرحباً بالضيوف الأكارم قائلاً:

سيادةَ السيدة أسماء الأسد عقيلة سيادة رئيس الجمهورية العربية السورية

الدكتور بشار الأسد.

صاحبة السمو الشيخة موزة بنت ناصر المسند حرم صاحب السمو أمير دولة قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني.

أيها السيداتُ والسادة الضيوف الأكارم

يسعدني أن أرحب أجمل الترحيب وأكرمه بالسيدتين العظيمتين: السيدة أسماء الأسد، وسمو الشيخة موزة المسند لتشريفهما مجمع اللغة العربية اليوم بزيارتهما الكريمة، فزَهَا المجمع وازدان، ومنحتاه فخرًا ومجدًا سيؤرَّخ له في تاريخ المجمع، وكنت أتمنى لو رُزقت اليوم بيان اللغة كله لأستطيع التعبير عما يجول في خَلَدي وقلبي من اعتزاز وسعادة، وقد شرف مجمعنا فحظي بهذه الزيارة الكريمة.

ولا يفوتني هنا أن أقدِّم خالصَ الترحيب وأجمله بسيادة السيدة أسماء الأسد وضيفتها، ضيفة سورية سمو الشيخة موزة المسند، التي جعلت ديدنها التركيز الكبير على تطوير ودعم العمل العلمي والثقافي والمجتمعي في دولة قطر الشقيقة، التي خَطَت بفضل رعايتها وعناية صاحب السمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني أمير دولة قطر أشواطًا كبيرة، مبشرة بأن تكون دولة قطر مركزًا لتطورٍ وإنجازات علمية كبيرة.

وإنه ليثلج صدري بعد هذه الزيارة الكريمة شعور بأنه لن يكون بعد اليوم مكانٌ لخوفنا الشديد وخشيتنا الكبيرة على لغتنا العربية الشريفة بعد أن نال مجمع اللغة العربية، الذي وَكْدُه وهمُّه حماية هذه اللغة الجميلة مما يُحيق بها من أخطار داهمة تعددت مصادرها، فمن طغيان العاميات، إلى سطوة اللغات الأجنبية وهجومها، وأخص منها الإنكليزية. ثم إلى ما هو أخطر من ذلك كله

وهو انصراف بعض أبناء العربية عنها، وزهدهم بهذه الهبة العظيمة التي هي طوع أيديهم، أقول إنني لأرجو ألا يكون بعد اليوم مكان لخوفنا وخشيتنا، وقد اطمأن المجمع بهذه الزيارة السامية الكريمة إلى الدعم الكامل لجهوده في حماية اللغة العربية، إذ إنها تدل على الإيمان الصادق العميق لدى سيادة رئيس الجمهورية والسيدة أسماء الأسد عقيلته بضرورة الحفاظ على لغتنا الحبيبة سليمةً قويةً واسعة الانتشار.

فاللغة هي الجامع الأمين لأمتنا من التفتت والضياع، والعاصم لها من الفرقة والتشتت، وانفراط عِقدها على مر الأيام، كما أنها الحافظة لتاريخ الأمة ومجدها ووحدتها.

وإن للغتنا الكريمة من الصفات، وقد عاشت أكثر من خمسة عشر قرنًا متألقة متجددة، ما يؤهلها لأن تستمر في العطاء، وأن تتجدد على الأيام، وأن تستوعب متطلبات العصر وعلومه، وتزهو بأنها لغة القرآن الكريم.

وختامًا: فإنه لفخر لي أن أُقدِّم باسم مجمع اللغة العربية بدمشق، أقدَمِ مجامع اللغة العربية وأعرقها، خالصَ الشكر وكل عرفان الجميل على الشرف العظيم والتقدير الكبير الذي حظي به اليوم بهذه الزيارة السامية، والتي ستمنحه القوة والعزم على متابعة جهوده وعمله في حماية اللغة العربية والحفاظ عليها.

أكرر ترحيبي وشكري وامتناني. وأدعو الآن السيد الأستاذ أمين المجمع ليعرض على مقامكم الرفيع نبذة من تاريخ مجمع اللغة العربية بدمشق فليتفضل.

ثم تحدث الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد، أمين المجمع، عن نشأة المجمع ومؤسسيه ورؤسائه وأعضائه، وأهم الأحداث التي مرت به والأعمال التي

قام بها، ورافق حديثه عرض مصور للمدرسة العادلية.

ثم قدم بعض المقترحات الهامة في تطوير العمل المجمعي والنهوض باللغة العربية وتسهيل استعمالها في المجتمع كله. ونظراً للأهمية البالغة لهذين الموضوعين اللذين عرض لهما السيد أمين المجمع، وما فيهما من فوائد للمهتمين باللغة العربية ومجمع دمشق، نثبت فيما يلي النص الكامل لكلمة السيد أمين المجمع في هذا اللقاء.

نشأة مجمع اللغة العربية بدمشق

سيادةَ أسماء الأسد عقيلة سيادة رئيس الجمهورية العربية السورية، سموَّ الشيخة موزة بنت ناصر المسند حرم صاحب السمو أمير دولة قطر، أيها السيدات والسادة الضيوف، يشرفني أن أحدثكم عن نشأة مجمعنا، أقدم مجامع اللغة العربية. ولقد اقتضى ازدحام برنامج زيارة سمو الشيخة معالم العلم والثقافة في سورية وغناه وضيق الوقت، أن أقصر حديثي على نشأة المجمع فقط.

أُسس المجمع في الشهر السادس من عام تسعة عشر وتسعمئة وألف، بكتابٍ من الحاكم العسكري علي رضا باشا الركابي، طلب فيه من رئيس ديوان المعارف محمد كرد علي تقسيم الديوان إلى قسمين، أحدهما يختص بشؤون اللغة والآثار والمكتبات ويسمى المجمع العلمي ويتولى هو إدارته، ويهتم الثاني بشؤون المدارس والمعارف العامة، ويتولى إدارته مدير المعارف العام.

كان عدد المؤسسين ثمانية فقط، ولم يشر الكتاب إلى قانونٍ ينظم عمل المجمع ويحدد أغراضه وأهدافه، فترك للمؤسسين الحرية في كيفية تنفيذ المهمة؛ لقد منحهم الحرية في العمل، وحمّلهم مسؤولية نتائجه أيضاً. كانت أغراض المجامع معروفة، لقد حددت خطوطها الكبرى المجامع الفرنسية التي نسجت

أكثر المجامع العربية على منوالها. واستوحى مؤسسو مجمعنا منها مسودة قانونٍ حاولوا اتباعه، إلا أن الهدف كان تنفيذ المهمة التي خصَّه بها كتاب الحاكم العسكري كاملةً بتشعبها.

استقر المجمع في المدرسة العادلية بعد ترميمها وإجراء الإصلاحات التي أهّلتها لاحتضانه، وأسس دار الآثار وخصّها بجزء من المدرسة، واتخذ من المدرسة الظاهرية جارة العادلية داراً للكتب الوطنية، وافتتح في حلب فرعاً له جهزه بدار كتبٍ وطنيةٍ ودارٍ للآثار، واختار نخبةً من رجال العلم في حلب سُمُّوا أعضاء في المجمع وتولوا إدارة الفرع، وشرع في إنشاء فرعين آخرين أحدهما في اللاذقية والآخر في السويداء، زودهما بمجموعتين من الكتب. وأخذ يسعى في توسيع مهامه الثقافية بتخصيص خزانة كتبٍ في الميدان وأخرى في دار الحديث الأشرفية البرّانية في سفح قاسيون لينتفع بكلٍ منهما أهل الحي، ولتنظيم المحاضرات فيهما. وهذا ما شرعت تقوم به المراكز الثقافية بعد ثلث قرنٍ من مبادرة المجمع إلى هذه المهمة الثقافية والتوسّع في تنفيذها.

قام المجمع بإزالة آثار التتريك من المدارس المدنية والعسكرية، ومن دواوين الدولة والصحف، مستعيناً بجمهورٍ من المثقفين الذين كانوا يسارعون إلى خدمته وإلى العمل فيما يكلفهم من المهام، وطلب من دوائر الدولة ودواوينها أن تتوجه إليه بكل ما يشكل عليها من قضاياها اللغوية. وأنجز المجمع مهمته في هذا المجال بسرعة ونجاح.

كان المجمع يعمل منذ البداية على محورين رئيسيين هما: محور التنمية اللغوية ومحور التنمية الثقافية، وعمل على محاور فرعية في كلٍّ منهما.

أما محور التنمية اللغوية فيتوزع بدوره على محورين فرعيين هما: محور إزالة

آثار التتريك في المجتمع: في المدارس المدنية والعسكرية وفي الصحافة ودواوين الدولة وفيما ينشره الكتّاب. ومحور تعريب التعليم العالي ووضع مصطلحاته العلمية، وقد قام به بالتعاون مع المعهد الطبي العربي.

أما محور التنمية الثقافية فيتوزع على محاور فرعية هي: محور إنشاء دور الآثار، ومحور إنشاء دور الكتب الوطنية، ومنها بخاصة دار الكتب الظاهرية، وقد سبقت الإشارة إلى بعض ما قام به المجمع على هذا المحور، ومحور ما سمي حفظ الأضابير الوطنية، وهو ما يقوم به اليوم مركز الوثائق التاريخية في وزارة الثقافة.

قام المجمع في العقد الأول من حياته بجميع هذه المهام على وجهٍ حسنٍ نال به إعجاب جمهور المثقفين في الوطن العربي كله وتقديره، وفي أواخر هذا العقد أقام معرضاً للصناعات الشرقية في مقرّه بالمدرسة العادلية! وجرى ذلك كلّه على الرغم من اضطراب الأوضاع في أثنائه، اضطراباً سبّبه العدوان الفرنسي على الدولة العربية الفتيّة وأدى إلى توقف نشاط المجمع بعض الوقت، ثم ما تلاه من اندلا ع الثورات في غوطة دمشق وفي مختلف أطراف البلاد، والتي أدّت أيضاً إلى هجرة معظم أعضاء المجمع المؤسِّسين، كما وقف المجمع في وجه بعض المشككين الطامعين بمكاسب شخصية. إلا أنه من جهة أخرى تمتع بدعمٍ قويٍّ من المجتمع. وآزرته أجيال رديفة دخلت المجمع، وكان فيها نسبة كبيرة من الشباب من أمثال الشيخ بهجت البيطار الذي دخل المجمع ولما يبلغ الثلاثين وخليل مردم والأمير مصطفى الشهابي...

واحتضنت المجمعَ بيئةٌ اعتزّت فيها الأمة بطرد المحتل واشتد شعورها بالكرامة، فاندفعت إلى القضاء على ما خلّفه التتريك في اللغة والمجتمع،

وأنشأت لهذه الغاية المجمعَ الذي أنضج عصرُ النهضة رسمَ صورته وتكوينَه، بيئةٌ كانت القناعة فيها تسود شروط الحياة ولا ترهق مطالبُها الإنسان المتعطش في تلك الأيام للتنعم بالكرامة والحرية اللتين عز طلبهما قروناً، وللاستزادة من الثقافة والمعرفة ليبني بهما له موقعاً في المجتمع يُرضيه ويتقدم به في خدمة اللغة والمجمع إلى مصافِّ الوطنيين البررة، بيئةٌ سادها أيضاً تعاون أعضاء المجمع واتفاقهم على كيفية العمل فيه.

إنه ضربٌ من النفير، استُنفرت فيه جميع فئات الأمة لإزالة آثار التتريك وتحصين اللغة العربية. ولذلك كان النجاح منقطع النظير، إذ لم يمضِ من العقد الأول نصفه حتى بدت تباشير نجاح تعريب التعليم العالي في المعهد الطبي العربي، فأخذ ينشر الدكتور جميل الخاني سلسلة مقالاته حول «لغة العلم» في مجلة المعهد في عام ١٩٢٤، وشرع الأمير مصطفى الشهابي ينشر دراساته حول المصطلحات الزراعية والحراجية في مجلة المجمع في نفس العام. وسرعان ما توقفا وغيرهما أيضاً من أساتذة المعهد لتأمُّل ما توصلوا إليه من نجاحٍ في التعريب، اندفعوا به للعمل على استكمال ما حصلوا عليه من مصطلحات، وعلى تأليف معجماتٍ بمصطلحات المادة التي يدرسها كل منهم. ولم يمض العقد حتى انتقل بهم العزم إلى تأليف معاجم مختصة، أمكن ظهور بعضها في أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات.

وأدى التوسع في وضع المعاجم المختصة والتعمق في دراستها، في مرحلةٍ امتدت حتى أواخر الخمسينيات، إلى ظهور معالم مدارس في التعريب ووضع المصطلح، فنشر المجمع للأمير مصطفى الشهابي عام ١٩٥٦ كتابه «المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث» فكان ذلك إيذاناً

بولادة مدرسةٍ عربية في وضع المصطلح، وظهرت ملامح تكوّن مدرسةٍ أخرى في أعمال الدكتور صلاح الدين الكواكبي الذي خصّ النحت بعنايةٍ خاصة في أعماله. وانتقلت صناعة المعجمات المختصة إلى الكليات الجديدة وشرع جميل صليبا ينشر مصطلحات الفلسفة في مجلة المجمع منذ عام ١٩٥٦.

ويلاحظ أن النهوض بوضع مصطلحات التعليم العالي ونشرها على صفحات المجلة كان مقتصراً على مصطلحات الطب بفروعه الثلاثة والزراعة، ثم امتدَّ إلى العلوم الإنسانية، أو بالأحرى كان مقتصراً على العلوم التي لها في المجمع من يمثلها. لذلك كانت العلوم الأساسية والهندسة – باستثناء الهندسة الزراعية — في عزلةٍ عن هذه النهضة، إذ لم يحظ بعضوية المجمع مهندس إلا في عام ١٩٦٨ أي بعد مضي نصف قرنٍ على تأسيس المجمع، وكان هذا خطأً كبيراً كان على المجمع ألاّ يقع فيه. ولقد كان من نتائجه بداية خروج صناعة المعجمات المختصة من المجمع. ففي عام ١٩٥٩ طلبت وزارة الدفاع من المجمع أن يسمي لها من أعضائه من يعينها على وضع معجم عسكري فرنسي عربي، فرشح لها المجمع الأمير مصطفى الشهابي الذي تولّى رئاسة لجنةٍ من المهندسين والتقنيين الضباط، وكان الأستاذ عز الدين التنوخي من المجمع عضواً فيها.

هذه كلمة موجزة عن نشأة المجمع، وهي المرحلة الهامة من حياته، حاولت في هذه العجالة رسم خطوطها المميزة والطريق الوعرة التي عبدتها للمجامع العربية. أرجو أن أكون قد وُفِّقت في عرض ملامح نشأة مجمعنا التي نعتزّ بتألقها، كما نعتز بالتكريم الذي أغدقتموه عليه بزيارتكم هذه، التي جاءت في مستهل برنامج زياراتكم معالم الثقافة والعلم والتعليم في وطننا

الحبيب. شكراً لكم على هذا التكريم الذي سيظل معلماً فريداً في معناه وسمو شأنه، ينضاف إلى ما يعتز به مجمعنا. والسلام عليكم.

ثم قامت السيدة أسماء الأسد والشيخة موزة المسند بإلقاء بعض التساؤلات عن أهم نشاطات المجمع والأعمال التي يقوم بها.

وشارك في الإجابة على التساؤلات، وفي الحديث عن نشاطات المجمع، عدد من السادة الأعضاء كلّ ضمن اختصاصه. ذكَّر بعضهم بأهم الأعمال التي قام بها في خدمة اللغة العربية والعلوم الأخرى، فتحدث الأستاذ الدكتور عبد الكر يم اليافي عن المصطلحات العلمية، ثم تابع الأستاذ الدكتور محمد مروان المحاسني، نائب رئيس المجمع، الحديث عن المصطلحات فأكّد اهتمام المجمع بوضع المصطلحات وتوحيدها في عدد من العلوم ولاسيما العلوم الأساسية والطبّية، وتحدث عن المعجم الطبي الموحد الذي كان لعدد من أعضاء المجمع دور كبير في إنجازه، وذكر أن هذا المعجم أصبح يضم في طبعته الأخيرة أكثر من مئة وأربعين ألف مصطلح طبي، تسدُّ حاجات الأطباء في اختصاصاتهم المختلفة. وتحدث أيضاً عن عناية المجمع بالحاسوب وتسخير هذه التقانة الجديدة لخدمة العربية.

فأثنت السيدة أسماء الأسد خيراً على اهتمام المجمع بهذه العلوم ومواكبة التطور الحديث باستخدام الحاسوب وتسخيره لأغراضه المختلفة.

وتحدثت الشيخة موزة المسند عن تطور العلوم في هذا العصر، وضرورة مواكبتنا هذا التطور، مع المحافظة على تراثنا وأصالتنا، والتمسك بلغتنا والدفاع عنها، أمام طغيان اللغات الأجنبية واللهجات العامية عليها. وأبدت اهتمامها واهتمام سمو أمير دولة قطر باللغة العربية، واعتزازهما بجهود مجامع اللغة العربية،

ولاسيما مجمع دمشق، في حمايتها والنهوض بها لتَسُدَّ حاجات أبنائها في تلقي العلوم الحضارية، وتحقيق تقدم الأمة العربية وازدهارها.

وعند انتهاء اللقاء دعا السيد رئيس المجمع الضيفتين الكريمتين إلى الاطلاع على عدد من مطبوعات المجمع ومقتنياته من المخطوطات النفيسة، كان قد أعدها لتُعرض على الضيوف الأكارم.

وعند انتهاء زيارة السيدتين الفاضلتين ومرافقيهما المجمع، وُدِّعوا من إدارة المجمع وأعضائه ومستقبليهم بمثل ما استقبلوا به من حفاوة وتكريم.

حفل تأبين
الأستاذ الدكتور محمد عبد الرزاق قدورة
رحمه الله

برعاية السيدة الدكتورة نجاح العطار، نائب رئيس الجمهورية للشؤون الثقافية، وبالتعاون بين مجمع اللغة العربية وجامعة دمشق، أقيم في الساعة السادسة من مساء الأربعاء ٢٦/ شوال/ ١٤٢٨هـ- ٧/ ١١/ ٢٠٠٧م حفلٌ تأبيني كبير للأستاذ الدكتور محمد عبد الرزاق قدورة رحمه الله، على مدرج قاعة المحاضرات في مكتبة الأسد.

حضر حفل التأبين السيدة الدكتورة نجاح العطار، ونخبة طيبة من الوزراء والعلماء والأدباء والمفكرين وشخصيات الدولة وأهل الفقيد وأصدقائه وطلابه.

وقد اختار الله فقيدنا الأستاذ الدكتور محمد عبد الرزاق قدورة إلى جواره يوم الاثنين ١٦ رجب/ ١٤٢٨هـ، الموافق ٣٠ تموز/ ٢٠٠٧م، بعد رحلة طويلة حافلة بالعطاء.

بُدئ الحفل بتلاوة آيات مباركة من القرآن الكريم. وقدّم للحفل الدكتور محمود الربداوي.

- وألقى كلمة مجمع اللغة العربية الدكتور محمد مروان المحاسني نائب رئيس المجمع.
- وألقى كلمة جامعة دمشق الدكتور وائل معلا رئيس الجامعة.
- وألقى كلمة أصدقاء الفقيد الدكتور عبد الله واثق شهيد أمين مجمع اللغة العربية.
- وألقى كلمة أهل الفقيد الأستاذ عبد القادر قدورة شقيق الفقيد.

وفيما يلي نص الكلمات التي أُلقيت في الحفل.

رحم الله فقيدنا الرحمةَ الواسعة، وأسكنه فسيح جنانه، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقا.

كلمة الدكتور مروان المحاسني

نائب رئيس المجمع

أيها السيدات والسادة

لم يتطرق إلى مخيلتي يوماً أن أقف أمامكم مستذكراً مآثر وصفات زميل عزيز وصديق وفيّ، تربطني به أشد أواصر المحبة والتقدير. إلا أن ما أصاب الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع من انحراف في صحته –شفاه الله –لا يتيح له فرصة الحضور قد جعله يفوّض إلي تمثيلَ مجمع اللغة العربية.

ولئن كانت الحياة قد عوّدتنا تقبُّل صروفها بكل الرضا معتمدين الإيمان بمشيئة خالقنا، وقد تيقَّنّا أن لكل امرئ، وإن طالت سلامته، أجلاً تنقطع فيه صلته بعالمنا الفاني، فإن ما يضاعف وقعَ المصاب في نفوسنا هو ما أحاط بوفاة الدكتور عبد الرزاق قدورة من مفاجأة أليمة لمن يعرفون نشاطه وحيويته.

وقد عادت بي ذاكرتي إلى أيامٍ انطوت، حين التقى مساري بمساره في خدمة العلوم في بلادنا. فحين عاد الدكتور قدورة عام ١٩٦١ من إيفاده إلى إنكلترة، للحصول على الدكتوراه في الفيزياء النووية من جامعة بريستول، انضم إلى السكرتارية الفنية في المجلس الأعلى للعلوم، التي كنتُ من مؤسسيها عام ١٩٦٠، برفقة كلٍّ من الدكتور واثق شهيد والدكتور وفائي حقي.

وسرنا معًا نُوزّع الأدوار بين اللجان المختلفة، وكان الأستاذ وجيه السمان رحمه الله، رئيسُ لجنة المقررين، ينسّق معنا برامجَ أسابيع العلم المتتالية، التي جمعت خيرة العاملين في مجالات العلوم من إقليمي الجمهورية العربية المتحدة. وقد عرفت الدكتور قدورة أيضًا زميلاً في جامعة دمشق، يرتقي مراتب كلية العلوم، ثم انتقل إلى كلية الهندسة وأصبح عميداً لها. وقد عَرَفَتْه الجامعةُ رجلاً فذًّا في علمه وخلقه

واستقامته.

وبعد عودته من إيفاد ثانٍ إلى جامعة أُكسفورد، حيث قام ببحوث هامة في مجال الفيزياء النووية، عُيِّن رئيساً لجامعة دمشق عام ١٩٧٣

ولقد عرفناه عندئذ رئيساً غيرَ تقليدي، لا يحيط نفسَه بما اعتاد بعضُ أصحاب المناصب إحاطةَ أنفسهم به، فقد كان بابه مفتوحاً للجميع، يَبتُّ في الأمور المعروضة عليه بكل دقة، مؤكداً ضرورة التجاوب مع احتياجات الجامعة دون إبطاء.

وقد وجد في كل من الدكتور إبراهيم حداد والدكتور محمد خير فارس رحمه الله وكيلين أمينين، انخرطا معه في إدارة شؤون الجامعة بكل جد وتجرّد.

وحين داهمتنا حرب تشرين عام ١٩٧٣ كنت المسؤول عن المستشفى الجامعي رئيساً لقسم الجراحة، وكان الدكتور قدورة على رأس الترتيبات التي سمحت لنا بخدمة المدنيين ضحايا الغارة الغادرة على دمشق، ومواجهةِ ما يحتاجه المستشفى من أدوية ولوازم طبية، وكان شديد الاهتمام بإيجاد الكميات المطلوبة من الدم على اختلاف زمره، لمعالجة الحالات المستعجلة، حين يكون نقل الدم أُولى خطوات إنقاذ الجرحى.

إن ظروفاً صعبةً كهذه هي الشدائدُ التي تمتحن الرجال وتظهر ما فيهم من نبل وإخلاص وتفانٍ في خدمة الوطن.

وأستطيع القول إننا لم نكن نعرف متى يلجأ رئيس الجامعة إلى فراشه، لأنه كان دائم الوجود في الجامعة طيلة أيام تلك المحنة.

ولم يطل مقامه في دمشق بعد انتهاء عمله في الجامعة إذ سُمِّي مديراً للشؤون العلمية في المنظمة الدولية للثقافة والتربية والعلوم Unesco حيث توثّقت بينه وبين

مديرها العام الدكتور Mba عرى صداقة حقيقية، أتاحت له الفرصة لتسخير طاقاته وتوظيف ثقافته العالية في خدمة مؤسسة التفتت بفضله إلى مشكلات العالم الثالث، التي أولتها المنظمة جزءاً كبيراً من اهتماماتها.

وكان مجمع اللغة العربية قد انتخبه عضواً عاملاً في مطلع عام ١٩٧٤ تقديراً لما وصل إليه من مرتبة علمية عالية، وما أسداه من خدمات لطلابه، لإيصالهم إلى الإحاطة بكل ما يظهر في علم الفيزياء من كشوفاف عالمية. إلا أن غيابه عن سورية قد جعل استقباله في المجمع يتأخر إلى عام ١٩٩٠، حين انتهت مهمته في المنظمة الدولية.

لن أستطيع الاستفاضة في تفصيل النواحي المتعددة التي برز أثر الدكتور قدورة فيها بين رئاسته للجامعة عام ١٩٧٣ ووفاته المفاجئة. فهي مهامٌّ موزعة بين مجلسِ حكام الوكالة الدولية للطاقة الذرية، واللجنةِ الاستشارية لجامعة الأمم المتحدة حيث كان نائباً لرئيسها، ومجلسِ إدارة المركز العربي السعودي للعلم والتكنولوجيا، واللجنةِ الثقافية الاستشارية لمعهد العالم العربي في باريس، واللجنةِ الدولية لتنمية التربية، وأكاديميةِ العالم الثالث. وكلُّها مؤسسات عالمية تلتقف أمثال الدكتور قدورة، لتستفيد من نزاهتهم وخبرتهم وثقافتهم الواسعة المرتكزة إلى شغف حقيقي بالقراءة، وسعي لا ينتهي للاستزادة من المعرفة.

لن أتكلم عن مؤلفاته في المجالات العلمية وفي علوم الفيزياء خاصة، فهي تشكل مراجعَ علميةً نفيسةً، إلا أنه لابد لي من ذكر كتاب تربوي مازال يحتل مكانة رفيعة بين كتب التربية، هو كتاب «تعلَّم لتكون» الذي شارك الدكتور قدورة في تأليفه برفقة ستة من العلماء العالميين في «اللجنة الدولية لتنمية التربية»بإشراف السيد «إدغار فور» السياسي الفرنسي المعروف.

إنه تقرير كتب عام ١٩٧٢ وترجم إلى العربية عام ١٩٧٩. وهو يتناول موضوع التربية من الناحية الإنسانية، في سعي لجعل التبادل الفكري ممكناً بين الإنسان والوسط الاجتماعي، لتأكيد ضرورة توفير الاستفادة من نعمة العلم لكل إنسان، وهو يتضمن دراساتٍ إحصائيةً عن مستويات التعليم في مختلف بلاد العالم، ويقترح الحلولَ لما يعتريها من مشكلات.

أيها السيدات والسادة إنّ رحيل عبد الرزاق قدورة قد كان فاجعةً لمجمع اللغة العربية الذي حُرم من رأيه السديد وثقافته الواسعة. إنه الرجلَ الذي بسط أجنحة معرفته على مجالات متعددة، وحاز ثقةَ زملائه ومحبتهم وتقديرهم. فإذا كانت ذكريات السعادة لا تُؤتي سعادةً فإن ذكرياتِ الأسى هي مزيد من الأسى وتجددٌ له.

إنّ الموتَ نواةٌ هاجعةٌ في لُبِّ كلّ إنسان يحملها في حياته إلى أن تنضُج وتتفتّح لتُعلن انتقالَه إلى عالم آخر. وعلى الرّغم من غياب ذلك الإنسان عن أنظارنا فإنه سيبقى حاضراً في ذاكرتنا حيًّا في ضمائرنا، بما كان يمثّله من قيمٍ رفيعة ومواقفَ أخلاقيةٍ جعلت منه مثالاً نادر المثال. وإن الأفذاذ الذين أعطوا ما أعطاه فقيدُنا طيلة حياته ينعمون بمكانة رفيعة في قلوبنا، ونرجو من المولى أن يُحلّهم مكانةً عالية في جنات النعيم.

كلمة الدكتور عبد الله واثق شهيد

أمين مجمع اللغة العربية بدمشق

نصف قرنٍ مع عبد الرزاق قدورة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نصفُ قرن مضى في صحبة الفقيد رحمه الله.

كان لقاؤنا الأول في قسم الفيزياء بكلية العلوم في الثكنة الحميدية في أيلول من سنة سبعٍ وخمسين، بُعَيْدَ عودتي من الإيفاد، وكان المهندس محمد عبد الرزاق قدورة يستعد للسفر موفداً إلى المملكة المتحدة لتحضير الدكتوراه. وكانت الغاية من اللقاء تسلّمَ مكتبة القسم التي كانت في عهدته، والاطِّلاعَ على مضمون المواد التي كان يدرِّسها، ومناقشة ما يُمكن أن يُقتَرح من تعديلات عليها. واسترعى انتباهي تكليفُه تدريسَ مادةٍ لايرغب أحدٌ من أساتذتنا في تدريسها، وكنت قد أخذت في سنتي الأخيرة في فرنسا أستعد للقيام بهذه المهمة، بعد أن علمتُ أن الكلية لم تجدِّد عقد أستاذنا الدكتور إسحاق الحسيني، رحمه الله، الذي تولَّى تدريسها منذ تأسيس الكلية. وقد اتَّضَح من عَرض المهندس قدورة المنهاجَ الذي اتبعه أنّ أسباب النجاح متوفِّرةٌ له في تدريس هذه المادة التي يتحاشى الكثيرون الغَوْصَ في رمالها. فارتحت له، وكان مما يحبِّبُه إلى النفس ما يتمتع به من التواضع والبشاشة، وما يشعرك به من الودّ والاحترام. كانت لقاءاتنا نادرةً في تلك الفترة القصيرة، إذ توزَّعته العنايةُ بشؤون الخطيبة التي كانت لا تزال تلميذةً في صف الشهادة الثانوية، وهمومُ السفر الذي سيبعده عنها إلى حين.

مرت أعوام أربعة تقريباً قبل عودة المهندس قدورة من الإيفاد. كانت

أحاديثنا في القسم في أثنائها تدور حول تطويرِ المناهج وإصلاحِ التعليم وإقلاعِ الجامعة بالبحث العلمي وموقعِ فلسفة العلوم وتاريخِها في التمكين لها جميعاً. وكنا إذا ما أرهقنا النقاش نستريح في واحة شعرٍ مع الدكتور أدهم السمان رحمه الله. فلما عاد الدكتور قدورة من الإيفاد وانضم إلينا من جديد أصبحت واحة الأمس واحاتٍ ينيعةً للشعر والتاريخ والفلسفة، وزادنا ألواناً جديدةً في السياسة ومذاهبها في الشرق والغرب. وما إن ازدهر ذلك المنتدى العلمي الثقافي حتى غادرنا الدكتور قدورة إلى كلية الهندسة التي أنشئت في أوائل الستينيات بمعونةٍ وتنسيقٍ من اليونسكو، فكانت اللغة الإنكليزية هي التي تجمع المدرسين المؤسسين على اختلاف لغاتهم القومية، وكان الدكتور المهندس قدورة خيرَ مَنْ يقوم بالتنسيق بينهم في كلية الهندسة، فهو مهندسٌ ويعرف إضافةً إلى إتقان الإنكليزية والفرنسية عدةَ لغاتٍ أجنبية كالألمانية والروسية على الأقل، فانقطع لمهمته الجديدة ولم نعد نلتقي إلاّ لماماً.

ثم كان التغيّر السياسي الذي جرى في شباط سنة ١٩٦٦ والذي عُيِّنتُ على إثره نائباً لوزير التربية لشؤون التعليم العالي، فأعادَنا الاهتمامُ بتطوير التعليم العالي إلى تكثيف لقاءاتنا وتوسيع منتدانا، وأخَذَت تتبدَّى لنا بعضُ طباعه وصفاته الشخصية التي كانت خافيةً، كالتشدّد في الحكم على ما تُبديه نفسُه وقمع ما تشتهيه. فقُبَيل امتحانات حزيران نقل رئيس مجلس الوزراء رغبةَ القيادة بالسماح للطلاب الجامعيين السجناء، وجُلُّهم من قياديِّي اتحاد الطلاب السابق، بتقديم امتحاناتهم ولكن في سجنهم في القلعة. وحسماً للاختلاف في الرأي حول جواز تقديم الامتحانات خارج القاعات المخصصة لها، دُعي مجلس الجامعة للانعقاد في جلسةٍ استثنائية. وكان الدكتور عبد الرزاق قدورة عميدُ كلية الهندسة عضواً في المجلس وحضر الجلسة، ولكن ما إن طرح موضوع الطلاب السجناء

حتى استأذن بالانسحاب وخرج فوراً لأن أخاه عبد القادر كان في عداد الطلاب السجناء، ولا يريد أن يؤثر حضورُه في آراء زملائه الأعضاء، كما يخشى أن تُخرِج العاطفةُ رأيَه عن جادة الصواب!

وزار المدير العام لليونسكو في تلك الأيام القُطرَ فكُلِّف الدكتور قدورة مرافقتَه، فترك في نفس الضيف الكبير أطيب الأثر، وبعد مدةٍ من عودته إلى مقر عمله في باريس ندَب الدكتور قدورة للقيام بمهمةٍ متعددة الأغراض في أفريقيا دامت أكثر من شهر وأنهاها بتقريرٍ نال رضا المدير العام، وثبَّت ثقته فيه، كما ثبَّت العزم على ترشيحه فيما بعد لمنصب المدير العام المساعد للعلوم في اليونسكو، وقد باشر الدكتور قدورة عمله هذا في ولاية ذلك المدير العام نفسِه.

وتولى الدكتور قدورة قبل ذلك في عام ١٩٦٩ وكالة الجامعة عاماً واحداً، تابع فيه تشجيعَه أعضاءَ هيئة التدريس على الترجمة.فقد كان يرى منذ بداية عمله في التعليم الجامعي ضرورة التوجُّه في التعليم العالي إلى الترجمة وليس إلى التأليف، وساهم في ترجمة العديد من المؤلفات الجامعية المرموقة من اللغتين الإنكليزية والفرنسية، وتابع نقلَ العلم إلى العربية بعد أن تحرر من مهام اليونسكو، فترجم ونشر في مجلة عالم الذرة السورية، وفي مجلة العلوم الكويتية التي كان قد شجع على إصدارها ترجمةً لمجلة أمريكية معروفةٍ. وكان إيمانه بنهضةٍ علميةٍ تقوم على الترجمة يزداد رسوخاً كلما تقدم به العمر، فنادى في حفل استقباله في المجمع سنة تسعين (١٩٩٠) قائلاً: «... هل نرى يوماً قريباً تُترَجَم فيه الكتب العلمية الحديثة الصادرة باللغة الإنكليزية بسرعةٍ وإتقانٍ لتُعرَض في السوق الجامعية ... ليت قوماً من أصحاب الأموال يفطنون إلى ذلك، ويتحالفون مع أساتذة الجامعات العرب ليُنجزوا ما نتمناه...»

في عام تسعة وستين أُوفِدتُ إلى فرنسا، وأُوفِد الدكتور قدورة في نهاية ذلك

العام أو في بدايات الذي يليه إلى المملكة المتحدة للاطِّلاع العلمي، واتفقنا على تكريس وقتنا في الوطن بعد العودة إليه للبحث العلمي، وعدم ممارسة الأعمال الإدارية. ولكننا عدنا في أوائل السبعينيات إلى الوطن وإلى العمل الإداري، فعُهِد إليّ بتأسيس مركز الدراسات والبحوث العلمية، وآزرني فيه بتسميته عضواً في مجلس إدارة المركز، ثم سُمي رئيساً لجامعة دمشق في عام ١٩٧٣، وآزره في إدارتها وكيلا الجامعة الدكتور إبراهيم حداد والدكتور محمد خير فارس رحمه الله ، وهما على مثل ما هو عليه من الأخلاق الكريمة وصدق العزيمة في العمل، وكانا من المعجبين به خلقاً وإدارة وعلماً، كما أعجب هو بهما أيضاً، فنهضوا بالمهمة متحابّين. كان لهم اجتماع صباحي يومياً يتدارسون فيه شؤون الجامعة ويتوزعون تنفيذ ما يقررون. رسموا معاً الخطوط الكبرى لبعض مشروعات الإصلاح الجامعي كمشروع التفرغ للعمل المهني، الذي كنّا نرى قَصْره في تصورنا الأوَّلي على كليات العلوم التطبيقية ككلية الطب، فطُوِّر ليشمل جميع الكليات والمعاهد الجامعية.

كان الدكتور قدورة رحمه الله رؤوفاً بالطلاب حريصاً على تحسين إعدادهم للحياة علمياً وأخلاقياً واجتماعياً. ذكر الدكتور إبراهيم حداد، أن طالباً أساء التصرف في أثناء جولة للدكتور قدورة في إحدى باحات الجامعة فاحتجزه رجال الأمن، فلما بلغه نبأ احتجاز الطالب غضب وألحّ على الإفراج عنه فوراً، ولم يبت ليلته رخيّ البال إلا بعد أن أفرج عن الطالب واصطحبه بنفسه.

وفي حرب تشرين عام ١٩٧٣ لم يغادر الدكتور قدورة منشآت الجامعة طَوال مدة الحرب، واتَّخذ من مكتبه فيها غرفةَ عمليات ومقراً جهَّزه بسريرٍ من المستشفى يقضي فيه بعض ساعات النوم القليلة كل ليلة.

إلا أنه لم يُطِل المكوث في رئاسة الجامعة، فقد انتقل في عام ١٩٧٦ إلى باريس ليقوم هناك بمهام المدير العام المساعد لليونسكو للعلوم. واستمر في عمله

هذا هناك حتى بلوغه سنّ الستين وإحالته على التقاعد.

وقد حظيت شخصيته الثقافية والعلمية الفذّة بمكانةٍ رفيعةٍ في الأوساط الثقافية الفرنسية والأوربية عامةً، ونشأت صداقات متينة بينه وبين بعض كبار الشخصيات كإدغارفور رئيس المجلس النيابي الفرنسي في تلك الأيام، والعالم الباكستاني البريطاني عبد السلام، حامل جائزة نوبل في الفيزياء. وفي الكلمة التي ألقاها عضو المجمع المهندس وجيه السمان رحمه الله سنة تسعين في حفل استقبال الدكتور قدورة، تعداد بعض أهم الدراسات التي قام بها والوظائف التي شغلها.

وبعد ذلك التاريخ، تاريخ إحالته على التقاعد، أخذ يتنقّل سنوياً ما بين دمشق وباريس ولندن. يشدّه إلى دمشق موطِنه، الأهلُ وأصدقاءُ الطفولة والشباب ومجمع اللغة العربية. وفي لندن وما حولها أعز ماله في هذه الدنيا سامر وأم سامر. وفي باريس يعكف على تأمل الحياة كما عاشها وكما استعرضها في تجارب الآخرين. وباريس، على غير ما يُظَن، خير مكانٍ لاعتكاف الإنسان وانقطاعه إلى نفسه، يستخلص من معاني الحياة بعضها ويبني فلسفته. ألم يبنِ هيمنغواي بعضاً من فلسفته عن الحياة فيها، وأمثاله كثر. لقد تغيرت نظرة الدكتور قدورة إلى الحياة تدريجياً وباستمرار، واستطاع السيطرة على نفسه فأخفى مظاهر التغيرات المفاجئة فمرّت أمامنا، لا يشعر بها إلا الصديق المتتبّع عن قرب.

لن أُذَكِّر ببعض المحطات التي أدركتُها في مسيرة التغيرات العاصفة في حياته في باريس، ولكنني أكتفي بالتذكير بما أَلِفَه فيه كثرةٌ ممن يخالطونه، التذكير بلباسه الأزرق الداكن: بنطال وقميص قصير الكميّن يكاد لا يفارقه في فصول السنة كلها. لا يستعمل في تنقلاته ضمن المدينة وسائط النقل مهما كان الطقس مشمساً شديد الحرارة أو ممطراً وبارداً. لا تراه في الطرقات إلاّ مسرعاً مصطحباً

مجلة «نيتشر» الإنكليزية رافضاً كلَّ عرضٍ ممن يلمحه من المعارف والأصدقاء، لإيصاله إلى حيث يقصد. خصص أياماً من الأسبوع يستقبل فيها زائريه ما بين السادسة والثامنة مساءً، ويزور في الأيام الأخرى منه أهله وأصدقاءه في نفس الأوقات تقريباً، ينام بعد صلاة العشاء ويستيقظ باكراً، وللرياضة في نظام حياته الراتب موقعُها ولأداء بعض الواجبات حقٌ معلوم. وكأنني فهمت منه أنه يأكل مرة واحدة في اليوم ما بين الرابعة والرابعة والنصف مساءً. ولذلك فإنه لا يلبي الدعوة إلى وليمة إلا نادراً ولأسباب وجيهةٍ لديه، ولا يتناول في غير الموعد المحدّد شيئاً ولو كان قطرات من الماء.كل ما في بيته يدل على الزهد والتقشف، مكتبه لوح من الفورميكا على قوائم معدنية تُطوى، نجد عليه كلمّا زرناه مجلّة نيتشر أو غيرها من المجلات العلمية، والقرآن الكريم أو كتاباً من الكتب التي درجنا على تسميتها الكتب الصفراء، لم أحاول معرفة ما يقرأ منها، ولم أسأله، ولم يحدثنا هو عمّا يقرأ. يستعين على القراءة في بعض الأحيان بمكبّرةٍ أو أكثر نجدها على مكتبه ذاك. وهو لا يقرأ إلا ما يدخل في مخطط قراءته الذي أقرَّه منذ سنوات. ذاكرته القوية هي مكتبته الثمينة المتنقلة الشديدة التنوع والاتساع.

وكان، رحمهُ الله، لا يُدخِل إليه تعويضات المجمع عن أعماله فيه ولا يمسّها، فكانت تُوزَّع على المعوزين من العاملين في المجمع، أما تعويض العضوية الشهري فكان يرفض التوقيع على جداوله الشهرية. لم أشعر في العقدين الأخيرين بأنّه يطمع في شيءٍ من متاع الدنيا، وكأنه يردد الآية الكريمة: ﴿ تِلكَ الدّارُ الآخِرةُ نَجعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأرضِ ولا فَسادًا والعاقِبةُ لِلمُتَّقِينَ﴾.

وهو مرهف الحسّ شديد الانفعال بما يخدش كرامته، لا ينسى الإساءة إليه ويتجنب المسيء ولا يسعى للانتقام. لم أسمع منه مذ عرفته حديثاً أشار فيه إلى نقيصةٍ في بعض من نعرف، ولكنّه ينصح بالابتعاد عن شخصٍ لا يرى

في القرب منه خيراً، وجلّ ما يمكن أن يقوله في شخصٍ أساء إليه، لا يعدو عباراتٍ شديدةَ التهذيب. يُذكَر أن رئيس مجلس الوزراء دعاه مرة ليتفقد أحوالَه في علاقته بأحد الوزراء، فسأله عنه فأجاب: يا سيدي إنه رجل ذو أهواء، فقاطعه رئيس المجلس قائلاً هذا كلام يحكى في أكسفورد، أما هنا فقل عنه كذا وكذا...

وهو كريم وفيٌّ، كان يهدي إلى أصدقائه وهو في فرنسا، تأكيداً لحضورهم الدائم في باله، ما يجدّ نشره من الكتب التي يقدّر اهتمام كل منهم بموضوعاتها. أما وفاؤه فقد أملى عليه الانتقالَ من كلية العلوم إلى كلية الهندسة تنفيذاً لرغبة أستاذٍ يجلّه ويحبُّه، هو أستاذنا وجيه القدسي رحمه الله، الذي قال عنه في حفل استقبال مجمعي: «أحَبُّ أساتذتي إليّ الوجيهان: القدسي والسمان» إنه الوفاء. وكان يولي تفقد أحوال أصدقائه عنايته ولاسيما في أوقات الشِّدَّة.

أما الحبّ فقد أصبح نعيم حياته، ولتستمع، لتدرك ذلك، إلى مناجاته لوحيده الدكتور سامر على الهاتف. إنه لايرفع سماعة الهاتف أبداً إلا إذا رنّ جرسه رنّات اتُّفق عليها مع سامر وأمه فقط. سألته عما يفعل في لندن في النهار عندما يكون سامر في عمله في المستشفى، فقال أقضي وقتاً ممتعاً في غرفة سامر أكنسها وأتأمّل كل زاويةٍ وركنٍ فيها وما ترك عليها من أثر. هذا الحب، مع بُعد الشُّقة ودوران الأيام وديمومة التأمل والتفكير وقسوة ترويض النفس وتطهيرها من كل رجسٍ قد يخطر بها، يسمو به فيتجه إلى الله.

ولنتأمل ملامح هذا التطور في فاتحة كلمتين، إحداهما في حفل استقباله سنة تسعين إذ يقول: سيداتي سادتي، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما في حفل استقبالي بعد خمس سنوات فقال: بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. هذا هو الحب، تدرج به من

حبّ بعض ما في الدنيا إلى حُبِّ سامرٍ من زينتها، وأظنّه دخل في مرحلة السمو ليُخلص لله الحبَّ.

كنت كلما ودعته إثر زيارةٍ في مكتبي في المجمع أسعى لمرافقته خطواتٍ خارج المكتب، كعادتي في وداع عزيز، فيأبى أن أرافقه، ويخرج مسرعاً كعادته، وأسعى خلفه مسرعاً أيضاً فأدركه وهو يقفز على الدرج مورّد الوجنتين كأنه في العشرين من العمر، وأتأمّله بهدوء، وأناجي نفسي والرضا يغمرني هذا هو الذي استقبلني في المجمع، وهو الذي سيودعني أيضاً يوم الرحيل.

رحم الله أبا سامر لقد فقدناه، وتلك مشيئة الله، ولكنني فقدت بفقده آخر صديق لي من أبناء جيلي في كلية العلوم وهذا هو اليتم عاد إلينا في آخر العُمر.

كلمة الدكتور وائل معلا

رئيس جامعة دمشق

أيها الحفل الكريم:

نجتمعُ اليوم لتأبين علمٍ من أعلام العلم في بلادنا، وكوكبًا أضاء حياة جامعتنا، رجل حمل راية العلم قناعةً وممارسة، وأرادها خفاقة دائمًا، حرصًا على مستقبل الوطن وعزّته.نقف اليوم بكلِّ خشوعٍ وفخرٍ لتحية ذكرى أستاذٍ كبيرٍ وعالمٍ جليلٍ ترك بصمته في العقول، وخطَّ طريق الفلاح للأجيال، ثم سلّمَ الراية لمن تلاه، مع قسم الأوفياء للأوفياء.

إنه أستاذنا الكبير، الدكتور عبد الرزاق قدُّورة، الذي ستبقى جامعة دمشق تفتخر بما أرسى في وجدانها، والذي ينحني لوداعه خلف تمثل ما قرأ على يديه علمًا وأخلاقًا، وما ورث عنه سلوكًا وإيمانًا بقيمة العلم في رسم معالم مستقبلٍ أفضل.

في مسيرة حياته الثرّة شرّف الفقيد عدّة مناصب أثبت جدارته فيها، وجسّد نهجه البناء شكلاً ومضمونًا. عرفته جامعة دمشق أستاذًا عالمًا، تدرّج فيما بعد في تولي المناصب الإدارية العلمية فيها، وأثبت إخلاصًا وتفانيًا وجدارة. عُيّن وكيلاً لكلية الهندسة، ثم عميدًا لها، ثم وكيلاً للجامعة، ثم رئيسًا لها مدة ثلاثة أعوام، من ١٩٧٣ إلى ١٩٧٦.

عَرفتُ أستاذنا الجليل عن قُرْب، حين كان أستاذًا لمقرر الفيزياء، وكنتُ طالبًا في بداية مشواري في كلية الهندسة المدنية. كان مثالاً للعالم المنصرف إلى شؤون علمه، المتحلّي بالتواضع ورحابة الصدر، وصِدق القول، واستقامة العمل، وقناعة العيش. كان لا يتردد في الإجابة عن أي سؤالٍ يتبادر لذهن أيٍ منّا. وكان يُقدّمُ لنا النُصح والإرشاد في أمور علمنا كما في أمور حياتنا. كان مرجعًا يُحتكم إليه، ومثالاً يُقتدى به للمعلم

الأب. وخلال فترة ترأسه لجامعة دمشق، كان حريصًا على تنشيط عملية ترجمة العلوم إلى العربية. كما حَرِص صادقًا على أن تكون لجامعتنا العتيدة، بصمات بارزة في عملية التعريب ونشر العلوم في الوطن العربي، فكان يشجّع بعض أساتذتها على قبول الإعارة إلى الجامعات العربية الفنية.

وانتهى به الترحال، رحمه الله، إلى مَجمع الخالدين، يوم أصبح عضوًا في مجمع اللغة العربية، فخاض تجربة تكريس التعريب، إيمانًا منه بقُدرة لغة الضاد، على التعبير الدقيق عن عُمق المعاني في ميادين العلوم، في زمانٍ تتضافر فيه الجهو لإضعاف واحدةٍ من أقوى دعائم وجودنا العربي وتطلعنا إلى بناء مستقبلنا القومي.

في خطابه الذي ألقاه في حفل استقباله عضوًا في المجمع عام ١٩٩٠، تساءل الفقيد الكبير: «هل سنرى يومًا قريبًا تُترجم فيه الكتب العلمية الحديثة الصادرة بالإنكليزية، بسرعةٍ وإتقان، لتُعرض في السوق الجامعية، ليفيد منها الطلاب خيرًا كثيرًا؟». كان هذا بالنسبة له حُلمًا من أحلام اليقظة، يفِرُّ إليه خشية ما أسماه بالكابوس الأسود، وهو أن يختفي لواء العربية في التعليم الجامعي العلمي. أستاذنا الكبير، إنني اليوم إذ أستذكر حلمك، أطمئنك إلى أننا سائرون على طريقك، وأننا نعمل بجدٍ على تعريب ما يصدر في ميادين العلوم النظرية والتطبيقية، علّنا نُسهم في الإبقاء على لواء العربية خفاقًا في التعليم الجامعي العلمي.

ولئن كان النصيب الأوفى من الحسرة والألم، يطالُ أهل الفقيد لرحيله عنهم إلى دار البقاء، فإن النصيب الأوفى من الاعتزاز، قد ملكناه نحن من ميراثه.

نتوجه إلى الله العلي القدير أن يثيبه عن عطائه بجودٍ من فسيح جنانه، ونتوجه إلى ذويه بالعزاء والمحبة والاحترام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة الأستاذ عبد القادر قدورة

أيها الحضور الكريم:

اسمحوا لي بادِئ ذي بدءٌ أن أذكر ما قاله الكاتب العربي الكبير الطيب صالح في وصفه لفقيدنا قبل أكثر من عقد:

«ورِعٌ بلا تكلف، صافي الذهن، يملك قدرة هائلة على التعلم، وجهه يشع بضوء القرآن وحركاته وسكناته وأسلوبه في العيش كأنها أصداء لآيات القرآن المبين. رجل فذ بكل معاني الكلمة يذكِّر بعلماء المسلمين في عصور التنوير الأولى».

أيها الحبيب..

في ذلك اليوم عندما أدرتَ ظهرك وآثرت الرحيل... عندما اخترتَ أن تمضي مودِّعًا كل من أحبك إلى غير لقاء.

في ذلك اليوم... يوم جمعتَنا لتُلقيَ علينا نظرتَك الأخيرة... ولتهديَنا ابتسامتك الدافئة للمرة الأخيرة.

في ذلك اليوم... حينما فتحتَ لنا باب منزلِك واستقبلتنا كما تستقبلُ الأم أطفالها بمطرٍ من الحبِ والدفء والحنان.

في ذلك اليوم... عندما زرتنا في دارنا فصحِبت معك كل فرح العالم وحملت في جعبتك لكلٍ منا شيئًا ما كان ينتظره بفارغ الصبر.

في ذلك اليوم... عندما حملتَ كُرسيك الخشبي وجلست بقربي وأنا أصارع المرض... فهزمتُه بك وقهرتُه بعزيمتك، واستعرت من صبرك ما حملني عليه.

في ذلك اليوم... عندما كنت ترسلُ لي من راتبك الدراسي ما أستعين به على شظف العيش وقسوة الحياة.

تذكرت هذا كله في ذلك اليوم.

أيها الحبيب...

يا من سكَنني... وغمرني

يا من مسحتْ يداه جراح اليتم بداخلي.

يا من كنتَ الأم والأب والأخ والحبيب والصديق.

كيف رحلت في ذلك اليوم ؟

في ذلك اليوم...

عندما كنت مريضًا، فأخفيت عنّا ما كان يؤلمك ويؤرِّقك وتجشّمت عناء المكابرة، وتحملت وطأة الألم وحيدًا... كما يليق بك، صابرًا محتسبًا.. كما يليق بك، شامخًا قويًا.. كما يليق بك.

أيها الحبيب...

كيف لي أن أقوى على الانتظار.

كيف لي أن أجمع نفسي بعد أن هدمها رحيلك.

من أين لي بصبرٍ يكون بحجم الحزن الذي خلَّفتَه وراءك.

أيُّ يدٍ تُرى ستحمل رائحة يديك.

وأيُّ صوتٍ ذلك الذي سيحمل دفء صوتك.

وأيُّ عينٍ تلك التي سأرى بها عيون الأحبة الذين فارقوني.. غير عينيك.

وأيُّ يومٍ سأنتظر فيه مجيئك... يا من لن تأتي أبدًا.

أيها الحبيب...

في ذلك اليوم... حينما ذهبنا بك إلى المستشفى ودخلت غرفة العناية الفائقة، كنا نقف خارجًا ننتظرك أن تفتح عينيك وأن تخرج إلينا.

كان حُبنا لك أكبر من خوفنا عليك، كان الأمل بداخلنا قادرًا على أن يبدد كل غيوم الشك الرهيبة.

كنّا ننتظرُك بنفس اللهفة التي كانت تسبق مجيئك إلينا.

كان كل واحدٍ منا يريد أن يرمي نفسه بين ذراعيك ويُقبلك كما اعتاد أن يفعل في كل مرة كان يلقاك.

لكنك لم تفتح عينيك.. ولم تخرج إلينا أبدًا.

أيها الحبيب...

في ذلك اليوم... عندما أدرتَ ظهرك وآثرت الرحيل... تذكرتُ ما كنتَ قد كتبتَه في سالف الأيام وأنت تتذكرُ الأحبة الذين فارقوك:

وشيخًا كان يرعانا صغارًا ووالدَنا العطوفَ المستطيعا
أحن إلى سجاياهم فأبكي وأدعو أن ألاقيهم سريعا

فكان في ذلك العزاء لفقدك، والصبر على حياةٍ لن تكون فيها... فأنت اليوم عائدٌ إلى الأحبة... عائدٌ إلى أبينا وأُمِنا وخالِنا الشيخ. فلتهنأ أيُّها الحبيب، فلطالما اشتقتَ إليهم ولطالما أردت أن ترتمي في أحضان أُمنا التي فارقتنا منذ أكثر من سبعين عامًا.

دعاكَ فلبيتَ الكريمَ الداعيَ
كعهدِكَ مرتاحَ السريرةِ راضيا
وما كربَ إلا كُنتَ فارِجَ أهلِه
فلمَّا أتاكَ الكربُ كُنتَ.. مُداريا
ولا سائلاً يومًا رَدَدْتَ سؤالهُ
ولا لِنتَ في قصدٍ إذا سِرتَ راجيا
ولكنْ أتاكَ اليومَ أمرٌ إذا اعترى
فدونهُ كلُ الخلقِ صِرنَ سواسيا
وما كنتَ إلا للمعالي مسافرًا

وما كنتَ إلا للمكارِمِ صاديا
وقد يُرتجى هديُ النجومِ إذا بَدَتْ
ويَسْتهدِكَ النجمُ الذي كان هاديا
قسوتَ إذا غادرتَ أهلاً وصحبة
ولم تكُ يومًا، مذ عرفتكَ، قاسيا
عليكَ سلامُ الله ما أنتَ أهلهُ
وحسبُكَ أن خلَّفتَ ذكرك باقيا

وأخيرًا..

أيها الحضور الكريم:

الشكر موصول بكامله إلى السيد رئيس الجمهورية الذي كرَّم الفقيد بحياته بمنحه وسام الجمهورية من الدرجة الممتازة، والشكر لسيادته لعزائه الكريم لأسرتنا والتي مكنتنا من تحمل مصابنا الجلل.

والشكر موصول لوزارة التعليم العالي ممثلة بسيادة الوزير الدكتور غياث بركات.

والشكر موصول لجامعة دمشق رئيسًا وأساتذةً وطلابًا.

والشكر موصول لمجمع اللغة العربية رئيسًا وأعضاء.

والشكر موصول لكم أنتم أيها الحضور الكريم ولكل من ساهم وشارك في حفل التأبين هذا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الرابع من عام ٢٠٠٧

أ – الكتب العربية

أ. سعد الدين المصطفى

- **أبحاث المؤتمر السنوي السابع عشر لتاريخ العلوم عند العرب**/ إعداد أ.د مصطفى موالدي، حلب: منشورات التراث العلمي ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م.
- **ابن قتيبة الدِّينَوَري**/ تأليف جيرار لوكونت، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ١٤٢٨ هـ– ٢٠٠٦م.
- **الاتجاهات الفكرية العربية في الصحافة (١٩٢٠– ١٩٤٦م)**/ د. سهيل الملاذي، حلب، مديرية المطبوعات والكتب الجامعية، ٢٠٠٦م.
- **أحياء حلب وأسواقها**/ خير الدين الأسدي، حقّقه: عبد الفتاح روّاس قلعجي، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ١٤٢٧ هـ– ٢٠٠٦م.
- **أدباء من حلب**/ مجموعة من الباحثين، حلب: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ١٤٢٧ هـ– ٢٠٠٦م.
- **الأدب الشعبي في حلب**/ د. محمد حسن عبد المحسن، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ١٤٢٧ هـ– ٢٠٠٦م.
- **الأدوات في اللغة العربية**/ محمد علي إبراهيم أحمد، طرطوس: دار أعراف، ٢٠٠٧م.

- **إسرائيليات**/ مجموعة من الباحثين، اللجنة الشعبية لدعم الشعب الفلسطيني، ٢٠٠٧م.
- **إطلالة الفجر**/ د. حازم سليمان الحلي، بغداد: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٩٠م.
- **أم القرى مؤتمر النهضة الإسلامية الأول**/ عبد الرحمن الكواكبي، دراسة وتحقيق: د. محمد جمال طحّان، ط١، حلب، ٢٠٠٦م.
- **أهل الجنة**/ محمد حسام الخطيب، دمشق: دار الفيحاء، ودار المنهل ناشرون، ط١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.
- **البسيط في شرح الكافية**/ الأستراباذي، تحقيق: د. حازم الحلي، قم ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٧م.
- **بغداد تاريخ وحضارة**/ أ. د. حسين أمين، بغداد: منشورات المجمع العلمي العراقي، مطبعة المجمع، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٧م.
- **بوابات المعلومات الإلكترونية**/ د. حسن داخل جريو، بغداد، منشورات المجمع العلمي العراقي، مطبعة المجمع، ١٤٢٧ هـ- ٢٢٠٧م.
- **تاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس والمغرب**/ محمد بنشريفة، منشورات وزارة الثقافة، المغرب، دار المناهل، ٢٠٠٦م.
- **تاريخ الطّبّ في الموصل عبر العصور**/ د. محمود الحاج قاسم محمّد، الموصل: ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧م.
- **التاريخ وأسماء المحُدِّثين وكناهم**/ محمد بن أحمد المقدمي، تحقيق: د.ثامر كاظم الخفاجي، قم: مكتبة آية الله العظمى سيد المرعشي النجفي، ٢٠٠٦م.
- **التعليم الشرعي ومدارسه في حلب في القرن الرابع عشر الهجري**/ محمد

عدنان كاتبي، مديرية المطبوعات والكتب الجامعية، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٦م.

- **تقاسيم حلبية**/ بهيجة إدلبي، حلب: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ٢٠٠٦م.
- **التواشيح والأغاني الدينية في حلب**/ عبد الفتاح روّاس قلعجي، الكويت ودمشق: مؤسسة البابطين، ٢٠٠٦م.
- **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء**/ د. أحمد فوزي الهيب، حلب: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٧م.
- **حقائق أسرار الطب**/ مسعود بن محمد السجزي، دراسة وتحقيق: محمد فؤاد الذاكري، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **حلب في أحاديث الماء والجمال**/ د. بغداد عبد المنعم دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **حلب مدينة أم أغنيّة**/ د. بغداد عبد المنعم، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **دار المكتبات الوقفية الإسلامية بحلب**/ د. علاء الدين الزعتري، دمشق: دار غار حراء، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٦م.
- **دراسة تقويمية لمناهج القواعد النحوية في مراحل التعليم العام**/ د. عهد حوري، رسالة دكتوراه، جامعةدمشق، ٢٠٠٧م.
- **دراسات في التراث الطبي العربي الإسلامي**/ د. محمود الحاج قاسم محمد، الموصل: ١٤٢٦- ٢٠٠٥م.
- **دمشق عبر العصور**/ جيراردو جورج، ترجمة د. لِبْنة موفق دعبول، دمشق: دار ابن قتيبة، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧م.

- **ديوان خالد الكاتب**/ دراسة وتحقيق: كارين صادر، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **رسالة إلى قاضٍ ناشئ**/ ماريو مارجاس للوزا، ترجمة د. ملكة أبيض، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **رياض الجنّة**/ محمد حسن الحسيني الزنوري، تحقيق: علي رفيعي، قم: مكتبة السيد المرعشي، ٢٠٠٧م.
- **السُّبْعُ الرابع من عيون الأخبار وفنون الآثار**/ عماد الدين إدريس بن الحسن الأنف، تحقيق: مأمون الصاغرجي، معهد الدراسات الإسماعيلية، ٢٠٠٧م.
- **السياسة والاجتماع في فكر الجاحظ**/ محمد شقرون، تونس: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٦م.
- **سلطة المثقف بين الاقتراب والاغتراب**/ د. محمد فاتح زغل، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **الشاعر العربي عمر أبو ريشة**/ إعداد نزيه خوري، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **شرح بانت سعاد**/ لابن هشام الأنصاري، تحقيق ودراسة: سناء الريس، دمشق: دار سعد الدين، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧م.
- **شرح الصدر لشرح زوائد الشذور**/ شمس الدين ابرمادي، حققه: محمد عدنان قيطاز، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **شرح التسهيل كتاب التذييل والتكميل**/ لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: د. وليد السراقبي، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **شعراء النزعة الشعبية في العصر العباسي**/ أحمد الحسين، دمشق:

منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.

- **شعراء النصارى العرب والإسلام**/ ماجد الحكواتي، دمشق والكويت، مؤسسة البابطين، ٢٠٠٦م.
- **شعر حلب في معجم البابطين**/ إعداد مؤسسة البابطين، حلب والكويت: ٢٠٠٦م.
- **شيخ المطربين صبري مدلل**/ محمد قدري مدلل، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **شعر سليمان العيسى**/ سليمان العيسى، بيروت: دار الشورى، ط١، ١٩٨٠م.
- **الشريف الرضي وجهوده النحوية**/ د. حازم الحلي، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٩٠م.
- **الصحافة الأدبية في ليبيا ١٨٦٩– ١٩٦٩م**/ د. محمد صلاح موسى، طرابلس الغرب: مركز الجهاد للدراسات الليبية، ١٩٩٩م.
- **صفحات من حياة نزيه العظم**/ تحقيق د. دعد الحكيم، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **طبُّ الأسنان والجراحة الفموية**/ د. محمد فؤاد الذاكري، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ١٤٢٧ هـ– ٢٠٠٦م.
- **الطباعة والصحافة في حلب**/ د. سهيل الكلاذي، حلب مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ١٤٢٧ هـ– ٢٠٠٦م.
- **لطائف السَّمر في سكان الزهرة والقمر**/ ميخائيل الصقال، حلب: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م.
- **لمحات من حماية البيئة في التراث العربي الإسلامي**/ محمد صبحي

صقّار، حلب: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.

- **عالم النبات في الأدب العربي**/ حسن محمود النمري، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **عقد البناء والتشغيل والتحويل**/ د. مهند نوح، دمشق: الروضة، الموسوعة العربية، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧م.
- **عبد الله الزاخر الحلبي**/ جوزيف إلياس كحّالة، حلب: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.
- **عمر أبو ريشة والفنون الجميلة**/ د. أحمد زياد محبّك، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **فلسفة الفن والجمال عند التوحيدي**/ د. عزّت السيد أحمد، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **في وجه العاصفة**/ د. غالب خلايلي، دمشق: مطبعة اليازجي، بحصة، ٢٠٠٧م.
- **القدود الدينية في حلب**/ محمد قدري مدلّل، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **القراءات القرآنية**/ د. حازم الحلي، النجف: مطبعة القضاء، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م.
- **قم**/ **سيد نور الدين خلخالي**/ مكتبة السيد المرعشي الندفي، ٢٠٠٧م.
- **كتاب شاسي فهارس**/ كتاب خانه بزرك، مكتبة السيد المرعشي النجفي، ٢٠٠٧م.
- **كتاب شرح أدب القاضي**/ للخصاف، تحقيق: محيي الدين هلال

السرحان، بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٣٩٨ هـ- ١٩٧٨م.

- **كتاب الطبقات**/ أحمد بن محمّد البرقي، تحقيق: د. ثامر كاظم الخفاجي، قم: مكتبة السيد المرعشي النجفي، ٢٠٠٧م.
- **مذهب الأخفش في معاني القرآن ومشكل شواهده**/ د. أسيدة شهبندر، دمشق: شراع للدراسات، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧م.
- **محمل الحج الشامي**/ منير كمال، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **محمود سيف الدين الإيراني (الأعمال الكاملة)**/ منشورات مؤسسة شومان، عمّان: م. عبد الحميد شومان، ٢٠٠٦م.
- **مختارات تراثية في الطفل والعلم والتعليم**/ اختارها: بيان الصفدي، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **مختارات من كتاب آثار البلاد وأخبار العباد**/ زكريا القزويني، اختيار، قاسم وهب، ١٤٢٧ هـ- ١٩٩٨م.
- **مختصر لآلئ العرب**/ سالم خليل رزق، تحقيق: خير الدين قبلاوي، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **مختصر تاريخ الخلفاء**/ دراسة وتحقيق: د. سعاد السوداني، بغداد: منشورات وزارة الثقافة ، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٦م.
- **المدينة الإسلامية في الشعر العربي القديم**/ أ. د. حسين بيوض، حلب: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٦م.
- **مسرح حلب في مائة عام**/ محمد هلال دملخي، دمشق: دار عكرمة، ٢٠٠٧م.
- **مسيحيون ومسلمون معًا**/ د. إيليا طعمة، حلب مطرانية الروم الأرثوذكس،

١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٧م.

- **معبد إله الطقس في قلعة حلب**/ كاي كوهلماير، ترجمة: أ. د. فاروق إسماعيل، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **معجم التعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة**/ د. وفاء كامل فايد، القاهرة، كلية الآداب، ٢٠٠٧م.
- **المفاهيم الجمالية في الشعر العباسي**/ أحمد طعمة الحلبي، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **مقالات في الطب وتاريخه**/ د. محمود الحاج قاسم محمد، نينوى، بغداد: مكتبة دار الوثائق، ٢٠٠٣م.
- **المهاجرة والمهاجرون**/ د. خالد محيي الدين البرادعي، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **موسوعة الميثولوجيا والأديان العربية قبل الإسلام**/ د. أحمد محمود الخليل، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **النبي وآله في الشعر العربي**/ د. حازم سليمان الحلي، بيروت، مؤسسة البلاغ، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧م.
- **النزعة الإنسانية في عصر التوحيدي**/ محمد علي العجيلي، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **النقل الداخلي بحلب في القرن العشرين**/ د. م. نجوى عثمان، حلب: دار عكرمة، ط١، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤م.

المجلات العربية

أ.ماجد الفندي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
– الأسبوع الأدبي	١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧	٢٠٠٧م	سورية
– الضاد	السنة (٧٧) الأعداد (١، ٢)	٢٠٠٧م	سورية
– عاديات حلب	٨، ٩، ١٠	٢٠٠٣م	سورية
– عالم الذرة	(١٠٨)	٢٠٠٧م	سورية
– مجلة باسل الأسد للعلوم الهندسية	العدد /٢٢/	٢٠٠٦م	سورية
– مجلة جامعة تشرين	علوم صحية/ العدد٣/ مج٢٨	٢٠٠٦م	سورية
	علوم بيولوجية / العدد٢، ٣/ مج٢٨	٢٠٠٦م	سورية
	آداب وعلوم إنسانية/ العدد١/ مج٢٨	٢٠٠٦م	سورية
	علوم هندسية/ العدد٢/ مج٢٨	٢٠٠٦م	سورية
– مجلة جامعة دمشق للعلوم الصحية	السنة (٢٢) العدد (٢)	٢٠٠٦م	سورية
– مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية	السنة (٢٢) العدد (٢)	٢٠٠٦م	سورية
– الموقف الأدبي	السنة (٣٥) الأعداد (٤٣١، ٤٣٢)	٢٠٠٧م	سورية
– مجلة دراسات	علوم إدارية العدد ١/ مج٣٤	٢٠٠٧م	الأردن
– مجلة مجمع اللغة العربية الأردني	السنة (٣٠) الأعداد (٧١، ٧٢) مع كشاف الأعداد من (١– ٧٠)	٢٠٠٦م	الأردن

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
– النشرة الإخبارية	الأعداد (٧١، ٧٢)	٢٠٠٧م	تركيا
–بحوث سينمائية	العدد (٢)	٢٠٠٦م	الجزائر
– اللسانيات	العدد (١١)	٢٠٠٦م	الجزائر
– الآدب الإسلامي	العدد (٥٤)	٢٠٠٧م	السعودية
– الأمن والحياة	الأعداد (٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨)	٢٠٠٧م	السعودية
– عالم الكتب	٥، ٦ مج٢٧	٢٠٠٧م	السعودية
– المجلة العربية	الأعداد (٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤)	٢٠٠٧م	السعودية
– مجلة العلوم	الأعداد (٢، ٣) مج ٢٣	٢٠٠٧م	الكويت
– دراسات فلسطينية	العدد (٦٩)	٢٠٠٧م	لبنان
– التجديد	السنة (١٠) العدد (١٩)	٢٠٠٦م	ماليزيا

ج– الكتب والمجلات الأجنبية

أ. ربى معدني

1- Books:

- Development at Risk/ Ann Zammit.
- Bursaries for Artists/ Unesco.
- Vers libres/ José Marti.
- Catalogue of Arabic Monuscripts/ Rudolf mach.
- Dictionnaire Archéologique de la Mauritamie / Robert vernet.
- Traduction de Saint – Coran/ Mohamad El - Moktar ould Bah.
- Islamic Art in the Ashmolean/ j.W.Allan.
- Sur la voie De l`islam/ Mohamed El- Moktar ould Bah.
- L`éducation pour une culture de la paix/ Betty A. Reardon.
- Webesters Dictionary.
- Wartime japonese Anthropology in Asia and The Pacific/ Akitoshi Shimizu – Jan van Bremen.

2 – Periodicals:

- The Muslim World, Vol. 96 – No. 2 (2006).
- Resistance, No. 9-10 (2006).
- Korea Focus, Vol. 14-No.3 (2006).
- Journal of Asian and African Studies, No. 71 (2006).
- East Asian Review, Vol. 18- No.3 (2006).
- Haj, Vol. 61 – No.8 (2006).

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٥

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦٤.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦٥.
- قواعد الإملاء
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦٦
- كتاب الأنواء، لأبي إسحاق الزجَّاج، الدكتور عزة حسن.

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٦

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦٧.
- معجم أسماء الأفعال، الدكتور أيمن عبد الرزاق الشوا.
- الدر النثير والعذب النمير، للمالقي، الدكتور محمد حسان الطيان.
- ديوان أبو النجم العجلي، جمعه وشرحه وحققه الدكتور محمد أديب عبد الواحد جمران.

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٧

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦٨.
- المقصور والممدود، لابن ولاد (ت ٣٣٢هـ) ، تحقيق الدكتور إبراهيم محمد عبد الله.
- البرق المتألق في محاسن جلق، لابن الراعي (ت١١٩٥هـ) ، تحقيق الأستاذ محمد أديب الجادر.
- ديوان ابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ)، تحقيق الدكتور مختار الأحمدي نويوات والدكتور نسيب النشاوي.
- معجم الكلمات المصطلحية في لسان العرب، للدكتور ممدوح خسارة.

فهرس الجزء الأول

من المجلد الثالث والثمانين

(البحوث والدراسات)

اللغة العربية حصن الأمة	د. مازن المبارك	٣
رؤية نازك الملائكة لقضايا الشعر المعاصر	د. إحسان النص	١٣
المدرسة الفارسية بدمشق (ق ١)	د. ليلى الصباغ	٣٥
إتباعات العرب (تحقيق)	د. عزة حسن	٦٣
الأسماء الفرعية: مفهومها واستعمالها	أ. محمود الحسن	٧٥
معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير (ق٣٣)	د. وفاء تقي الدين	١٠١

(المقالات والآراء)

من نقاوة اللغة العربية	د. عبد الكريم اليافي	١٣٣
أضواء على العيد الماسي لمجمع القاهرة	د. محمود السيد	١٣٥
علم التعمية واستخراج المعمَّى عند العرب	د. محمد مكي الحسني الجزائري	١٥٩

(أنباء مجمعية وثقافية)

أسماء أعضاء المجمع في مطلع عام ٢٠٠٨م ١٧٧

زيارة السيدة أسماء الأسد عقيلة السيد رئيس الجمهورية وسمو الشيخة موزة بنت ناصر المسند
حرم صاحب السمو أمير دولة قطر المجمع في ٢٥ / آذار / ٢٠٠٧م ١٩١

تأبين الدكتور محمد عبد الرزاق قدورة عضو المجمع : ٢٠١

– كلمة الدكتور محمد مروان المحاسني نائب رئيس المجمع ٢٠٢

– كلمة الدكتور وائل معلا رئيس جامعة دمشق ٢٠٦

– كلمة الدكتور عبد الله واثق شهيد أمين مجمع اللغة العربية ٢٠٨

– كلمة الأستاذ عبد القادر قدورة شقيق الفقيد ٢١٦

الكتب والمجلات المهداة في الربع الرابع من عام ٢٠٠٧ ٢٢٠

من مطبوعات المجمع ٢٣١

فهرس الجزء ٢٣٢